الفصل الثاني

الشطح الصوفي

فسر أبو نصر السراج الطوسي الشطح الصوفي بأنه (عبارة مستغرقة في وصف وجد فاض بقوته، وهاج بشدة غليانه وغلبته) (اللمع ص453)، وقد لجأ المتصوفة إلى هذا التعريف لتبرير الكفر والزندقة الذي فاضت به كتب القوم وتواتر عنهم معتذرين أن ما قالوه قد قالوه في حالة سكر بما تجلى لهم من حقائق وبما عاينوا من علوم وزعموا أنها أسكرتهم وأطارت صوابهم، وجعلتهم يتكلمون بمثل هذه العبارات وهذا التبرير السمج الذي لجأ إليه الصوفية لا يغير من الحقائق شيئاً وهو أن ما قالوه كفر واضح ظاهر وافتراء على الشريعة.

وقبل أن نبدأ في تفنيد مزاعمهم نستعرض طائفة يسيرة من عباراتهم التي اعتذروا عنها بأنها من الشطح وأن قائليها معذورون فيما قالوه لأنهم بزعمهم كانوا سكارى غائبين عن وعيهم عند ذكرهم لهذه العبارات. فقد تواتر ونقل الناس عن أبي يزيد البسطامي أنه قال "رفعني مرة فأقامني بين يديه وقال لي يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك!! فقلت: زيني بوحدانيتك وألبسني أنانيتك وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هنا" (اللمع ص461) أ.هـ.

وذكر عنه كذلك أنه قال "أول ما صرت إلى وحدانيته فصرت طيراً جسمه من الأحدية، وجناحاه من الديمومة فلم أزل أطير إلى أن صرت في ميدان الأزلية، فرأيت فيها شجرة الأحدية" (اللمع الطوسي ص461)، ونقل عنه أيضاً أنه قال: "سبحاني سبحاني" وقال أيضاً "ضربت خيمتي بإزاء العرش" (اللمع ص464)، ومر يوماً بمقبرة للمسلمين فقال "مغرورون" و.. لليهود فقال "معذورون"!! (اللمع ص463).

وأما الشبلي فهو أحد مقدميهم وقادتهم واسمه دلف بن جحدر فقد قيل له يوماً: يا أبا بكر أخبرنا عن التوحيد فقال: للسائل: "ويحك! من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد، ومن أشار إليه فهو ثنوي، ومن سكت عنه فهو جاهل، ومن هم أنه واصل فليس له حاصل، ومن أومأ إليه فهو عابد وثن، ومن نطق فيه فهو غافل ومن ظن أنه قريب فهو بعيد ومن تواجد فهو فاقد، وكلما ميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم في أتم معانيكم فهو مصروف مردود إليكم محدث مصنوع مثلكم" أ.هـ.

وعندما سئل الشبلي عن أبي يزيد البسطامي وعرض عليه بعض ما قاله البسطامي مما نقلناه آنفاً قال الشبلي:

"لو كان أبو يزيد ها هنا لأسلم على يد بعض صبياننا وقال: لو أن أحداً يفهم ما أقول لشددت الزنانير" (اللمع ص50).

وكان هذا الشبلي أيضاً يقول: "لو خطر ببالي أن الجحيم نيرانها وسعيرها تحرق مني شعرة كنت مشركاً" (اللمع ص479 ومعنى شددت الزنانير جمع زنار وهو ما كان يضعه أهل الذمة على وسطهم تميزاً لهم عن المسلمين).

وذكر عنه أيضاً أنه سمع قارئاً يقرأ هذه الآية {اخسأوا فيها ولا تكلمون} فقال الشبلي ليتني كنت واحداً منهم (اللمع ص490).

وذكر عنه كذلك أنه قال: "إن لله عباداً لو بزقوا على جهنم لأطفأوها" (اللمـع ص 490) وثبت عن أبي الحسين النوري أنه قال (أنـا أعشـق اللـه وهـو يعشـقني"!! (اللمع ص491).

وشهدوا عليه أيضاً أنه سمع المؤذن فقال: طعنه وشم الموت!! وسمع نبـاح كلب فقال: "لبيك وسعديك"!! (اللمـع ص492)، وكـذلك كـان أبـو حمـزة الصـوفي إذا سمع صوت هبوب الريح وخرير الماء، وصياح الطيور يصيح ويقول: لبيك!!.

ودخل دار الحارث المحاسبي فسمع شاه مرغياً: فقال: "لبيك يا سيدي"!!.

هذه عبارات قليلة جداً مما نقل عن هؤلاء وتـواتر عنهم، ومهمـا حـاول المـرء أن يعتـذر عن أصـحابها بـأي وجـه من الوجـوه فإنـه لا يجـد مفـراً من الحكم بكفـر معتقديها وقائليها.. فأما قولهم إن هذا شطح، وغلبة حال وغلبة سـكر، ونحـو هـذا من الأقوال فالرد عليها ما يأتي:

1- لا نسلم أن قائلي هذه العبارات قد قالوهـا كمـا زعمـوا وهم في حالـة هـذيان وغيبة عقل، وذلك أن هذه العبارات لها لمعان محدودة، وهي نسيج مؤلف مركب قصد بها صاحبها أن يدل على عقيدة عنـده، ولم يقلهـا كلامـاً غـير منضـبط ككلام السكران والغائب عن الوعي.

2- إن هذه العبارات قـد تلقاهـا تلاميـذ التصـوف بـالقبول واعتقـدوا مـا فيهـا بـل وشرحوا العقيدة التي تشير هذه العبارات إليهـا في كتب كاملـة.. والعقيـدة هـذه هي أن الأديان جميعاً دين واحد، وأن الخلق جميعاً هم عين الخالق وأنه لا موجـود إلا الله!! وأن هذا الخنزير الذي كان يمر بـه أحـدهم فيقـول لـه عم صـباحاً!! هم مظهر من مظاهر الخالق -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- ونسـتغفر اللـه من كتابة أقوالهم وإعادتها وكذلك هذه الشاة التي ترغي فيقول لهـا أحـدهم لبيـك يـا سيدي، ما قال ذلك في غلبة السكر، وفي رؤيته للنـار أو النعيم، ولا لتـذكره لآيـة من كتاب الله وإنمـا قـال ذلـك لأنـه سـمع ثغـاء شـاة، أو نبـاح كلب، ومثـل هـذه الأصوات لا تخلق في المسلم (حالة) ولا تجعـل عنـده وجـداً يحملـه على الغيـاب عن الوعي حتى يقول مجيباً له "لبيك يا سيدي"!!

وكذلك نقول أيضاً ما الذي يبعثه نداء المـؤذن في قلب الصـوفي حـتى يـرد عليـه قائلاً.. ضربه وشم الموت!!، هل سماع المؤذن يؤدي إلى حالـة وجـد وغيـاب عن الوعي حتى يقول سامع المؤذن: ضربك أيها المـؤذن وشـم المـوت!! وأنـا أقـول نعم هي حالة حقيقية للزنديق عند سماع المؤذن لأنه لا يريد لصـوت الـداعي إلى الله أن يعلو.. لأنه يكفـر بالإسـلام والصـلاة ويريـد لأصـوات الكلاب والخنـازير أن يقبلها المسلم بقولهم (لبيك يا سيدي"!!.. إقرأ في كتـاب اللمـع للطوسـي قولـه "وأخذوا عليه (يعني أبا الحسن النووي) أنه سمع أذان المؤذن فقال: طعنه وشـم الموت، وسمع نباح الكلب فقال: لبيك وسعديك". ومثله تماماً ما نقلنـاه آنفـاً عن أبي يزيد أنه اجتاز بمقبرة لليهود: فقـال: معـذورون. وبمقـبرة للمسـلمين فقـال: مغرورون!! فأي غلبة حال وسكر، وهذيان غلبت على هؤلاء حتى قالوا ما قـالوا.. وأليست هذه عقيدة زنديقيـة واحـدة.. ثم مـا هـذا (المـربي) -زعمـوا- الـذي رأى مريده يقتل قملة فقال له: قاتلك الله شفيت غيظك بقتـل قملـة!! وهـذا الشـيخ نفسه يمر على الخنزير فيقول له: عم صباحاً!!

وكـان يبـدأ الكلاب والخنـازير بالسـلام.. المهم أن هـذه العبـارات الـتي يسـمونها شطحاً لم تكن شطحاً كما زعموا وقـد قالهـا قائلوهـا في حالـة صـحو وليس في

حالة سكر، وإنها تنبئ عن عقيدة وليست كلاماً فارغاً من المعنى وهذياناً كما زعموا.

3- ثم إننا نسأل إذا كان مثل هذه العبارات يسميها الصوفية شطحاً وهذياناً، فلماذا يعمدون إلى تأويلها وتفسيرها، وإخراج درر معانيها، بل وجعلها من مناقب قائليها ووصولهم إلى الحقيقة؟! فقد فسروا كلام من أجاب الشاة بقوله: لبيك يا سيدي بأنه علم أن كل شيء يسبح بحمد الله، وأن ثغاء الشاة تسبيح ولذلك أجابها.. فإذا كان كلامهم هذا شطحاً فلماذا فسروه وأخرجوا معانيه الغالية!! ودرره الثمينة.. وتقول لهم جعل الشاة في موضوع السيادة ليس تعظيماً للخالق!! والسلام ليس موضوعاً ليلقي على الخنازير والكلاب بل ولا على غير المسلم أيضاً لأن السلام تحية خاصة بالمسلمين فقط فإلقاؤها على الكلاب والخنازير مروق من الدين، وخروج عن حقيقة الشريعة المطهرة وظاهرها. وأما تفسيرهم لقول النوري الذي دعا على المؤذن بالموت عندما سمع نداءه، بأنه خشي أن يكون هذا المؤذن مرائياً أو يأخذ أجراً على أذانه كما زعموا فليس هذا طريق الإنكار على المؤذن وإنما النوري أنكر على الأذان وليس على المؤذن. وكان يجب لو كان يؤمن بالإسلام حقاً، وبالأذان صدقاً أن يقول كما يقول وأن يصلي بعد ذلك على الرسول ويطلب له الوسيلة والفضيلة ثم يسارع إلى المسجد ويشهد الصلاة مع المسلمين ثم ينكر على المؤذن أخذه للأجرة لو شاء.. ولكن هؤلاء كما أسلفنا ينشرون عقيدة معلومة لديهم تلقوها عن الزنادقة والملاحدة، وهذا الذي يسمونه شطحاً ما هو إلا تأسيس لهذه العقيدة.

4- والأمر الرابع نسألهم: هذا السكران بحب الله كما زعمتم.. وبرؤية الجلال الإلهي أو الجمال -كما تزعمون- هل يجلس ليؤلف كتباً كاملة في هذا الهذيان والسكر وغلبة الحال كما تقولون.. أو يكفيه عبارة أو عبارتان، جملة أو جملتان.. أعني لو كانوا صادقين أن هذا الكلام الخارج عن موازين الشريعة هذيان وشطح حقاً لكان شيئاً قليلاً ولكن الحاصل والموجود أن هناك عشرات بل مئات بل آلاف الكتب قد شحنت بهذا الكفر والزندقة فكتاب يزعم صاحبه أنه تلقاه من الغيب بالوحي الإلهي ولا يترك كفراً إلا ويضعه فيه كالحكم ببراءة قوم نوح من الشرك، وجهل نوح لأنه دعاهم إلى التوحد، والحكم بإيمان فرعون، وجهل هارون لأنه نهى قومه عن عبادة العجل، والعجل هذا في زعم مؤلف كتاب (الفصوص) هو مظهر من مظاهر الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وكذلك تبرئة إبليس والحكم بنجاته، بل والحكم بأن أهل النار منعمون فهم في عذوبة لا عذاب وأنه وأنه..

بعضهم يسمي كل هذا شطحاً. وآخر وهو عبدالكريم الجيلي يكتب كتاباً يقع في أكثر من مائتي صفحة من القطع المتوسط يسميه (الإنسان الكامل) لا يترك كفراً في الأرض إلا ويجعله فيه؛ من ذلك أنه يصف رحلة مزعومة له من الأرض إلى السماء الدنيا، حيث يصف ما فيها وأنه قابل فيها فلاناً وفلاناً من الأنبياء وناقشهم واستفاد منهم، ثم السماء الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة والسادسة والسابعة وإلى الكرسي والعرش والحجب السبعين!! ويصف ما رآه هناك ثم يعود ليهبط إلى الأرض الأولى فالثانية فالثالثة، فالرابعة وحتى السابعة ويقابل فيها أولياء وروحانيين وفلاسفة وحكماء و.. ويدعي أن من لم يصدق هذا فهو كافر!! ويأتي كاتب صوفي آخر ينسج على منوال هؤلاء فيكتب كتاباً يسميه (مشارق شموس الأنوار ومقارب حسها في معنى عيون العلوم والأسرار) والكاتب هذا هو إسماعيل بن عبدالله السوداني ألف كتابه سنة 1262هـ فيصف كذلك مشاهداته الحسية -في زعمه- للسماوات السبع العلى، وللأرضين السبع

ويجد القارئ   فصولاً من هذيانه وتخليطه في بـاب (المعـراج الصـوفي) من هـذا الكتاب..

وغـير هـذا.. وهـذا شـيء يصـعب إحصـاؤه واستقصـاؤه وإن جئت تنـاقش بعض المدافعين عن هذا الهذيان يقولون لك تارة هذا شطح، وتارة هـذه كرامـة، وتـارة هذا فتح، وهذا تناقض منهم وسنناقش دعوى الفتح والكرامة في موطن آخـر من الكتاب والمهم هنا أن نرد على دعواهم أن مثـل هـذا من الشـطح، فيقـول كيـف يكتب كـاتب كتابـاً يقسـم أبوابـه ويضعفصـوله ويقـول للنـاس هـذا من عنـد اللـه وتدعون أنتم أنه شطح وهذيان وأن قائله معذور لأنه قاله في غلبـة حـال وضـياع عقل!! أليس قـولكم هـذا تلبيسـاً على النـاس، واسـتهزاء بعقـولهم!! الشـطح لا يكون كتباً كاملة مؤلفة منسقة منفصـلة!! وإنمـا هـذه عقيـدة ودين بـاطني يريـد أربابــه بــه صــرف المســلمين عن عقيــدة الكتــاب والســنة إلى الكفــر والإلحــاد والزندقة.

5- ثم نقـول لهـؤلاء إثبـاتكم أن الصـوفية يشـطحون ويقولـون مـا لا يريدونـه ولا يقصدونه في أقل أحواله إثبات لأحوال غريبة وبدعة منكرة ما كان عليها أحـد من سلف الأمة الصادقين كالصحابة والأئمة فهل سمعتم أن أبا بكـر وعمـر والخلفـاء والصحابة شطحوا!! وهل وجد في التابعين لهم بإحسان من عرف عنه شيء من ذلك، وهل كان الأئمة الأربعة من أهل الشطح أليس الشـطح الصـوفي دليلاً على الابتداع والخروج عن الدين القويم..؟

أليس الإمام الشافعي قد قال وقد صدق والله فيما قال: "لا أرى شخصاً يتصوف في أول النهار، إلا وأصبح أحمق في آخره!!" أليست هذه كلمات من نـور الإمـام الشافعي الذي رأى بعينـه بـدايات التصـوف وأخـبر أن يومـاً واحـداً في التصـوف يكفي لجعل الشخص أحمق. فأنتم باعترافكم أن هذا شـطح إنمـا تسـجلون على أنفسكم الحماقة والبدعة والخروج عن نهج السـلف الصـالح رضـوان اللـه عليهم ورضي الله عن الشافعي الذي يقول أيضاً "ما لزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد عقله إليه أبداً" (تلبيس إبليس).

6- ولكن بعض الصوفية وقد أحرجوا في حكاية الشطح هذه أرادوا أن يستخرجوا دليلاً من الكتاب والسنة على شطحهم وأن أحـوالهم هـذه وهـذيانهم مؤيـد أيضـاً بالكتاب والسنة فقال: لقد قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم [واللـه لـو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً] فـدل هـذا على جـواز الشـطح وأن الرسـول فعلـه أو مثلـه.. ونحن نقـول: نسـبة النـبي إلى الشـطح كفـر وزندقـة.. فالنبي صلى الله عليه وسلم عاين ما عاين من أمر الله وكـان في كـل ذلـك هـو الإنسان الكامل والرسول الصادق والعبد الكامل صلى الله عليه وســلم ولم يكن له حال أو مقال يخالف عقيدته التي نشرها وبينها والتي جاء بها كتاب الله وســنة رسوله. ومن قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خالف بعض كلامــه بعضـاً لحال أو مشاهدة فقد كفر وافترى وكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما استدلالكم بالحـديث على أن من رأى مـا رآه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم فنقول: من هذا الذي رأى ما رآه الرسول في الغيب: الحلاج والبسـطامي، والشبلي، والنوري وأشكالهم سبحان الله أجاء هـؤلاء ليطلعـوا على مـا لم يطلـع عليـه أبـو بكـر وعمـر وعثمـان وعلي والمبشـرون بالجنـة. أكـان الحلاج يزعـق بالشـوارع، والشـبلي يصـرخ بالمجـالس لأن اللـه أطلعـه على الجنـة والنـار!! ألا تستحون من إيراد مثل هذه السخافات!!.. ونتنزل معكم درجة: هبو صدقناكم أن هؤلاء اطلعوا على الجنة والنار وشاهدوها رأي العين ألم يكن الـواجب أن يحصـل

فيهم ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فيبكون كثيراً ويضحكون قليلاً وهذا ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم.

[لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً]. ما قال لشطحتم ونصحتم وافتريتم وكذبتم وقلتم "سبحاني" وما في الجبة إلا الله، ويا خنزير عم صباحاً، ويا كلب عم مساءً.

وفي ختام هذا الفصل نقول من سمع آيات الله وكان من أهل الإيمان والتقوى خشع قلبه وقد تدمع عينه، ويقشعر جلده، ثم يلين لذكر الله كما قاله سبحانه وتعالى: {الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد} (الزمر:23).

وقال أيضاً سبحانه وتعالى في وصف حال الأنبياء والرسل والمؤمنين عند سماع آيات الله بعد أن قص في سورة مريم أخبار طائفة من رسله وأنبيائه وأوليائه وهم زكريا ويحيى وعيسى ومريم وإبراهيم وموسى وهارون، وإسحاق ويعقوب، وإسماعيل وإدريس..:

{أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدوا وبكياً} (مريم: 58).

فليس عندهم عند سماع الآيات إلا السجود والبكي، وليس الشطح فهل هؤلاء الصوفية حقاً متأسون بالأنبياء والأولياء الصالحين أو أنهم صارخون مستصرخون من وخز الشياطين ولترويج عقائد الملحدين؟!

7- لقد شاهدت بنفسي كيف يصرع هؤلاء عند الذي يسمونه حالاً، والله لا أشك لحظة واحدة أنه وخز شيطان أو تصنع منافق خبيث، فقد كان أحدهم يقوم ويقعد ويصرخ ويزبد ويأخذ (بطاقيته) وقلنسوته وغترته أو عمامته فيلقيها على الأرض ويسارقنا النظر ونحن ننظر إليه راثين لأحوال هؤلاء الحمقى الذين يستفزهم الشيطان ويحركهم ويتلاعب بهم، وقد كان هؤلاء المطيرون الضاحكون يفعلون ذلك عندما كان يقال كلام كله كفر وشرك وغلو في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم يسمونه مدحاً وهو في الحقيقة ذم للرسول، وسب له.

فاعلم أخي المسلم أن هذا الشطح الذي يأتي مما يسمونه بالحال ما هو إلا وخز شيطاني وتحريك إبليسي، هذا عند الصادقين منهم، وأما الكاذبون فإنهم يفتعلون ما يفعلون لإيهام العامة والسذج بأنهم من أهل الأحوال ومن المشاهدين لما يسمونه بحضرة الجلال أو الجمال!! وذلك كله من الرياء والنفاق وسوء الأخلاق. ومخالفته هدي سلفنا الصالح والخروج على مناهج الأنبياء. فنسأل الله لنا ولإخواننا المسلمين السلامة والعافية مما ابتلي به هؤلاء.

الفصل الثالث

قواعد التربية في المنهج الصوفي

وضع المتصوفة لهم قواعد خاصة للتربية حسب منهجهم الصوفي فحددوا أهـدافاً خاصة للتربية ووضعوا شـروطاً في المريـد (وهـو اسـم أطلقـوه على الطـالب أو المبتدئ) وشروطاً خاصة بشيخ الطريق، ومنازل يسـير فيهـا السـالك في دربهم. وقد بدأ وضع ملامح هذا المنهج منـذ بـدأ الفكـر الصـوفي في الظهـور في أواخـر القـرن الثـاني الهجـري، وبلـغ هـذا المنهج الغايـة تقريبـاً مـع نهايـة القـرن الرابـع الهجري حيث أسست الخانات والأماكن الخاصة التي يتجمع فيها الصوفية وكـانوا يسمون بالفقراء أولاً.

وكانت لهم في هذا الـوقت مشـاعر خاصـة، كالسـماع والـذكر الخـاص، ورسـوم وإشارات وملابس خاصة، ولم يكن لهؤلاء الفقراء أو المتصوفة في القرن الثالث وأوائل القرن الرابع شيخ خاص بكل فريق وإنما كانوا يـتربون على مـا يسـمعونه ويتناقلونه من كلام مشـايخهم بوجـه عـام. ولكن منـذ أواسـط القـرن الرابـع بـدأ التربي على الشيخ الخاص وأن يكون لكل جماعة شـيخ معلـوم لا يتجاوزونـه إلى غيره ثم يرثه بعد ذلك شيخ على منهجه وطريقته. وهكذا ومنذ ذلك الوقت عـرف ما يسمى بالطريقة الخاصة. ثم تـدرج الأمـر وتحـولت وراثـة الطريـق إلى وراثـة النسب فكان الأبناء يرثـون آبـاءهم في الطريـق وأحيانـاً مـا كـانت الزوجـات هن اللائي يـرثن الأزواج وهن اللائي يسـلكن المريـدين ويعطين العهـود.. باختصـار تحولت الطريقة الصوفية في أواخر عهودها وخاصة بعد القـرن العاشـر الهجـري إلى طرق وراثيـة، وإمـارات خاصـة وإقطاعيـات دينيـة يـرث فيهـا الأبنـاء جمهـور الطريق والرعية التي كانت لآبائهم من قبل.

وعلى مر هـذه العصـور وضـع المتصـوفة لهم آدابـاً خاصـة في التربيـة وشـروطاً خاصة في المريد وها نحن نذكر لك بالتفصيل هـذه الآداب والقواعـد الـتي دونهـا علماء التصوف في كتبهم لينشأ لهم في النهاية الجيل الصوفي الذي يريدون.

أولاً- اتخاذ الشيخ:

أول ما يجب على مريد الطريق الصوفي أن يتخذ شيخاً لـه ليدلـه على الطريـق. يقول عبدالكريم القشيري "ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فإن لم يكن لـه أستاذ فإمامه الشيطان" (القشيرية ص181)، وهـذا النص قـد كتبـه سـنة 387هـ وهو يدلك على أن قضية وجوب اتخـاذ الشـيخ قضـية قديمـة، واتخـاذ الشـيخ قـد تفسر بأن لها سنداً من الكتاب والسنة في أن الرسـول علم أصـحابه والأصـحاب علمـوا التـابعين وهكـذا، ولكن هـذا اسـتدلال من لا يعلم مـاذا يعـني الشـيخ في الطريق الصوفي! إن الشيخ يعني شيئاً آخر تماماً كمـا سـتأتي مواصـفات الشـيخ والشروط والآداب التي يجب مراعاتها معه.

والمهم هنـا أن نعلم أن كـون من لم يتخـذ شـيخاً لا يفلح أبـداً ليس بصـحيح فمن الممكن أن يهتدي المسلم بسماعه للقرآن وقراءته للحـديث من شـيخ أو طـالب علم، أو كتاب ولا يشترط في الهداية الالتزام بشـيخ معين بـل لـو سـمع المسـلم من عشرات الشيوخ لكان هذا أحكم له وأعلم وهكذا كان سلفنا الصالح يسمعون الحديث النبوي من أهله، والفقه من أهله، والقواعد العربية من أهلهـا، والتفسـير من أهله وهكذا..

وأما في الطريق الصوفي فيجب عليك أن تتخذ شيخاً واحداً لا تحيد عنه ولا تلتفت إلى غيره بل لا يجوز أيضاً طلب العلم من غير أهل التصوف مطلقاً.

يقول القشيري بعد أن قرر في زعمه أن طائفة التصوف هم أهل الحق وأن علومهم أشرف العلوم:

".. فإذا كان أصول هذه الطائفة أصح الأصول ومشايخهم أكبر الناس وعلماؤهم أعلم الناس فالمريد الذي له إيمان بهم إن كان من أهل السلوك والتدرج إلى مقصدهم فهو يساهمهم فيما خصوا به من مكاشفات الغيب فلا يحتاج إلى التطفل على من هو خارج عن هذه الطائفة".

وقد قرر شيوخ التصوف من أهل الطرق الحديثة أن من ترك طريقتهم إلى طريقة غيرهم ابتلي بسوء الخاتمة. وهكذا فقد كان رجال التصوف قديماً يأمرون فقط بمجرد الانتساب والسلوك في الطريق الصوفي أياً كان الشيخ أو الطريقة، المهم أن يكون السالك (الموفق) حسب زعمهم سائراً في هذا الطريق غير ملتفت إلى غيره من مذاهب العلماء والفقهاء الذين يصفهم المتصوفة دائماً بأنهم علماء رسوم وطلاب دنيا، وتجار.. الخ الأوصاف التي يطلقونها على علماء الشريعة لتنفير الناس منهم. وانظر مثلاً إلى ما يقول القشيري في التنفير من سماع المريد إلى كلام غير كلام المتصوفة:

"ويقبح بالمريد أن ينتسب إلى مذهب من مذاهب من ليس من هذه الطريقة وليس انتساب الصوفي إلى مذهب من مذاهب المختلفين سوى طريقة الصوفية إلا نتيجة جهلهم بمذاهب أهل هذه الطريقة فإن هؤلاء حججهم في مسائلهم أظهر من حجج كل أحد وقواعد مذاهبهم أقوى من قواعد كل مذهب والناس إما أصحاب النقل والأثر وإما أرباب العقل والفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة فالذي للناس غيب فهو لهم ظهور، والذي للخلق من المعارف ومقصود فلهم من الحق سبحانه موجود فهم من أهل الوصال (أي مع الله في زعمه) والناس أهل الاستدلال وهم كما قال القائل:

ليلي بوجهك مشرق	وظلامه في الناس ساري
فالناس في صدف الظلام	ونحن في ضوء النهار"

(القشيرية ص180).

وها أنت ترى هنا أنه يقسم علماء الإسلام إلى ثلاثة أقسام: علماء النقل والأثر، وهم حملة القرآن والحديث والسير وعمل الصحابة والقسم الثاني من سماهم بأرباب العقل والفكر ويعني بهم الفلاسفة والمتكلمين كالمعتزلة والأشاعرة ونحوهم والفريق الثالث المتصوفة ومدح هؤلاء ويقول إن حججهم أظهر وقواعدهم أقوى وأن ما هو غيب عند الآخرين هو شهادة عند المتصوفة يعني أن المتصوفة يشاهدون الله والجنة والنار عياناً ولا يحتاجون إلى الاستدلال بالقرآن والسنة كما هو شأن علماء الأثر، ولا بالأدلة العقلية كما هو حال علماء الكلام والمنطق والجدل. أقول: كان الشأن في أول التصوف هو إلحاق المريد بركب المتصوفة أياً كانوا وكيفما كانوا، ولكن في العصور الحديثة أصبح التصوف دولاً، وإمارات خاصة، وإقطاعات دينية مستقلة، فالطريقة تدر على أصحابها وأربابها أرباحاً وفيرة ولذلك فلا بد من الاستحواذ على المريدين، وإدخالهم في سلك الطريقة الخاصة وعدم السماح لواحد منهم بتاتاً أن ينفلت من القيد الذي يوضع في رجليه والمقود الذي يوضع في رأسه وإلا ارتد عن دينه وعوقب بسوء

الخاتمة. فالشيخ في الطريقة الصوفية ليس هو بتاتاً ما يعنيه الكتاب والسنة من اتخاذ المرشد والهادي والداعي إلى الله، وإنما هو التزام أبدي بطريقة خاصة ورجل خاص يقدسه حياً وميتاً. فشتان بين اتخاذ شيخ وإمام في دين الإسلام الصحيح واتخاذ شيخ صوفي ليكون رائداً للطريقة.

ثانياً - مواصفات الشيخ:

وليس كل شيخ يصلح أن يكون شيخاً في الطريق الصوفي بل لا بد أن يمر بمراحل الطريق من أولها إلى نهايتها، أو على الأقل أن يكون قد أخذ العهد من شيخ سابق أو والد له وقد أذن له الشيخ أو الأب بتسليك المريدين، وإدخالهم في الطريق وتلقينهم الأذكار الخاصة..، الخ.

وحتى تكون المشيخة الصوفية مشيخة معتبرة فقد اخترع المتصوفة قديماً شيئاً سموه السلسلة الصوفية وهذه السلسلة المزعومة هي عبارة عن سند مزعوم يتناقله الخلف عن أسلافهم زاعمين أن هذه السلسلة تنتهي (بالجنيد) الذي يسمونه سيد الطائفة وأن هذا الجنيد قد أخذها عن سري السقطي، والسقطي عن معروف، ومعروف عن داود الطائي، وداود الطائي عن حبيب العجمي، والعجمي هذا عن الحسن البصري، والحسن البصري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه..

يقول ابن عربي في فتوحاته:

"اعلم أنه قد صح وثبت بحكم النقل عند المشايخ (هذه الطريقة المتصوفة في الإسناد فلا ذكر لشيوخ النقل ولا كيف نقلوا)، أن علياً أمير المؤمنين دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، دلني على أقرب الطرق وأفضلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليك يا علي، بما نلت ببركة النبوة. فقال علي: ما هذا يا رسول الله: قال عليه السلام: ذكر الله تعالى.. قال علي: يا رسول الله، هكذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه يا علي، لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: الله. الله، ثم قال: أحصيت، يا علي، حتى أنا أقوله ثلاث مرات وأنت تسمع مني فإذا أمسكت فقل أنت حتى أنا أسمع منك. هكذا لقن رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً، ثم لقن علي عليه السلام الحسن البصري، ثم لقن الحسن حبيباً العجمي، ثم لقن داود معروفاً الكرخي، ولقن معروف سري السقطي، وهو لقن أبا القاسم: الجنيد محمد بن البغدادي وعلى هذه السلسلة باقي المشايخ رحمهم الله" أ.هـ (الفتوحات المكية).

ولا شك أن هذا يدل بغير بيان على ما فيه من الباطل وأنه كذب من أوله إلى آخره فبين ابن عربي الذي افترى هذا الكلام والجنيد أكثر من ثلاثمائة سنة، وهو يقول هنا: اعلم أنه ثبت وصح بحكم النقل عند المشايخ؛ ما هذا (حكم النقل عن المشايخ)!! وهذه السلسلة إلى الحسن البصري سلسلة مظلمة والجنيد قد اتهم من علماء زمانه بالزندقة والكفر وهو صاحب الحلاج الذي أجمع المسلمون في عصره على كفره وزندقته وهذا الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا أصل له فيما أعلم في كتاب صحيح من كتب السنة، وهو يخالف ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنه يخص أهل البيت لا علياً ولا غيره بذكر خاص أو بعلم خاص امتثالاً لقوله تعالى {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعله فما بلغت رسالته} والجواب عن هذه الشبهة في مكان آخر من هذا الكتاب، أعني، شبهة أن الرسول قد كتم علماً وخص أناساً بعلم من علوم

الشريعة أو بذكر خاص أو طريقة خاصة والشاهد هنا أن هذه الطريقة المزعومة كذب وافتراء على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى علي بن أبي طالب والحسن البصري رضي الله عنهم، وقد وضع ذلك المتصوفة ليوهموا الناس أن وحيهم الشيطاني الذي يدعونه، ومشاهداتهم الإبليسية التي يشاهدونها وعلومهم الخرافية التي يتناقلونها لها أصل من الإسناد، وهي متلقاة عن الرسول.

فعجباً لمن يحاربون الإسناد والحديث والنقل ثم يدعونه هنا لأنفسهم وهذا من تخبطهم وضلالهم فالإسناد لأهل الحديث كلام ميت عن ميت هذا زعمهم والإسناد لأهل التصوف شرف واتصال وعلم واتصال بالرسول فانظر وتعجب!!

* والمهم أن الشيخ في الطريق الصوفي يزعم أن له إسناداً متصلاً، وأنه قد أخذ عهداً عن شيوخ سابقين وأن شيوخه عن شيوخ وهكذا إلى الجنيد إلى الرسول.. ومن هؤلاء الشيوخ أهل التسليك من يقنع بأن يكون مجرد شيخ في الطريقة، ومنهم من ينفصل عن طريقته السابقة ويؤسس له طريقة خاصة باسمه ويؤلف ويبتدع لها من ثم أذكاراً خاصة ومشاعر خاصة.. ولكنه لا يقر طبعاً بالتأليف، والابتداع وإنما يزعم لأتباعه ومريديه أنه قد أخذ هذه الأذكار من الحضرة الإلهية هكذا أو من حضرة الرسول، أو من الخضر.. المهم أنه لا بد أن يكون للذكر الخاص صلة بالوحي الخاص، والإلهام.. وأن يكون للذكر الخاص هذا فضل عظيم لم ينله الأولون ويستحيل أن يناله الآخرون (واقرأ تفاصيل ذلك في الباب الخاص بالذكر الصوفي).

وبالطبع فإن هذا الشيخ الذي ينفرد بطريقة خاصة لا بد أن يجعل لنفسه من الشرف والمنزلة ما يؤهله لأن يتبعه الناس ويأخذوا عنه فيروي لنفسه من الكرامات والفضل والعلوم والكشف ما يتضاءل أمامه كل منازل الأنبياء والمرسلين (اقرأ الفصل الخاص بالولاية الصوفية).

وهكذا تعلم أن اتخاذ الشيخ في الطريق الصوفي ليس هو مجرد اتخاذ معلم قد اشتهر بالعلم والعمل والصلاح بل هو اتخاذ شيخ خاص له كرامات وكذلك له منهج خاص بتسليك المريدين.. وله كذلك حقوق خاصة.

ثالثاً - آداب المريد:

وقد وضع المتصوفة آداباً أوجبوها على المريد والسالك في الطريق الصوفي وهذه أهم هذه الآداب نقول تجاوزاً آداب وإنما هي في الحقيقة جهل وانحلال وعبودية وإذلال:

1- لا تخالف الشيخ مطلقاً فيما يأمرك به هذا هو المبدأ الأول والشرط الأول والأدب الأول للمريد، وأن تكون موافقة الشيخ بالقلب والجوارح فلا إنكار ولا مخالفة لشيء مما يقوله مطلقاً ولا اعتراض عليه بلسان أو بقلب وشعارهم دائماً:

"كن بين يدي شيخك كالميت بين يدي الغاسل"!!

يقول القشيري في بيان ما يجب على المريد: "وأن لا يخالف شيخه في كل ما يشير عليه لأن الخلاف للمريد في ابتداء حاله دليل على جميع عمره" (القشيرية ص182)

ويقول أيضاً:

"ومن شروطه أن لا يكون بقلبه اعتراض على شيخه" (القشيرية ص182).

ومن الأقوال يقصد بها بالطبع إماتة القلب واستسلامه للدواهي والمصائب التي سيتلقاها المريد في طريقه الصوفي. وإليك طائفة من الأقوال والحكايات الصوفية التي يراد من ورائها في النهاية استسلام المريد لشيخه ليعبث بعقله وقلبه كيف شاء.

2. لا يجوز الإنكار على شيوخ التصوف أبداً ولو مع المنكر دليل. يقول أحمد بن مبارك السلجماسي فيما يرويه عن شيخه الجاهل الأمي عبدالعزيز الدباغ:

"* واعلم وفقك الله أن الولي المفتوح عليه يعرف الحق والصواب ولا يتقيد بمذهب من المذاهب. ولو تعطلت المذاهب بأسرها لقدر على إحياء الشريعة وكيف لا وهو الذي لا يغيب عنه النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين!! ولا يخرج عن مشاهدة الحق جل جلاله في أحكامه التكليفية وغيرها وإذا كان كذلك فهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه لأنه أقرب إلى الحق من غير المفتوح عليه وحينئذ فكيف يسوغ الإنكار على من هذه صفته ويقال إنه خالف مذهب فلان في كذا، إذا سمعت هذا فمن أراد أن ينكر على الولي المفتوح عليه لا يخلو إما أن يكون جاهلاً بالشريعة كما هو الواقع غالباً من أهل الإنكار وهذا لا يليق به الإنكار والأعمى لا ينكر على البصير أبداً" (الإبريز ص192).

وهذا داهية الدواهي لأنه زعم أن الشيخ له مذهبه الخاص الذي يتلقاه من النبي رأساً ولا حاجة عنده إلى التلقي من أي مذهب فقهي لأي إمام مجتهد فلا تعترض أيها المريد على شيخك لأنه يتلقى الوحي غضاً طرياً، وهؤلاء العلماء عميان وهو مبصر!!

ويقول أيضاً شارحاً القصيدة الرائية في آداب المريد:

"فذو العقل لا يرضى سواه وإن نأى　　　عن الحق نأي الليل عن واضح الفجر

المعنى أن من له عقل سليم وطبع مستقيم لا يرضي سوى شيخه ويدور معه حيثما دار وإن بعد الشيخ في ظاهر الأمر عن الحق بعداً بيناً كبعد الليل من الفجر ويقول إن للشيخ في ذلك وجهاً مستقيماً عسى أن يطلعني عليه" أ.هـ (الإبريز ص203).

وهذا ظاهر في أنه لا يجوز الإنكار على الشيخ والخروج عنه، ولو خرج الشيخ عن الحق وظهر ذلك للمريد ظهور الفجر من الليل.

وليس هذا فقط هو المدى السيء الذي يريد المتصوفة جر المريد إليه بل هناك ما هو أشد من ذلك وأضل وهو ما يأتي في الفقرة الآتية:

3- يقول أحمد بن المبارك:

"(ومنها) أني سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول جاء بعض المريدين لشيخ عارف فقال له يا سيدي القبول لله عز وجل. نعم، ثم أمره بالمقام عنده والعكوف على خدمته وأعطاه مسّاحة في رأسها كورة حديد زائدة لا نفع فيها إلا تثقيل المساحة وكان المريد هو وارث الشيخ بشرط أن لا ينتبه لكورة الحديد المذكورة فإن انتبه وقال ما فائدتها، ولأي شيء تصلح، ولا معنى لها إلا التثقيل فإنه لا يرث شيئاً. قال رضي الله عنه فبقي في خدمته سبع سنين وهو يخدم بالفأس ولا يتحرك له عرق وسواس ولا هزته عواصف رياح الشيطان وصارت الكورة المذكورة بمنزلة العدم الذي لا يرى ولا يسمع فهذه مسألة الصادقين الموفقين رضي الله عنهم والله تعالى الموفق" (الإبريز ص178).

فانظر كيف يكون المريد (الصادق) في زعمهم مع شيخه. إنه الذي ينفذ ما يأمره به الشيخ ولا يسأله عنه بتاتاً ولو كان شيئاً غير معقول المعنى ولا فائدة أصلاً منه.ككرة الحديد هذه التي كانت في رأسها المساحة (الفأس). وقد جعلوا صدق المريد عدم سؤال شيخه عن هذه (الكورة) التي لا تقع منها. وليت الأمر وقف عند هذا الحد ولكن...

4- لم يقتصر الأمر على طاعة الشيخ فيما لا فائدة منه ولا معقولية له بل تعدى الأمر ذلك إلى الاعتقاد أن للشيخ شريعته الخاصة، ودينه المستقل فله أن يشرب الخمر، أو يزني وليس لمريده أن يسأل عن شيء من ذلك. يقول السلجماسي أيضاً:

"قال محيي الدين العربي (رضي الله عنه) ومن شروط المريد أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه ونبيه منه ولا يزن أحواله بمسيرته أنه فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن والحقيقة يجب التسليم وكم من رجل كأس خمر بيده ورفعه إلى فيه وقلبه الله في فيه عسلاً والناظر يراه شرب خمراً وهو ما شرب إلا عسلاً ومثل هذا كثير وقد رأينا من يجسد روحانيته على صورة ويقيمها في فعل من الأفعال ويراها الحاضرون على ذلك الفعل فيه ولو رأيناه فلا يفعل كذا وهو عن ذلك الفعل بمعزل وهذه كانت أحوال أبي عبدالله المصلي المعروف بقضيب البان وقد رأينا هذا مراراً في أشخاص" أ.هـ (الإبريز ص202).

وهذا الذي نقله أحمد بن مبارك السلجماسي عن ابن عربي مقرراً ومتبعاً له هو ما عليه عامة الصوفية بعد ابن عربي الذين يعتقدون أن للشيخ الصوفي (الكامل) أن يفعل ما يشاء من المعاصي ولا حرج عليه ولا يجوز أن يظن المريد خلاف الخير لأن الخمر التي يراها المريد خمراً تنقلب عينها في الشيخ فتكون له لبناً أو عسلاً. أو أن الشيخ يشكل نفسه على النحو الذي يظهر منه الفسق والخروج على الشريعة ليؤدب المريدين ويعلمهم أن يثقوا بشيخهم ولو رأوه يفعل منكراً. أقول: وقد حدثني أستاذي وشيخي الشيخ محمد عبدالوهاب البنا حفظه الله أنه شاهد أباه وكان من هيئة كبار العلماء في الأزهر يشتري قارورة الخمر بنفسه ويعطيها لشيخ له في الطريق، ولما كلمه الشيخ محمد عبدالوهاب البنا في ذلك. قال له: يا بني إنها تنقلب في بطن الشيخ فتكون لبناً!!.. فانظر كيف يفعل مثل هذا الكلام في المريدين فيجعلهم يعتقدون في شيوخهم العصمة حتى لو رأوهم على المعصية جهاراً نهاراً، وهذا غاية في إلغاء العقول والأفهام وذلك حتى تتلقى هذه العقول ما هو شر من ذلك وأقبح من الكلام في العقائد وأصول الدين كلاماً وكفراً وزندقة لم يقلها اليهود ولا النصارى ولا المجوس.

ولم يكتف دهاقنة الفكر الصوفي بمثل هذا بل وضعوا آلاف الحكايات والروايات ليحملوا المريدين حملاً على الاستسلام لشيوخهم مهما فعلوا أمامهم وأن يطيعوهم مهما أمروهم. يقول أحمد بن مبارك أيضاً:

"(رأيت) في كتاب محيي الدين تلميذ تاج الدين الذاكر المصري رحمهما الله تعالى أن رجلاً جاء إلى بعض الأكابر فقال له يا سيدي أريد منكم أن تعطوني السر الذي خصكم الله به فقال الشيخ إنك لا تطيق ذلك. فقال المريد: أطيقه وأقدر عليه فامتحنه الشيخ بأمر سقط منه على أم رأسه وذلك أنه كان عند الشيخ مريد شاب حَدَث أبوه من الأكابر فلما قال ذلك المريد أنا أطيق السر. قال له الشيخ: إني سأعطيك إن شاء الله السر فأمره بالمقام عنده، ثم إن

الشيخ أمر الشاب الحدث بالاختفاء في مكان بحيث لا يظهر لأحد، وأدخل الشـيخ خلوته كبشاً فذبحه وجعل على ثيابه شـيئاً من الـدم فخـرج على المريـد السـابق والسكين في يده والدم يسيل على يده وهو في صورة الغضبان فقال المريد مـا عندكم يا سيدي؟ فقال: إن الشاب الفلان أغضـبني فمـا ملكت نفسـي أن ذبحتـه فها هو في ذلك المكان مذبوح يشير إلى الخلوة التي ذبح فيها الكبش فـإن أردت السر يا ولدي فاكتم هذا الأمر ولا تذكره لأحد وإن سألني عنه أبوه فإني أقول لـه مرض ولدك ومات فإنه يصدقني ويحصل على المسألة لطـف فعسـاك يـا ولـدي تساعدني على هذا الأمر وتسترني فيه فإن فعلت فأنا أعطيك السر إن شاء اللـه تعالى فقال لـه المريـد وقـد تمعـر وجهـه وظهـر غيظـه حيث ظن أن الشـيخ في قبضته سـأفعل بكلام يظهـر فيـه الكـذب ففـارق الشـيخ وذهب سـريعاً إلى والـد الشاب وأعلمه بالقصة وقال له إن الشيخ الكذاب الذي كنتم تعتقدون فيـه الخـير قتل ولدكم في هذه الساعة وجعل يرغبني أن أستر ويطلب مني أن أكتمـه عنكم وإن شككتم في الأمر فاذهبوا معي السـاعة فـإنكم تجـدون ولـدكم يتشـحط في دمه فقال له الناس: ويحك فإن سيدي فلاناً لا يفعل هذا ولعل الأمر شـبه عليـك. فقال لهم: اذهبوا معي حتى يظهر صدقي أو كذبي ففشا قوله في الناس وسـمع به أرباب الدولة فأقبلوا إلى الشيخ سراعاً والمريد أمامهم حتى وقفوا على خلوة الشيخ فقرعوا الباب فخرج الشيخ وقال لهم: ما لكم وأي شيء أقـدمكم، فقـالوا له: ألا تسمع ما يقول هذا (يشـيرون إلى المريـد). فقـال لـه الشـيخ: وأي شـيء كان. فقال له المريد: الذي كنت ترغبني فيه وتطلب مني كتمانه هـو الـذي كـان. فقال الشيخ: ما وقع بيني وبينك شيء ومـا كلمتـك قـط (انظـر إلى هـذا الكـذب المبين) فقال المريد: الكذب لا ينجيك قد قتلت ولد الناس. فـترامى النـاس على الشيخ من كل ناحية.. قتلت ولد الناس فالآن نقتلك عدو اللـه.. تغش النـاس في عبادتك وتخدعهم بخلوتك. فقـال الشـيخ: سـلوه من أين علم بـأني قتلتـه. فقـال المريد: ألم تخرج علي وأثر الدم على يديك وثوبك. فقال الشيخ: نعم وقـد ذبحت شاة. فقال المريـد: فلنـدخل إلى الخلـوة إن كنت صـادقاً. فـدخلوا فوجـدوا شـاة مذبوحة. فقال المريد: إنما أخفيت القتيل وأظهرت هـذه الشـاة في موضـعه لئلا تقتل به. فقـال الشـيخ: أرأيت إن خـرج الشـاب ولا بـأس عليـه أتعلم النـاس من الكاذبين الذين لا يفلحون. فقال المريد: فأخرجه إن كنت صادقاً. فأرسـل الشـيخ إلى الفتى فخـرج ولا علم عنـده بمـا وقـع فلمـا رآه النـاس تضـرعوا إلى الشـيخ وجعلوا يسبون المريد الكاذب وعند ذلك قال له الشـيخ: ألسـت تـزعم يـا كـذاب (بل الشيخ هذا هو الكذاب اللعين الذي يريـد إلغـاء عقـل تلميـذه قبـل أن يطلعـه على الأسرار المزعومة) أنك تطيق السر وتقدر عليه فما بالك لم تقـدر على كتم هذا الأمر الذي لم يكن منه شـيء، وإنمـا صـنعنا معـك هـذا لـدعواك أنـك تطيـق السر، فاذهب فقد أعطيناك السر الذي يليق بأمثالك، فكان ذلك المريد من يومه موعظة للمعتبرين نكالاً للمدعين الكاذبين. نسأل الله بمنه التوفيـق" (الإبريـز ص 188).

فانظر في هذه الحكاية؛ كيف يعلم المريد على طاعة أمر الشيخ بمثل هذا الفعل الشيطاني، حتى لا يكون بعد ذلك فكاك عن القيد الذي يقيده به شيخه، بل يروي أحمد بن المبارك عن شيخه كذلك عشرات بل مئات الحكايات الـتي تصـب كلهـا في هذا المص وانظر هذه الحكاية:

"سمعت من الشيخ يعني (عبدالعزيز الدباغ) رضي الله عنه يقـول كـان بعض من أراد الله رحمته في الماضين يحب الصالحين فـألقى اللـه في قلبـه أن خـرج من ماله فباعه وجمع ثمنـه فـذهب بـه لبعض من شـهر عنـه الصـلاح وكـانت تقصـده

الوفود من النواحي فذهب إليه هذا المرحوم بجملة ماله حتى بلغ بلده فسأل عن داره فدل عليها فدق الباب ففتح الخادم فقال: ما اسمك فقال: عبدالعلي. وكـان الشيخ المشهور بالولاية من العصاة المسرفين على نفوسـهم (انظـر كيـف كـان الشيخ الولي عاصياً مسرفاً على نفسه ومع ذلك فهـو عنـد المتصـوفة ولي عنـده أسرار!!) وكان له نديم يتعـاطى معـه الشـراب وغـيره اسـمه عبـدالعلي فوافـق اسمه اسم هذا المرحـوم، فـذهبت الجارية فقـالت للشـيخ، اسـم هـذا الـذي دق الباب عبـدالعلي. فقـال وظن أنـه نديمـه: ائـذني لـه. فـدخل على الشـيخ فوجـد الشراب بين يديه وامرأة فاجرة معه ورزقه الله تعالى الغفلة عن ذلك كله (انظر إلى الكذب الواضح) فتقدم إليه فقـال: يـا سـيدي سـمعت بـك من بلادي وجئتـك قاصداً لتدلني على الله عز وجل وهذا مالي أتيتك بـه. فقـال الشـيخ (يتقبـل اللـه منك) ثم أمر الجارية أن تدفع له رغيفاً فأخذه وأعطاه الفأس وأمره بالخدمة في بستان للشيخ عينه له. فذهب المرحوم من ساعته ونفسه مطمئنة وقلبه مسرور بقبول الشـيخ لـه فـذهب فرحـاً للخدمـة وقـد لقي نصـباً من سـفره للشـيخ ومـا استراح حتى بلغ البستان وجعل يخدم بفرح وسرور ونشاط نفسي فكان من قدر الله عز وجل وحسـن جميلـه بـذلك المرحـوم أن صـادف مجيئـه للشـيخ الكـاذب المسرف وفاة رجـل من أكـابر العـارفين وكـان من أهـل الـديوان فحضـر وفاتـه الغوث والأقطاب السبعة فقالوا له يا سيدي فلان: كم مرة ونحن نقول لك اهبـط إلى المدينة من مدن الإسلام فعسـى أن تلقى من يرثـك في سـرك ولم تسـاعد فالآن حانت وفاتك فيضيع سرك وتبقى بلا وارث فقـال لهم يـا سـادتي قـد سـاق الله إلى من يرثني وأنا في موضعي فقالوا له ومن هـو؟ فقـال: عبـدالعلي الـذي وفد على فلان المبطل فانظروا إلى حسن سريرته مع الله عـز وجـل وإلى تمـام صدقه ورسوخ خاطره ونفوذ عزمه وصلابة جزمه فإنـه رأى مـا رأى ولم يـتزلزل له خاطر ولا تحرك له وسواس؛ فهل سـمعتم بمثـل هـذا الصـفاء الـذي في ذاتـه أتوافقون على إرثه؟. فقالوا: نعم. فخرجت روح الولي واتصـل سـيدي عبـدالعلي بالسر وأثابه الله عز وجل على حسـن نيتـه فوقـع لـه الفتح وعلم من أين جاءتـه الرحمة وأن الشيخ الذي وفد عليه مسرف كذاب وأن اللـه تعـالى رحمـه بسـبب نيته لا غير والله الموفق" (الإبريز ص186) أ.هـ.

فانظر كيف أن المريد (الصادق) أعطى ماله كله لشـيخ يقيم على الزنـا والخمـر (وهو في غفلة من ذلك.. عجباً).. وكيف يقوم المريد الصادق بخدمـة هـذا الشـيخ الزنديق الفاسق وأصبح مجرد فلاح أو مزارع في بستانه يخدم الفـاجرات ويقـدم الخمور، ويهيء المزرعة للشيخ الأستاذ.. وكانت المكافأة أن مات شيخ آخر معـه السر فاختار ذلك المريد البعيد واتصل بروح وأعطاه السر.. ويسـتطرد أحمـد بن مبارك هذا أيضاً فيقول:

"وسمعت من غير الشيخ رضي الله عنه أن بعض الأكـابر كـان لـه عـدة أصـحاب وكان لا يتخيل النجابة إلا من واحد منهم فأراد أن يختبرهم ففـروا بجملتهم سـوى ذلك الواحد وذلك أنه تركهم على باب خلوتـه فـأظهر لهم صـورة امـرأة فـدخلت الخلوة فقام الشيخ فدخل معها فأيقنوا أن الشيخ اشتغل معها بالفاحشة فتفرقوا كلهم وخسرت نيتهم إلا ذلك الواحد فإنه ذهب وأتى بالمـاء وجعـل يسـخنه يقصـد أن يغتسل به الشيخ فخرج عليه الشيخ فقال: ما الذي تفعل؟ فقال: رأيت المرأة دخلت فقلت لعلك بحاجة إلى غسل فسخنت لك الماء. فقال له الشيخ: وتتبعـني بعد أن رأيتني على المعصية. فقـال: ولم لا أتبعـك والمعصـية لا تسـتحيل عليـك، وإنما تستحيل في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولم أخالطك على أنك نـبي لا تعصي وإنمـا خالطتـك على أنـك بشـر وأنـك أعـرف مـني بـالطريق ومعرفتـك

بالطريق باقية فيك والوصف الذي عرفتك عليه لم يزل فلم تتبدل لي نية ولا يتحرك لي خاطر. فقال له الشيخ: يا ولدي تلك الدنيا تصورت بصورة امرأة وأنا فعلت ذلك عمداً لينقطع عني أولئك القوم. فادخل يا ولدي وفقك الله معي إلى الخلوة فهل ترى امرأة فيها فدخل فلم يجد امرأة فازداد محبة على محبته والله الموفق" (الإبريز ص188) أ.هـ.

وهذه الحكاية تزيد على أن المريد الذي رأى شيخه يخرج من خلوة مع زانية معلومة مشهورة قام فسخن له الماء.. أليس هذا إلغاء تاماً للعقول، وغسلاً للأمخاخ من أي فكر أو حمية أو غيرة دينية أو عاطفية صادقة.

واقرأ أيضاً هذه الحكاية لترى العجب العجاب.. كان المريد يرى شيخه على الزنا، ويصلي وهو جنب من زنا والماء بجواره، ثم يشرب الخمر وكل هذا لم يحرك شيئاً في المريد الصادق.. قال صاحب الإبريز:

"وسمعته (رضي الله عنه) يقول: كان لبعض العارفين بالله عز وجل مريد صادق وكان هو وارث سره فأشهده الله تعالى من شيخه أموراً كثيرة منكرة ومع ذلك لم يتحرك له وساوس فلما مات شيخه وفتح الله عليه شاهد تلك الأمور وعلم أن الصواب مع الشيخ فيها، وليس فيها ما ينكره شرعاً إلا أنها اشتبهت عليه، في ذلك أن امرأة كانت من جيران الشيخ وكانت تذكر بالسوء اشتبهت بين باب الدار وبين البيوت وكان المريد لا يبلغ إليه وإنما يقف بالباب فاتفق أن دخلت المرأة المشهورة بالسوء على المريد وهو بالباب فجازت للدار واتفق أن خرجت امرأة الشيخ الشبيهة بها فدخلت على الشيخ الخلوة وكان الشيخ أرسل إليها ليقضي حاجته منها فدخلت وقام إليها الشيخ ومرت الشبيهة بها نحو البيوت فرمى المريد ببصره إلى الخلوة فرأى المرأة مع الشيخ وهو يقضي حاجته منها فما شك أنها المشهورة بالسوء، وربط الله على قلبه فلم يستفزه الشيطان ثم خرجت المرأة وحانت الصلاة فخرج الشيخ للصلاة وتيمم وكان به مرض منعه من الاغتسال فما شك المريد أن الشيخ قد تيمم من غير ضرورة وربط الله على قلب المريد وكان بالشيخ مرض منعه من هضم الطعام فصنعوا له ماء الفلنيص عصروه وأتوا له بمائه ليشربه فدخل المريد فوجده يشربه فما شك أنه ماء خمر وربط الله على قلبه فلم يتحرك عليه وسواس فلما فتح الله عليه علم أن المرأة التي وطئها الشيخ امرأته لا المرأة المشهورة بالسوء وعلم أن التيمم الذي فعله الشيخ لضرر كان بجسده وعلم أن الماء الذي شربه الشيخ ماء فلنيص لا ماء خمر والله الموفق" (الإبريز ص178) أ.هـ.

ولست أدري كيف يتأتى هذا التخليط: شيخ مريض عاجز عن الوضوء ولكنه قادر على الزنا وشرب الخمر.. وما معنى قول الكاتب في هذه القصة وربط الله على قلبه.. والحق أن يقال وطمس الله أبصارهم وبصائرهم. والعجب أنهم لم يكتفوا بطمس أبصار المريدين وبصيرتهم حتى لا يروا ما عليه شيوخهم من الفسق والفجور بل جعلوا رؤية ما عليه هؤلاء الشيوخ دليلاً على شقاوة المريدين، والمشاهدين.

يقول صاحب الإبريز أيضاً:

"(وسمعته رضي الله عنه) يقول: إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاص وإنما روحه حجبت ذاته فظهرت في صورتها فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية لأنها إذا أكلت حراماً مثلاً فإنها بمجرد جعلها في فيها فإنها ترميه إلى حيث شاءت وسبب هذه المعصية الظاهرية شقاوة الحاضرين والعياذ بالله

تعالى فإذا رأيت الولي الكبير ظهـرت عليـه كرامـة فاشـهد للحاضـرين بـأن اللـه تعـالى أراد بهم الخـير أو معصـية فاشـهد بشـقاوتهم وكمـا أن أرواحهم هي الـتي تتولى كراماتهم كذلك هي التي تتولى معاصيهم الظاهرة والله أعلم" (الإبريز ص 196).

أليس من العجيب أن يكون مثـل هـذا الفكـر منسـوباً إلى المسـلمين وجـزءاً من تراثهم الذي يتوارثونه ويحسبه من يحسبه منهم كتباً للهداية والدلالة على الله.

ولم يكتف أرباب الفكر الصوفي بجعل معاصي الشيوخ من شـؤم من يشـاهدونها من الناظرين بل جعلوا الشيخ ربما تعمـد المعصـية خشـية على ذاتـه الترابيـة أن تتحول من شدة التجلي إلى ذات نورانية فتتلاشى!!..

يقول السلجماسي أيضاً:

"وسمعته (رضي الله عنه) يقول: إن الولي قد يغلب عليـه الشـهود فيخـاف على ذاته الترابية من التلاشي فيستعمل أموراً ترده إلى حسه وإن كان فيها مـا يعـاب عليه من باب إذا التقى ضرران ارتكب أخفهما فإذا رآه شخص ارتكب ذلك الأمـر ولا يعلم الوجه الذي ارتكبه لأجله ربما بادر إلى الإنكـار عليـه فيحـرم بركتـه وقـد تقرر في الشرع أي في الشـريعة المطهـرة أن العضـو إذا أصـابته الأكلـة وخيـف على الذات منها فإنه يباح قطعه لتسلم الذات مع أن العضـو معصـوم ولكنـه من باب إذا التقى ضرران ارتكب أخفهما وكـذلك الشـخص إذا خـاف على نفسـه من الهلاك من شدة الجوع فإنه يباح له أكل الميتة حتى يشبع ويتزود منها"..

وهذا اعتذار في غاية القبح وكذب في غاية الوضوح لأن الأنبياء والرسـل صـلوات الله وسلامه عليهم كان الوحي يتنزل عليهم والملائكة تكلمهم وما كـانوا يخشـون على ذاتهم الترابية.. وأنـا أعلم أن مثـل هـذه الحجج لا تنـاقش لأنهـا لا تنطلي إلا على سذج وأغبياء أو أناس فقـدوا عقـولهم وصـوابهم ولكن مـاذا نعمـل إذا كـان العـالم الإسـلامي قـد ابتلي بهـؤلاء وأفسـدوا أجيـالاً كثـيرة من أبنـاء المسـلمين وانظروا إلى الحكاية الآتية:

يقول أحمد بن مبارك:

"قال (رضي الله عنه) وإذا أراد الله شقاوة قوم وعدم انتفاعهم بالولي سـخرهم الحق فيما هم فيه من قبح ومخالفة فيظنون أنه على شاكلتهم وليس كذلك حتى إنه يتصور في طور ولاية أن يقعد الـولي مـع قـوم يشـربون الخمـر وهـو يشـرب معهم فيظنونه شارب خمر وإنما تصورت روحه في صـورة من الصـور وأظهـرت ما أظهرت وفي الحقيقة لا شيء وإنما هو ظل ذاته تحرك فيما تحركوا فيـه مثـل الصورة التي تظهر في المرآة إنك إذا أخذت بالكلام تكلمت وإذا أخذت في الأكل أكلت وإذا أخذت في الشرب شربت وإذا أخذت في الضحك ضـحكت وإذا أخـذت في الحركة تحركت وتحاكيك في كل ما يصدر منك وفي الحقيقـة لم يصـدر منهـا أكل ولا غيره لأنها ظل ذاتك وليست بذاته الحقيقيـة فـإذا أراد اللـه شـقاوة قـوم ظهر الولي معهم بظل ذاته وجعل يرتكب ما يرتكبون والله الموفق" (الإبريـز ص 195).

والعجب أن هؤلاء الذين هذا هو مستواهم في التقوى والعلم والصـلاح وهـذه هي أخلاقهم وأعمالهم استطاعوا أيضاً الاستحواذ على أموال الناس. وهذا باب واسـع جداً سنبسطه في غير هـذا الموضـع إن شـاء اللـه تعـالى ولكننـا نـذكر هنـا هـذه

الحكاية من حكاياتهم لنبين كيف يربي المريد أيضاً على سلب ماله وإعطائه لشيخه بل سلب عقله وشرفه..

قال ابن مبارك أيضاً:

"سمعته (رضي الله عنه) يقول كان لبعض المريدين أخ في الله عز وجل فمات ذلك الأخ وبقي المريد فجعل إذا فتح الله عليه بشيء يقسمه بين أولاده وبين أولاد الأخ في الله وكان لهذا المريد أرض مع إخوته فبعث عليهم من جانب المخزن ظلماً فلما أخذوا ثمنها كان نصيب المريد منها أربعين مثقالاً (سكة زماننا) فقال له إخوته ما تفعل بدراهمك فقال أقسمها بيني وبين أولاد أخي في الله؛ فاستحمقوه وقالوا ما رأينا مثلك في نقصان العقل تسبب (أي تاجر بها وأبذل سبباً لنمائها) بدراهمك واشتر بها كذا واصنع بها كذا واترك عنك هذه الحماقة التي أنت مشتغل بها فأرادت نفسه أن تميل إلى قولهم فقال لها يا نفسي ما تقولي لله عز وجل إذا وقفت بين يديه غداً حيث يقول لي رزقتك أربعين مثقالاً فاستأثرت بها وضيعت حق الأخوة فاليوم أضيعك كما ضيعتها فوفقه الله فقسم الدراهم بينه وبين أولاد أخيه في الله فلما خرج من عندهم فتح الله عليه وأعطاه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وجعله من العارفين لصدق نيته ولصداقة عزمه ونفوذ جزمه والله الموفق" (الإبريز ص178).

5- وحتى يتم تذليل المريد تذليلاً كاملاً ويلغي عقله إلغاءً تاماً فإن شيخه يأمره بأوامر في غاية الغرابة بل فيها المعصية الواضحة والكفر الصريح امتحاناً لطاعته، ومعرفة من الشيخ هل بقي من المريد مسكة عقل، أو أثارة علم، أو بقية غيرة أو دين غير الدين الصوفي الباطني فبعضهم يأمرون مريدهم بإحضار زوجاتهم لشيوخهم ليختلي بهن فإن تلكأ أو شك في عفة الشيخ علم أنه غير صادق وشيخ آخر يأمر تلاميذه ومريديه بما هو أقبح من ذلك وهذه بعض حكاياتهم في هذا الصدد.

يقول أحمد بن مبارك مبيناً كيف يكون المريد صادقاً مع شيخه مطيعاً له ولو أمره بقتل والديه يقول: "سمعت من الشيخ رضي الله عنه قال كان لبعض المشايخ مريد صادق فأراد أن يمتحن صدقه يوماً فقال له يا فلان أتحبني قال نعم يا سيدي فقال أرأيت إن أمرتك أن تأتيني برأس أبيك أتطيعني فقال يا سيدي فكيف لا أطيعك ولكن الساعة ترى فذهب من حينه وكان ذلك بعد أن رقد الناس فتسور جدار دارهم وعلا فوق السطح ثم دخل على أبيه وأمه في منزلهما فوجد أباه يقضي حاجته من أمه فلم يمهله حتى يفرغ من حاجته ولكن برك عليه وهو فوق أمه فقطع رأسه وأتى به للشيخ وطرحه بين يديه فقال له ويحك أتيتني برأس أبيك فقال يا سيدي نعم أما هو هذا فقال ويحك إنما كنت مازحاً فقال له المريد أما أنا فكل كلامك عندي لا هزل فيه فقال له الشيخ رضي الله عنه انظر هل هو رأس أبيك فنظر المريد فإذا هو ليس برأس أبيه فقال له الشيخ رأس من هو فقال له رأس فلان العلج قال وكان أهل مدينتهم يتخذون العلوج كثيراً بمنزلة العبيد السودانيين قال وكان أبوه غاب تلك الليلة فخانته زوجته في الفراش وواعدت عليه كافراً ومكنته من نفسها وكوشف الشيخ (رضي الله عنه) بذلك فأرسل المريد ليقتله على الصفة السابقة ليمتحن صدقه فعلم أنه جبل من الجبال فكان وارث سره والمستولي بعده على فتحه والله الموفق" (الإبريز ص 186).

وهذه الحكاية الملفقة المكذوبة ما أريد بها إلا تعليم السالك في طريق التصــوف أن يطيع أمر الشيخ مهما كان ولو أمره بقتل والديه وأن تنفيذه لأمر الشـيخ خـير له بكل حال.. فأين هذا من قول الله سـبحانه وتعـالى لرسـوله صـلى اللـه عليـه وسلم {يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيــديهن وأرجلهن ولا يعصــينك في معــروف فبـايعهن واســتغفر لهن اللــه إن اللــه غفــور رحيم} (الممتحنة:12).

فانظر إلى قوله تعالى {ولا يعصينك في معروف} فاشترط سبحانه طاعة النــبي في المعروف علماً أن النبي صلى اللـه عليـه وسـلم لا يـأمر إلا بـالمعروف ولكن هذا ليتعلم غير النبي أنه ليس له أن يـأمر إلا بمعـروف وليس لأحـد أن يطيعـه إلا في معروف.. ولـذلك لمـا أمـر رسـول اللـه أمـيراً على عـدد من المسـلمين في سرية ما قال هـذا الأمـير لأصـحابه ألسـت أمـيركم قـالوا بلى، قـال ألم يـأمركم الرسول بطاعتي قالوا بلى، قال: فإني آمـركم أن تـدخلوا هـذه النـار، وكـان قـد جمع حطباً وأشعله، فقالوا: والله ما آمنـا إلا فـراراً من نـار الآخـرة فكيـف نـدخل النار الآن..

ولما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الواقعـة قـال صـلى اللـه عليـه وسلم والله [لو دخلوها ما خرجوا منها] (رواه مسلم).

ولكن الأمر يختلف تماماً عند مشايخ التصوف إذ العلوم والأسرار التي يجب على المريد أن يتلقاها من شيخه بالغة مبلغها في القبح والنكـارة ومـا لم يكن المريـد متهيئاً لقبول هذه الدواهي فإنه حتماً سينفر ويخرج من الطريق ولذلك فلا بد من تهيئته تهيئة كاملة. وتوطئته لتحمل العقيـدة الصـوفية.. إذ كيـف سـيفاجئ الشـيخ مريده عندما يطلب منهل المريد السر الصوفي كيف سيقول له يا بـني اعلم أنـه ليس هناك إله غيري وغيرك فما هذا العالم الذي نعيش فيه إلا الله بكل مظاهره ومصــنوعاته فهــو عــالم قــد خلــق نفســه بنفســه لنفســه فليس ثم غــير.. كيـف سيستطيع المريد تقبل ذلك كله إلا أن يكون الشيخ الصوفي قــد تمكن من عقـل مريده عن آخره من دينه إلى نهايته ومن أخلاقـه وشـرفه حـتى لا يبقى من ذلـك شيئاً إلا عبادة شيخه والتصديق أنه وساطته إلى الله وأنه لا نجاة لـه ولا فلاح لـه، إلا أن يكون هذا الشيخ هو كل شيء في حياته.. هذه هي الغاية التي يسعى إليهـا الفكر الصوفي من التربية وهي نقـل هـذه الأفكـار الفلسـفية الخبيثـة إلى أذهـان أبناء الإسلام ولذلك فلا بد من سلخهم أولاً من الدين حتى يكونوا بعد ذلـك مطيـة سهلة لهؤلاء الشيوخ يغرسون في أذهانهم ما شـاءوا من الخرافـات والخـزعبلات والهذيان الذي لم تعرف البشرية في كل عصورها مثالاً له..

6- لا حركة ولا سكون للمريد إلا بإذن الشيخ:

الأدب السادس من آداب المريد الصوفي مع شيخه أنه لا يجـوز لـه أن يتحـرك أو يســكن، أو يتصــرف في نفســه أو مالــه أو زوجتــه، أو ســفره أو إقامتـه إلا بـإذن شيخه، وأنه لا يجوز أن يجلس في مجلسه إلا بإذنه وأن يظهر قدمه أمام شــيخه، أو يرفع صوته، أو يسأله من عند نفسه لأن الشيخ أعلم بمـا في نفس مريـده فلا يجوز أن يبدأ بالسؤال، أو يستفسر عن إشكال وإنما ينتظر في كل ذلك ما يجــود به شيخه.. لأنه في زعمهم هو أعلم بحاله.. وليس وراء ذلك عبوديـة في الأرض.. والعجيب أن المتصوفة قـد أخـذوا كـل الحقـوق والخصوصـيات الـتي جعلهـا اللـه لرسوله فجعلوها حقاً أيضاً للشيوخ فانظر مثلاً ما يقوله صاحب الرائية وما يشرح به أحمد بن مبارك:

"قال:

ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوته   ولا تجهروا كجهر الذي هو في قفر

يقول السلجماسي: والله أعلم لا ترفعوا أيها المريدون أصواتكم فوق صوت الشيخ فإن ذلك يخل بالأدب ولا تجهروا له بالقول كجهر سكان القفار والبوادي الذين معهم جفاء وجلافة ولكن عظموه وفخموه وقولوه يا سيدي ويا أستاذي ويا ولي الله ونحو ذلك وأصل هذا الكلام الآية الشريفة {يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون} قال السهروردي في العوارف (رضي الله عنه) ومن تأديب الله تعالى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله {ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي} كان ثابت بن قيس بن شماس في أذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان إذا تكلم جهر بصوته وربما كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته فأنزل الله الآية تأديباً له ولغيره ثم قال بعد أن ذكروا آية في سبب نزولها وأنها نزلت في منازعة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بحضرته قال فكان عمر بعد ذلك إذا تكلم عند النبي صلى الله عليه وسلم لا يسمع كلامه حتى يستفهم وقيل لما نزلت الآية إلى أبو بكر أن لا يتكلم عند النبي صلى الله عليه وسلم إلا كأخفى السر فهكذا ينبغي أن يكون المريد مع شيخه فلا ينبسط برفع الصوت وكثرة الضحك والكلام إلا إذا باسطه الشيخ" انتهى (الإبريز ص 256).

وقد غاب عن هؤلاء الذين قرروا لشيوخهم ما أمر الله به نحو رسوله لمنزلته الخاصة غاب عنهم أن الله سبحانه وتعالى قال {كجهر بعضكم لبعض} فالمسلمون من شأنهم أن يجهر بعضهم في الكلام لبعض وأما مع النبي صلى الله عليه وسلم فيجب أن يكون للمسلمين معه أدب خاص في معاملتهم له صلى الله عليه وسلم..

وليت أنهم أعطوا الشيخ من الحقوق ما يجب على المسلم نحو الرسول واكتفوا بذلك بل جعلوا لشيوخهم من الحقوق على مريديهم ما لم يجعله الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم فقد جعلوا من حق الشيخ أن لا تنطق عنده إلا بإذنه وأن تطيل إذا أحب منك الإطالة وتختصر إذا أراد الاختصار.

قال صاحب الرائية:

"ولا تنطقن يوماً لديه فإن دعا   إليه فلا تعدل إلى الكلم النزر

وقال الشارح يقول والله أعلم لا تنطق في وقت من الأوقات عند شيخك فإن سألك عن شيء فلا تعدل عن الجواب الذي تدعو إليه الحاجة إلى الإكثار والتطويل فإن ذلك يزيل هيبة الشيخ وهذا والله أعلم ما لم يطلب منه الشيخ الإكثار من الكلام فإن طلب منه ذلك وكان للشيخ فيه غرض فإنه ينبغي له حينئذ الإسهاب والتطويل مراعياً خاطر الشيخ فإذا رآه شبع من الكلام فإنه يجب عليه الرجوع إلى أدبه وقد سبق ما كان يقوله لنا الشيخ رضي الله عنه حين يغيب في المشاهدة أهدروا علي كثيراً فإن الله يأجركم على ذلك يعني لأنه يرجع بذلك إلى حسه. أصل هذا الكلام الذي في البيت لصاحب العوارف قال فيها بعد أن ذكر تأويلات في قوله تعالى {لا تقدموا بين يدي الله ورسوله} وقيل نزلت في أقوام كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء خاضوا فيه وتقدموا بالقول والفتوى فنهو عن ذلك وهكذا دأب المريد في مجلس الشيخ ينبغي أن يلزم السكون ولا يقول شيئاً

بحضرته من كلام حسن إلا إذا استأمر الشيخ في ذلك ووجد من الشـيخ فسـحة" أ.هـ (الإبريز ص205).

وقد جاوزوا هنا ما أمر الله به المسلمين مع رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم لأن قوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله} معناها أي لا تفتوا قبل أن يفتي ولا تحكموا في شـيء حـتى يـأتيكم حكمـه من اللـه ورسـوله. وليس معناه لا تبدأوا في أي كلام وإلا فالصحابة كثيراً مـا كـانوا يبـدأون ويعيـدون في شئون كثيرة والنبي جالس يستمع وربما تبسم صلى الله عليـه وسـلم عنـدما يتكلمون أحياناً في شئون الجاهلية. كما ثبت في صحيح مسلم وغيره أن الصحابة كانوا يجلسون مع النبي بعد صلاة الصبح يستمع لهم وربما تبسم صلى اللـه عليـه وسلم.. وأما هؤلاء الصوفية فإنهم جعلوا على المريـد حجـراً أن لا يتكلم بحضـرة شيخه إلا إذن له.. وأن يختصر حيث أراد الشيخ أن يطيـل إذا أمـره الشـيخ بـذلك فجعلوه آلة ميتة يتحرك بحركة الشيخ ولماذا نذهب بعيداً وقد أجملوا هـذه الآداب مع شيخهم بقولهم: "كن بين يدي شيخك كالميت بين يـدي المغسـل".. والعجيب أنهم لم يكتفوا بهذا أيضاً بل جعلوا من جملة الآداب في خطاب الشـيخ أن يسـأل الله التوفيق قبل أن يبدأ أمام الشيخ بالكلام.. انظر ما يقولون:

"وقال أيضاً من الأدب مع الشيخ أن المريد إذا كان له كلام مع الشـيخ في شـيء من أمر دينه أو دنياه لا يعجل بالإقـدام على مكالمـة الشـيخ بـالهجوم عليـه حـتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له ولسماع كلامه فكما أن للدعاء أوقاتاً وآداباً وشروطاً لأنه مخاطبة لله تعالى فللقول مع الشيخ أيضـاً آداب وشـروط لأنـه من معاملة الله تعالى (!!) ويسأل الله قبل الكلام مـع الشـيخ التوفيـق لمـا يجب من الآداب" أ.هـ (الإبريز ص213).

فجعلوا الشيخ هنا بمنزلة الله سبحانه وتعالى فكما أن لدعاء الله شـروطاً وآدابـاً وأوقاتاً.. فكذلك يجب أن يكـون الكلام مـع الشـيخ.. وانظـر قولـه (لأنـه.. أي لأن معاملــة الشــيخ من معاملــة اللــه تعــالى..) فــأي عبوديــة في الأرض أعظم من هذه؟...

وحتى يتلبس الأمر على المريدين التباساً كاملاً ولا يستطيع المريـد أن يفـرق بين الشيخ والله فإن المتصوفة زعموا أن الشـيخ عنـدما يتكلم بكلامـه في الـدرس لا يكون متكلماً من عند نفسه وإنما هو مستمع كذلك لما يلقى عليـه من اللـه، ومـا يجـري على لسـانه رغمـاً عنـه فالشـيخ غـير مسـئول عن كلامـه، لأن كلامـه في الدرس وحي من الله وإلهام إليه لا حيلة له فيه. قال السلجماسي:

"قـال ويكـون الشـيخ فيمـا يجريـه الحـق سـبحانه وتعـالى على لسـانه مسـتمعاً كأحدكم فأشكل ذلك على بعض الحاضرين وقـال إذا كـان القائـل يعلم مـا يقـول فكيف يكون مستمعاً (فرجع إلى منزله فرأى في ليلته في المقام كأن قائلاً يقول له: أليس الغواص يغوص في البحر لطلب الدر ويرجع بالصدف) ويرجع بالصـدف في مخلاته والدر وقد حصل معه ولكن لا يراه إلا إذا خرج من البحر ويشاركه في رؤية الدر من هو على الساحل ففهم في المنام إشارة الشيخ في ذلـك فأحسـن آداب المريد مع الشيخ السكون والخمود والجمود حتى يبادئه الشيخ بمـا لـه فيـه المصلحة قولاً وفعلاً" (الإبريز ص105).

وهذا المثال الذي ضربوه لا ينطبق على هذا الأمر لا شكلاً ولا موضوعاً.. فالقضية الأساسية وهي أن الشيخ يلقي عليه الكلام عن الغيب رأساً في الدرس ولا حيلــة له فيه هذا كفر وزندقة لأنه لا وحي بعد محمد صلى الله عليه وسـلم.. ومن زعم

أنه ينزل عليه وحي أو يكاشفه ملك، أو يطلع على غيب بعد رسول الله فهو كافر مرتد حلال الدم بإجماع الأمة.

وأما أن الغواص يغوص فيأتي بالمحار من البحر ولا يعرف إن كان فيها لؤلؤ أم لا ثم يفتحها على الشاطئ ويطالع مع الموجودين هناك.. إن أرادوا أن الشيخ يغوص في الغيب ويأتي بالمحار ولا يعرف هل أتى بلؤلؤ أم لا إن زعموا أن كلام الله الذي يأتي به الشيخ لا يعرف إن كان فيها لباب أم لا فهذا كفر صريح لأنه تشبيه للوحي الإلهي بأن منه ما يجوز أن يلقى مرة ثانية إلى البحر كما يرمي الغواص بقشور المحار التالفة التي لا نفع منها وقد نجد جوهرة وقد لا نجد..

وهذا المثال الذي ضربوه لما يجري على ألسنة شيوخهم ينطبق فقط على الإلقاء الشيطاني فالشياطين تلقي على أسماع أوليائها من الإنس الأمر مما يسمعونه من السماء يكون فيه شيء واحد صادق وتسعة وتسعون كذباً وهذا هو بالفعل حال شيوخ التصوف المتصلين بالجن والشياطين؛ قد يطلعهم الجن على شيء واحد صادق ولكن الجن يكذبون مع كل خبر صادق مئة كذبة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في تفسير قوله تعالى {وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا} (الجن:9) وفي قوله تعالى {لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب* دحوراً ولهم عذاب واصب* إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب} (الصافات:8،9).

فشيوخ التصوف يحدثون بأحاديث الجن والشياطين فيكذبون مئة كذبة ويفترون آلاف الافتراءات على الله ورسالته، وقد يصدقون مرة واحدة. والمهم في هذا الصدد أن هؤلاء المشايخ بمثل هذا الأمر جعلوا المريد صنماً مع شيخه لا يستطيع أن يقاطعه أو أن يعترض عليه لأن الشيخ أصلاً مستمع لما يوحى إليه وليس مؤلفاً ولا ناقلاً كلام نفسه.

وجعلوا من واجب المريد أيضاً أن لا يسافر سفراً إلا بإذن الشيخ. قال عبدالكريم القشيري:

"ومن أحكام المريد إذا لم يجد من يتأدب به في موضعه أن يهاجر إلى من هو منصوب في وقته لإرشاد المريدين ثم يقيه إليه ولا يبرح عن سدته إلى وقت الإذن" (القشيرية ص184).

وبالطبع الإذن الذي يجب على المريد أن ينتظره ليس هو إذن الشيخ في زعمهم وإنما هو الإذن الإلهي فالشيخ يأمر المريد أن يبقى في مكانه ولا يتحول عنه إلا إذا جاءه الأمر الإلهي بأن يسافر من عند شيخه. وبالطبع ليس هذا أمراً إلهياً وإنما هو أوامر شيطانية يلتزم بها هؤلاء وهؤلاء..

ويفلسف القشيري هذا الأدب الصوفي، أعني عدم جواز سفر المريد وإلا بإذن شيخه، فيقول:

"ومن آداب المريد بل فرائض حاله أن يلازم موضع إرادته وأن لا يسافر قبل أن يقبله الطريق وقبل وصول القلب إلى الرب فإن السفر للمريد في غير وقته سم قاتل ولا يصل أحد منهم إلى ما كان يرجى له إذا سافر في غير وقته وإذا أراد الله بمريد خيراً أثبته في أول إرادته وإذا أراد الله بمريد محنة شرده في مطارح غربته هذا إذا كان المريد يصلح للوصول فأما إذا كان شاباً طريقته للخدمة في الظاهر بالنفس للفقراء وهو دونهم في هذه الطريقة رتبة فهو وأمثاله يكتفون بالترسم في الظاهر فينقطعون في الأسفار وغاية نصيبهم من

هذه الطريقة حجات يحصلونها وزيارات لمواضع يرتحل إليها لبقاء شيوخ بظاهر سلام فيشاهدون الظواهر ويكتفون بما في هذا الباب من السير فهؤلاء الواجب لهم دوام السفر حتى لا تؤديهم الدعة إلى ارتكاب محظور فإن الشاب إذا وجد الراحة والدعة كان في معرض الفتنة إذا توسط المريد جميع الفقراء والأصحاب في بدايته فهو مضر له جداً وإن امتحن واحد بذلك فليكن سبيله احترام الشيخ والخدمة للأصحاب وترك الخلاف عليهم والقيام بما فيه راحة فقيره والجهد أن لا يستوحش منه قلب شيخ ويجب أن يكون في صحبته مع الفقراء أبداً خصمهم على نفسه ولا يكون خصم نفسه عليهم ويرى لكل واحد منهم عليه حقاً واجباً ولا يرى لنفسه واجباً على أحد" أ.هـ (القشيرية ص183).

وهكذا يجب أن يكون المريد أداة طيعة في يد شيخه يختار له من المراتب والمسالك ما يريد. بل يجب عليه أيضاً أن ينخلع عن حرفته وصنعته وأن ينقطع كل علائقه بالدنيا، وينقطع انقطاعاً كاملاً لشيخه..

والحق أن قضية الانقطاع الكامل عن الدنيا والإقبال التام على التصوف وملازمة الشيوخ كان هو الأمر في القرن الرابع وما بعده، وما زال هذا موجوداً في الإقطاعيات الصوفية الكثيرة التي تأتيها دخول دائمة وأوقاف دائمة للمريدين الذين يجب أن يسير فيه. ويقول القشيري أيضاً:

"وكل مريد بقي في قلبه شيء من عروض الدنيا مقدار وخطر فاسم الإرادة له مجاز وإذا بقي في قلبه اختيار فيما يخرج عنه من معلومه فيريد أن يخص به نوعاً من أنواع البر أو شخصاً دون شخص فهو متكلف في حاله وبالخطر أن يعود سريعاً إلى الدنيا لأن قصد المريد في حذف العلائق الخروج منها لا السعي في أعمال البر وقبيح بالمريد أن يخرج من معلومه من رأس ماله وقنيته ثم يكون أسير حرفة وينبغي أن يستوي عنده وجود ذلك وعدمه حتى لا ينافر لأجله فقيراً ولا يضايق به أحداً ولو مجوسياً" انتهى (القشيرية ص184).

ومعنى هذا أنه يجب على المريد الخروج من الحرف الدنيوية نهائياً بزعم أنه يضايق أهل الحرف والصناعات ويزاحمهم وهذا يضاد التصوف حتى ولو كان من يزاحمهم مجوسياً.. كما أنه يجب على المريد أن لا يفعل معروفاً مع شخص إلا بأمر شيخه.

وقال أيضاً "ومن شأن المريد قصر الأمل فإن الفقير ابن وقته فإذا كان له تدبير في المستقبل وتطلع لغير ما هو فيه من الوقت وأمل فيها يستأنفه لا يجيء منه شيء.. ومن شأن المريد أن لا يكون له معلوم وإن قل لا سيما بين الفقراء فإن ظلمة المعلوم تطفئ نور الوقت" (الإبريز ص208).

يعني أن المريد يجب عليه أن لا يكون له تدبير مالي، للمستقبل أبداً ولا راتب شهري معلوم يرجع إليه لأن هذا يطفئ نوره ويؤجل مكاشفاته..

وجعلوا كذلك من آداب المريد في مجلس الشيخ ما يأتي:

"من آداب المريد مع شيخه أن لا يجلس بحضرته متربعاً، ولا مظهراً رجلاً له. قال صاحب الرائية:

ولا يعقدن قدامه متربعاً ... ولا بادياً رجلاً فبادر إلى الستر

ولا يجوز له كذلك أن يلبس لباس الشيوخ إلا إذا انتهى من مقام التربية" أ.هـ

وهذه حقوق أعطيت للشيخ لم يجعلها الله لرسوله فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر الصحابة أن لا يلبسوا لباسه.. أو يتشبهوا به في عمامته أو قلنسوته أو يجلسوا متربعين في حضرته صلى الله عليه وسلم..

بل كانوا يجلسون بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم متربعين ومضطجعين وكان أحياناً يضجع معهم ولم يكن له صلى الله عليه وسلم زي خاص ولا مجلس خاص، وهذا يدلك على ابتداع المتصوفة وبعدهم عن الدين. وجعلوا من آدابهم أيضاً ما قاله القشيري:

"ومن شروط المريد إذا زار شيخاً أن يدخل عليه بالحرمة وينظر إليه بالحشمة فإن أهل الشيخ لشيء من الخدمة عَدَّ ذلك من جزيل النعمة. (القشيرية ص 184).

فجعلوا خدمة شيوخهم من جزيل النعمة ومن تفضل الشيخ على المريد والأمر على العكس لأن من يخدم غيره دون أجر هو المتفضل لقوله صلى الله عليه وسلم للذين خدموا إخوانهم في السفر [ذهب المفطرون بالأجر كله]:

"وقبول قلوب المشايخ للمريد أصدق شاهد لسعادته ومن رده قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غِبَّ ذلك ولو بعد حين ومن خذل بترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم شقاوته وذلك لا يخطئ".. أ.هـ

وهذا يعني أن غضب الشيخ الصوفي على المريد هو غضب الله. فليس له قبول أبداً.. وهذا من أعجب العجب..

7- كتمان لشيء من الأسرار عن الشيخ:

وحتى يتم أخذ المريد من نفسه والسيطرة الكاملة على كل قلبه وإحساسه وهواجسه فإن شيوخ التصوف قد فرضوا على المريد أن لا يحجب شيئاً من أسراره عن شيخه سواء كانت هذه الأسرار معاصي ارتكبها فإن الشيخ يتحملها عنه إذا أفضى بها إليه، وهذا نظير صكوك الغفران عند النصارى أو كانت في زعمهم مكاشفات وأنواراً وعلوماً إلهية (لدنية) فإن شيخه سيفرح بذلك ويطلب له المزيد.

يقول القشيري:

"وإذا التزم المريد استدامة الذكر وآثر الخلوة فإن وجد في خلوته ما لا يجده قلبه إما في النوم وإما في اليقظة أو بين اليقظة والنوم من خطاب يسمع أو معنى يشاهده مما يكون نقصاً للعادة فينبغي أن لا يشتغل بذلك البتة ولا يسكن إليه ولا ينبغي أن ينتظر حصول أمثال ذلك فإن ذلك كله شواغل عن الحق سبحانه ولا بد له في هذه الأحوال في وصف ذلك لشيخه حتى يصير قلبه فارغاً عن ذلك ويجب على شيخه أن يحفظ عليه سره فيكتم عن غيره أمره ويصغر ذلك في عينه فإن ذلك كله اختبارات والمساكنة إليها مكر فليحذر المريد عن ذلك وعن ملاحظاتها وليجعل همته فوق ذلك واعلم أن أضر الأشياء بالمريد استئناسه بما يلقى إليه في سره من تقريبات الحق سبحانه له ومنه بأني خصصتك بهذا وأفردتك عن أشكالك فإنه لو قال يترك هذا فمن قريب سيختطف عن ذلك بما يبدو له من مكاشفات الحقيقة وشرح هذه الجملة بإثباته في الكتب متعززة.." أ.هـ (القشيرية ص183،184)

وهذا الذي يقرره القشيري هنا فيه كثير من التلبيس الذي لا بد من بيانه فالشاهد فيه أولاً هو أن المريد لا يجوز له كتمان ما يطالعه مما يسمونه بالأنوار أو المكاشفات أو السماع من الملك أو مما نقض للعادة ويمثلون لذلك بسطوح الأنوار في الغرفة المظلمة مثلاً أو رفع سقفها أو رؤيته لشيخه أمامه أو حضور الرسول عنده ونحو هذا مما يدعونه من الخرافات والتهيؤات الشيطانية وذلك أن الأذكار التي تعطي للمريد بأعدادها الرهيبة وطرق أدائها كأن يكون الإنسان جاثياً على ركبتيه مغمضاً إحدى عينيه أو متجهاً ببصره شمالاً أو يميناً، وكذلك الجو المحيط بذلك من أظلام الغرفة، والمكث ساعات طوال على ذلك مع أعداد تربو أحياناً على عشرات بل مئات الآلاف من المرات.. كل ذلك مع انتظار حدوث أمر غريب يجعل المريد يفقد السيطرة على نفسه وأعصابه فتتهيأ له أمور كثيرة أو يتسلط الشيطان عليه لما هو فيه من البدعة والبعد عن هدي النبوة المستنير فيتلاعب به الشيطان فيتهيأ له أحياناً بصورة شخصية أو بصورة مكذوبة غير صورة الرسول ويلقي في روعه أنه رسول الله، وأنه يأمره بكذا وكذا.. وأحياناً ما يتهيأ له أن السقف انشق وأن الظلام الدامس قد تحول إلى نور ساطع، وأن الملائكة قد هبطت عليه، وهو في هذه الحالة الشيطانية من قراءة الأذكار المبتدعة التي تشتمل غالباً على أسماء الشياطين وتخليط بضع آيات من القرآن، مقطعة عن مواضعها موضوعة في غير أماكنها فتنزل عليهم الشياطين لذلك وتعبث بعقولهم وأفئدتهم وهذا ما عناه القشيري من أن المريد إذا شرع في الذكر فلا بد أن يرى شيئاً من ذلك فعليه كما زعم أن لا ينظر إلى شيء من ذلك البتة لأن كما قال شواغل الحق وهو يريد أن يرى الله وأن يصلي إلى الله نفسه لا إلى هذه الأمور العارضة.. وعليه بعد رؤيته لهذه الأمور أن يحكيها لشيخه ولا يخفيها عنه..

فهذا أحمد بن المبارك يصف حال المريد مع شيخه وينقل كلام شيخه عبدالعزيز الدباغ لهم فيقول:

"وكان (رضي الله عنه) يقول: لا تكتموا عني شيئاً من الأمور التي تنزل بكم في الدين والدنيا وأخبرونا حتى بالمعاصي التي تقع لكم وإن لن تخبروني أخبركم فإنه لا خير في صحبة يستر معها شيء من أحوال المتصاحبين وكان رضي الله عنه يقول أما أنا فلا أكتم عنكم شيئاً من أموري ثم يشرح لنا رضي الله عنه حاله حتى بلغ ذلك ويذكر لنا جميع ما وقع له من العاديات وغيرها، ويقول لنا (رضي الله عنه) إن لم أخبركم ولم أطلعكم على أحوالي فإن الله يعاقبني ويحاسبني لأنكم تظنون بي الخير فاصبروا حتى أذكر لكم الأمور الباطنية التي لم تطلعوا عليها فمن شاء منكم بعد ذلك أن يبقى معي فليبق وحينئذ يحل لي أكل طعامه وقبول هديته ومن شاء أن يذهب فليذهب فإن سكوتي عن ذكر تلك الأمور غش لكم وما كان رضي الله عنه لأصحابه إلا رحمة محضة يشفع لهم في زلاتهم ويتكفل لهم بنوائبهم ويتحلل لهم ما يخشون عاقبته ويهتم لأمرهم أكثر مما يهتم لأموره. وقال لي رضي الله عنه ذات يوم الرجل الذي لا يشاطر صاحبه في سيئاته ما هو بصاحب له وقال إن لم تكن الصحبة إلا على الحسنات فما هي بصحبة. وبالجملة فما كان رضي الله عنه لأصحابه إلا رحمة مرسلة من الله عز وجل فعلى مثله يبكي الباكون ولو رمنا تفصيل أعيان الجزئيات الواقعة لنا معه ولغيرنا في هذا الباب لطال الكلام" أ.هـ (الإبريز ص212).

قلت وهذا الكلام معناه في النهاية إيقاف المريد عارياً أمام شيخه وأستاذه وإيهامه بأنه إن لم يعترف بما عنده من الأسرار فإن الشيخ بنفسه يطلع على ذلك ونقل في هذا بيت صاحب الرائية:

سوى الشيخ لا تكتمه سراً فإنه بساحة كشف السر يجري على بحر

ويقول القشيري أيضاً:

"يجب عليه حفظ سره حتى عن زره إلا عن شيخه ولو كتم نفساً من أنفاسه عن شيخ فقد خانه في حق صحبته ولو وقع له مخالفة فيما أشار عليه شيخه فيجب أن يقر بذلك بين يديه في الوقت ثم يستسلم لما يحكم عليه به شيخه عقوبة له على جنايته ومخالفته إما بسفر يكلفه أو أمر ما يراه".

أي وعليه أن يستسلم إذا خالف هذا الأدب فكتم شيئاً عن الشيخ أن يستسلم لحكم الشيخ فيما يحكم عليه به، ويكون راضياً بذلك. وإذا كان القشيري قد قال مثل هذا الكلام منذ القرن الخامس الهجري فإن الصوفية قد نسجوا على منواله وساروا على أقدامه..

وجاء من زاد في هذه الأمور ووسع فيها أكثر من ذلك تحمل الشيخ للحمالات والذنوب ولعل كل ما مضى يهون إلا أن يجعل الصوفية الشيخ في مرتبة لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإيمان المريد متعلق بشيخه بل جميع أموره الدنيوية والأخروية لا نجاح ولا فلاح له فيها إلا إذا آمن بشيخه وجعله كل شيء في حياته. وفي ذلك يقول صاحب كتاب الإبريز:

"وقد سمعت الشيخ (رضي الله عنه) يقول: الشيخ للمريد في درجة لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإيمانه متعلق به، وسائر أموره الدنيوية والدينية وأرباب البصائر يشاهدون ذلك عياناً وكنت أخرج معه كثيراً رضي الله عنه وأنا لا أعرف درجته فكان يقول لي: مثلك مثل من يظل يمشي على عالي أسوار المدينة وشرفاتها مع ضيق المحل الذي تجعل فيه رجلك وبعد محل السقوط فلم أفهم معنى هذا الكلام إلا بعد حين فكان بعد ذلك إذا جرى هذا الكلام على خاطري يحصل لي منه روع عظيم وخوف شديد وقلت له ذات يوم: إني أخاف من الله تعالى من أمور فعلتها فقال لي: ما هي؟ فذكرت له ما حصل. فقال لي (رضي الله عنه): لا تخف من هذه الأشياء ولكن أكبر الكبائر في حقك أن تمر عليك ساعة ولا أكون في خاطرك فهذه هي المعصية التي تضرك في دينك ودنياك!! وقلت له ذات مرة: يا سيدي إني بعيد من الخير. فقال رضي الله عنه: اطرح عنك هذا وانظر إلى منزلتك عندي فعليها تحمل وكنا معه رضي الله عنه على حالة قل أن يسمع بمثلها لا ينزل أمر مهم أو غير مهم إلا ذكرناه له فيتحمله عنا عياناً ويريح خاطرنا منه بمجرد ذكره" أ.هـ.

وقد بلغ هذا النص الغاية في القباحة والبعد عن الدين لأن الشيخ هنا يجعل نفسه مكان الله سبحانه وتعالى حيث يذكر لمريده أنه إذا مرت ساعة ولا يكون الشيخ في خاطر مريده كانت هذه معصية ضارة عليه في دينه ودنياه.. وهذا حق ما أوجبه الله تعالى لنفسه على عبيده بمثل هذا النحو بل رضي الله سبحانه من العباد أن يذكروه في أوقات مخصوصة وجوباً كالصلاة وعند أعمال محدودة كالطعام والشراب ونحو ذلك. أما أن تمضي ساعة ولا يذكر المرء فيها ربه ويكون لاهياً في عمل مباح غير مضيع لواجب فإن هذا لا ضرر فيه على دين المرء أو دنياه، ولكن هؤلاء المشايخ أنزلوا أنفسهم من مريديهم -أو من عبادهم- هؤلاء المساكين! الذين يضلونهم، منزلة الله، بل جعلوا حقوقهم على مريديهم أعظم من حقوق الله سبحانه وتعالى.

8- ترك العهد الصوفي كفر وردة:

وبعد فقد يظن أن المريد الذي يلقى مثل هذه الأهوال في طريق التصوف يمكنه أن ينفلت في النهاية فيما لو استيقظ فكره، أو صحا ضميره وهذا ظن بعيد ولكن من أجل هذه اليقظة المحتملة أيضاً قفل مشايخ التصوف الطريق نهائياً أمام المريد حتى لا يحاول النكال من ربقته؛ فقد جعلوا الخروج من عهد الشيخ خروجاً من الإسلام. والعهد الصوفي يؤخذ على المبتدئ والمريد في أول الطريق بأن يلتزم بالدين ويتوب مما كان عليه ويقول: تبت إلى الله على يد الشيخ فلان، وعاهدت الله أن ألتزم طريقته وأن لا أبوح بسره إلا بإذن من الشيخ وأن..

وفي هذا الأمر يقل عبدالكريم القشيري مبيناً الوقت الذي يعطي في المريد العهد، وأنه يجب عليه التزام الطريق مهما حدث له من المشقات، يقول:

"وما لم يتجرد المريد عن كل علاقة لا يجوز لشيخه أن يلقنه شيئاً من الأذكار بل يجب أن يقدم التجربة له فإذا شهد قلبه للمريد بصحة العزم فحينئذ يشترط عليه أن يرضى بما يستقبله في هذه الطريقة من فنون تصاريف القضاء فيأخذ عليه العهد بأن لا ينصرف عن هذه الطريقة بما يستقبله من الضر والذل والفقر والأسقام والآلام وأن لا يجنح بقلبه إلى السهولة ويترخص عن هجوم الفاقات وحصول الضرورات ولا يؤثر الدعة ولا يستشعر الكسل فإن وقفة المريد شرّ من فترته والفرق بني الفترة والوقفة أن الفترة رجوع عن الإرادة وخروج منها والوقفة سكون عن السير باستحلاء حالات الكسل وكل مريد وقف في ابتداء إرادته لا يجيء منه شيء فإذا جربه شيخه فيأمر أن يذكر ذلك الاسم بلسانه ثم يأمره أن يسوي بقلبه مع لسانه ثم يقول له: اثبت على استدامة هذا الذكر كأنك مع ربك أبداً بقلبك ولا يجري على لسانك غير هذا الاسم ما أمكنك" أ.هـ (الرسالة القشيرية ص182).

وهكذا يكون العهد بعد التأكد من المريد تماماً، ويكون التزام المريد بالذكر المخصوص الذي يلقيه إليه الشيخ. ولا يجوز له أن يذكر باسم آخر إلا بإذن الشيخ له. ومعلوم ما في هذه الأمور من المخالفات الشرعية فالعهد لا يجوز إلا على الإسلام وعلى بيعة الإمام أو على فعل أمر من أمور الإسلام لا يحل به المسلم حراماً ولا يحرم حلالاً وطاعة الإمام تجب في المعروف فقط. أما في أن يخترع الشيخ للمريد أذكاراً خاصة ويعاهده على عدد لا مخصوص وأعمال مخصوصة فهذا لم يأت به الشرع الحكيم وإنما هذا من بدع الصوفية. ولا سيما أنهم يأمرونهم بأن يذكروا الله باسم واحد من أسمائه أو بمجرد ضمير كهو هو وهذه كلها من البدع التي لم يأمر بها الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم. ثم يقول القشيري أيضاً:

"ومن شأن المريد حفظ حدوده مع الله تعالى فإن نقض العهد في طريق الإشادة كالردة عن الدين لأهل الظاهر" أ.هـ (القشيرية ص186).

وبهذا يغلق الطريق نهائياً أمام المريد الذي قد يريد فكاكاً مما دخل فيه إذا اطلع على تهاويل التصوف وترهاته.

الفصل الرابع

الطرق الصوفية

تاريخ نشأة الطرق الصوفية:

يبدو أن أول صوفي وضع نظام الطرق الصوفية هو الصوفي الإيراني محمد أحمد الميهمي المتوفي سنة 430هـ والمعروف باسم أبي سعيد. فقد أقام في بلدته نظاماً للدراويش، وبنى خاناً بجوار منزله للصوفية، وجعل نظام تسلسل الطريق عن طريق الوراثية، ويبدو كذلك أنه من أوائل من كتب في طريقة التربية الصوفية وهو سابق على عبدالكريم القشيري صاحب الرسالة القشيرية والتي كتب فيها صاحبها أيضاً طائفة كبيرة من طرق التربية الصوفية والقشيري توفي سنة 465هـ وكان مولده سنة 376هـ وأما مولد أبي سعيد فقد كان في سنة 357هـ فهو أكبر من القشيري وأقدم. وقد قيل إنه اتصل بعبدالرحمن السلمي، صاحب كتاب الطبقات، وأخذ عنه الحرقة الأولى، واتصل كذلك بأبي العباس القصاب وأخذ عنه الحرقة الثانية. وقد انتشر بعد ذلك في القرنين الخامس والسادس الهجريين نظام الطرق الصوفية وانتقلت من إيران إلى المشرق العربي فظهرت الرفاعية والقادرية في العراق، والأحمدية والشاذلية في مصر، ثم ظهرت بعد ذلك الدسوقية في مصر أيضاً، ثم تتابع ظهور الطرق الجديدة وكذلك الطرق المتفرعة من طرق قديمة حتى أصبحت الطرق تعد بالآلاف.

وغالباً ما تسمى الطريقة باسم مؤسسها، وأحياناً تسمى باسم خاص (كالختمية) مثلاً (والزوامة) نسبة إلى الزم لأن ذكرهم (بالزوم) (وهي كلمة عامة مصرية معناه إخراج صوت معروف يخرج من الأنف والفم مقفول بعد الميم).

معنى الطريقة الصوفية:

الطريقة الصوفية تعني أولاً النسبة إلى شيخ يزعم لنفسه الترقي في ميادين التصوف والوصول إلى رتبة الشيخ المربي. ويدعي لنفسه بالطبع رتبة صوفية من مراتب الأولياء عند الصوفية كالقطب والغوث والوتد والبدل.. الخ.

ولا بد أن يكون من أهل الكرامات والمكاشفات، ويكون له بالطبع ذكر خاص به، يزعم كل واحد منهم أنه تلقاه من الغيب إما من الله رأساً، أو نزل منه سبحانه مكتوباً، أو من الرسول صلى الله عليه وسلم في اليقظة أو في المنام، أو من الخضر عليه السلام.. المهم لا بد أن يكون له ذكر خاص ينفرد به عن سائر الطرق، ولا بد أن يكون لهذا الذكر الخاص ميزة خاصة وفضل خاص أكبر من الموجود في القرآن والسنة، وأفضل مما عند الطرق الأخرى وهذا بالطبع لجلب (الزبائن) لهذا الطريق الخاص. ثم لا بد أن يكون لكل طريق مشاعر خاصة فلون العلم والخرقة لون مميز، وطريقة الذكر الصوفي مميزة، ونظام الخلوة مميز، وهكذا؛ والطرق الحديثة غالباً ما يتوارثها الأبناء عن الآباء وذلك أن الطريقة التي تستطيع جلب عدد كبير من المريدين والتابعين والأنصار تصبح بعد مدة يسيرة إقطاعية دينية عظيمة تفد الوفود إلى رئيسها (شيخها) من كل ناحية، وتأتيه الإتاوات والصدقات والهبات والبركات من كل حدب وصوب وحيثما حل الشيخ في مكان ذبحت الطيور والخرفان وأقيمت الموائد الحسان، ولذلك فإن أصحاب هذه الطرق يقاتلون اليوم عنها بالسيف والسنان.

وعامة الذين يؤسسون الطرق بل جميعهم يصلون نسبهم بالرسول صلى الله عليه وسلم ويجعلون أنفسهم من آل بيته.

نماذج من الطرق الصوفية:

الطريقة التجانية

1- تنسب الطريقة التجانية إلى أحمد بن محمد بن المختار التجاني المولود سنة 1150هـ 1737م ونسبته إلى بلدة تسمى (بني توجين) قرية من قرى البربر في المغرب، وينسب نفسه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كما عادة كل من أسس طريقة صوفية. سار أولاً في الطريقة (الخلوتية).

2- ثم أسس طريقة لنفسه سماها باسمه بعد أن استقر في مدينة فاس بالمغرب وبنى فيها زاوية لمريديه. ويقول صاحب كشف الحجاب عن هذه الزاوية "كانت خربة متهدمة من ملك أولاد أفومي وكانت فيها كرمة كبيرة وكانت تلك الخربة مهيبة لا يقدر أحد أن يدخلها وحده، وقد بلغني على لسان الثقة أنه كان يسمع فيها بعض الأحيان كأن جماعة يذكرون فيها وكان يقصدها غالب مجاذيب فاس" أ.هـ. ولم يترك التجاني هذا أي علم ينتفع به ولكن جمع له تلميذ من تلاميذه يسمى علي حرازم كتاباً سماه (جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني).. والكتاب كله في فضل سيده وكراماته وأخلاقه وشمائله وأذكاره وأحواله وطريقته، وإشاراته القرآنية وعلومه اللدنية..

3- ولم يترك التجاني هذا بدعة قديمة للتصوف إلا ابتدعها ولا فضلاً مزعوماً ادعاه شيخ صوفي لنفسه إلا ادعاه هو لنفسه وزاد عليه. فقد ادعى أنه هو خاتم الأولياء جميعاً والغوث الأكبر في حياته وبعد مماته، وأن أرواح الأولياء منذ آدم إلى آخر ولي لا يأتيها الفتح والعلم الرباني إلا بوساطته هو، وأن قدمه على رقبة كل ولي لله تعالى من خلق آدم إلى النفخ في الصور، وأنه أول من يدخل الجنة هو وأصحابه وأتباعه، وأن الله شفعه في جميع الناس الذين يعيشون في قرنه الذي عاش فيه، وأن الرسول أعطاه ذكراً يسمى صلاة الفاتح يفضل أي ذكر قرئ في الأرض ستين ألف مرة بما في ذلك القرآن الكريم، وهاك بعض النصوص من كتب التجانية لكل هذه الأمور.

أ- إيمانهم بوحدة الوجود وأن كل الأديان حق:

قال أحمد بن حرازم، مؤلف جواهر المعاني، وهو أشهر كتاب عندهم كما مر آنفاً:

".. فكل عابد أو ساجد لغير الله في الظاهر فما عبد ولا سجد إلا لله تعالى لأنه هو المتجلي في تلك الألباس، وتلك المعبودات كلها تسجد لله تعالى وتعبده وتسبحه خائفة من سطوة جلاله سبحانه وتعالى، ولو أنها برزت لعبادة الخلق وبرزت لها بدون تجلية فيها لتحطمت في أسرع من طرفة العين لغيرته تعالى لنسبة الألوهية إلى غيره قال سبحانه وتعالى لكليمه موسى: {إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني} والإله في اللغة هو المعبود بحق وقوله {لا إله إلا أنا} يعني لا معبود غيري وإن عبد الأوثان من عبدها فما عبد غيري، ولا توجهوا بالخضوع والتذلل لغيري" (جواهر المعاني ص184،185 ج1).

وقال أيضاً:

".. إن جميع المخلوقات مراتب للحق يجب التسليم له في حكمه وفي كل ما أقام خلقه لا يعارض في شيء ثم حكم الشرع من وراء هذا يتصرف فيه ظاهراً لا باطناً لا يكون هذا إلا لمن عرف وحدة الوجود فيشاهد فيها الوصل والفصل، فإن وجود عين واحدة لا تجرؤ فيها على كثرة أجناسها وأنواعها ووحدتها لا تخرجها عن افتراق أشخاصها بالأحكام. والخواص وهي المعبر عنها عند العارفين أن الكثرة عين الوحدة والوحدة عين الكثرة فمن نظر إلى كثرة الوجود وافتراق أجزائه نظر عيناً واحدة على كثرته، ومن نظر إلى عين الوحدة نظرة متكثر بما لا

غاية له من الكثرة، وهذا النظر للعارف فقط لا غيره من أصحاب الحجـاب وهـذا لمن عاين الوحدة ذوقاً لا رسماً وهذا خارجاً عن القال.." (جواهر المعـاني ص92 ج2).

ب- تفضيلهم ما يسمونه بصلاة الفاتح على القرآن الكريم:

ومن أعظم جرائمهم أيضاً وأكبر مفترياتهم ابتداعهم وتفضيلهم ذكراً مبتدعاً سيء المعنى ركيك العبارة، على كل ذكر قرئ في الأرض، وجعلهم قراءتـه أفضـل من قراءة القرآن الكريم ستين ألف مرة وهو لا يعدو ثلاثة أسطر وهذا الذكر المبتدع هو:

"اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخـاتم لمـا سـبق، ناصـر الحـق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قـدره ومقـداره العظيم".. أ.هـ (أحزاب وأوراد التجاني تحقيق محمد الحافظ).

ولا يخفى على عالم بالعربية ركاكة لفظ هذه الصلاة وما فيها من المجاهيـل فمـا هـو الـذي أغلـق وفتحـه الرسـول.. ومـا هـو الـذي سـبق؟! وكيـف يكـون هـذان السطران أفضل من القـرآن الكـريم المعجـز..؟ ولا عجب في هـذا الكـذب فقـد زعموا أيضاً أنها نزلت من السماء. فقد قال الفوطي مؤلـف كتـاب (رمـاح حـزب الرحيم): "ويجب أن يعتقد الذاكر أنها من كلام الله" (رماح حزب الـرحيم ج2 ص 139)، وقال مؤلف كتاب (الدرة الخريدة): "ويعتقد المصلي أنها في صـحيفة من نور أنزلت بأقلام قدرة إلهية وليست من تأليف زيد ولا عمـرو بـل هي من كلامـه سبحانه وتعالى" (الدرة الخريدة ج4 ص128)، وقال صاحب الجواهر أيضاً:

".. إنها لم تكن من تأليف البكـري ولكنـه توجـه إلى اللـه مـدة طويلـة أن يمنحـه صلاة على النبي صلى الله عليه وسـلم فيهـا ثـواب جميـع الصـلوات وسـر جميـع الصلوات وطال طلبه مدة ثم أجاب الله دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة المكتوبة في صحيفة النور ثم قـال الشـيخ فلمـا تـأملت هـذه الصـلاة وجـدتها مكتوبـة في صحيفة من النور ثم قال الشيخ فلما تأملت هـذه الصـلاة وجـدتها لا تزنهـا عبـادة جميع الجن والإنس والملائكة قال الشيخ وقد أخبرني صلى الله عليـه وسـلم عن ثواب الاسم الأعظم فقلت: إنها أكثر منه فقـال صـلى اللـه عليـه وسـلم بـل هـو أعظم منها ولا تقوم له عبادة" (الجواهر ص96) أ.هـ.

وقال في بيان فضلها:

"وأما فضل صلاة الفاتح لما أغلق الخ.. فقد سـمعت شـيخنا يقـول كنت مشـتغلاً بـذكر صـلاة الفـاتح لمـا أغلـق حين رجعت من الحج إلى تلمسـان لمـا رأيت من فضلها وهو أن المرة الواحدة بستمائة ألف صلاة كما هو في وردة الجيـوب. وقـد ذكر صاحب الوردة أن صاحبها سيدي محمد البكري الصـديقي نزيـل مصـر وكـان قطبـاً. قـال إن من ذكرهـا ولم يـدخل الجنـة فليقبض صـاحبها عنـد اللـه، وبقيت أذكرها إلى أن رحلت من تلمسان إلى أبي سمعون فلما رأيت الصلاة الـتي فيهـا المرة الواحدة بسبعين ألـف ختمـة من دلائـل الخـيرات تـركت الفـاتح لمـا أغلـق واشتغلت بها وهي (اللهم صـل على سـيدنا محمـد وعلى آلـه صـلاة تعـدل جميـع صلوات أهل محبتك وسلم على سـيدنا محمـد وعلى آلـه سـلاماً يعـدل سـلامهم) ولما رأيت فيها من كثرة الفضل ثم أمرني بالرجوع صـلى اللـه عليـه وسـلم إلى صلاة الفاتح لما أغلق فلما أمرني بالرجوع إليها سألته صلى الله عليه وسـلم عن فضلها فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منهـا تعـدل من القـرآن سـت مـرات، ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كـل

ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مـرة لأنـه من الأذكـار.." (جواهر المعاني ج1 ص94) أ.هـ.

وقلت: ولا يخفى ما في هذا من الكذب والتلفيق، ولا يخفى أيضاً أن تصديق مثـل هذه الترهات تكذيب لله ولرسوله فقد قال تعالى {يا أيها الرسـول بلـغ مـا أنـزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته} وقال تعـالى: {اليـوم أكملت لكم دينكم} ومسـتحيل أن يحجب الرسـول مثـل هـذا الفضـل عن أفضـل أمتـه هم أصحابه الأطهار، ويؤثر بذلك مجموعة من خدم وعبيد الكفـار والاسـتعمار عاشـوا في شمال إفريقية على أكل أموال الناس بالباطـل وخدمـة الفرنسـيين وتضـليل المسلمين وصرفهم من التوحيد إلى الشرك ومن الصراط المسـتقيم إلى طـرق الشياطين.

ولا غرو فقد فضل التجاني هذا نفسه على جميع الصحابة والتابعين وجميـع الأمـة أجمعين وادعى الولايـة العظمى والغوثيـة وختم الأوليـاء (انظـر الفصـل الخـاص بخاتم الأولياء).

ج- ادعاء التجاني أن أتباعه يدخلون الجنة مهما عصوا:

وادعى التجاني ما لم يعطه الله لرسوله من الشفاعة من أن من رآه دخل الجنة ولو كان كافراً، وأن جميع آبائه وأمهاته في الجنة، وجميع أتباعه.

قال صاحب الرماح:

".. وليس لأحد من الرجال أن يدخل أصحابه كافة الجنة بغـير حسـاب ولا عقـاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي، ووراء ذلك ما ذكر لي فيهم وضمنه لهم صلى الله عليه وسلم أمر لا يحل ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا في الآخرة.." (رماح حزب الرحيم ص143 ج2) أ.هـ.

وقال مؤلف الجواهر: "اطلعت على ما رسـمه وخطـه ونصـه.. أسـأل من فضـل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسـلم أن يضـمن دخـول الجنـة بلا حسـاب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى، أنا وكل أب وأم ولدوني من أبوي إلى أول أب وأم لي في الإسلام من جهة ومن جهة أمي، من كـل مـا تناسـل منهم من وقتهم إلى أن يموت سيدنا عيسى بن مريم من جميع الذكور والإناث. وكـل من أحسـن إلي بإحسان حسي أو معنوي من مثقال ذرة فـأكثر.. فكـل من لم يعـادني من جميـع هؤلاء. أما من عاداني وأبغضني فلا، وكل من والاني واتخذني شيخاً أو أخـذ عـني ذكراً، وكل من خدمني أو قضى لي حاجـة.. وآبـاؤهم وأمهـاتهم وأولادهم وبنـاتهم وأزواجهم.. يضمن لي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولجميـع هـؤلاء أن يمـوت كـل حي منهم على الإيمـان والإسـلام.. ثم قـال كـل مـا في هـذا الكتـاب ضمنته لك ضمانة لا تتخلف عنك وعنهم أبداً، إلى أن تكون أنت وجميع من ذكرت في جواري في عليين.

وضمنت لك جميع ما طلبته منا ضماناً لا يخلـف عليـك الوعـد فيهـا والسـلام.. ثم قال: وكل هذا واقع يقظة لا مناماً" (جواهر المعاني ج21 ص130،131).

قلت: لم أجد في حياتي كذباً أسمج، ولا وقاحة، ولا تقولاً على الله ورسالاته أكـبر من ذلك.. فماذا كان عند هـذا الـوقح من دين وإسـلام حـتى يضـمن الرسـول لـه ذلك، وهذا الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يقول [واللـه إني لرسـول اللـه لا أدري ما يفعل بي غداً] (رواه البخاري)، والذي يقول الله تبارك وتعالى لـه: {قـل

إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً* قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً} (الجن:21-22).

فيأتي هذا الكذب ليفتري على الله أمثال هذه الافتراءات ويأبى الله إلا أن يكذبه فيكون أتباعه وأولاده أفضل خدم للكفر والاستعمار.. وقال أيضاً مؤكداً هذه المزاعم: "وسألته صلى الله عليه وسلم لكل من أخذ عني ورداً أن تغفر لهم جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر، تؤدي عنهم تبعاتهم من خزائن فضل الله لا من حسناتهم، وأن يدفع الله عنهم محاسبته على كل، وأن يكونوا آمنين من عذاب الله من الموت إلى دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى، وأن يكونوا معي في عليين في جوار النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ضمنت لك هذا ضماناً لا ينقطع حتى تجاورني أنت وهم في عليين" (الجيش الكفيل بأخذ الثأر ص214،215) أ.هـ.

فانظر أي أخلاق يكون عليها الذين يدعون مجاورة النبي صلى الله عليه وسلم في عليين.

ولم يكتف التجاني بهذا أيضاً فقد زعم كذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يفارقه يومي الاثنين والجمعة من كل أسبوع، وأن مع الرسول سبعة أملاك وكل من رأى التجاني في هذين اليومين، تكتب الملائكة اسمه في رقعة من الذهب ويكون ناجياً أبداً ومن أهل السعادة حتى ولو كان كافراً عند مشاهدته للتجاني فإنه لا بد أن يموت على الإسلام، وأن هذا كرامة من الله له.

قال صاحب بغية المستفيد شرح منية المريد (هو محمد العربي السائع العمري التجاني وكتابه شرح لمنية المريد وهي من تأليف أحمد التجاني بن بابا الشنقيطي العلوي (التجانية تأليف علي بن محمد بن الدخيل الله ص76)): "وأما الكرامة الثالثة وهي دخول الجنة لمن رآه رضي الله عنه في اليومين الاثنين والجمعة، فهي من كراماته رضي الله عنه التي طارت بها الركبان وتواترت بها الأخبار في سائر الأقطار والبلدان، بأخبار من النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه الشريف فيما أخبر به سيدنا رضي الله عنه بعزة ربي، يوم الاثنين والجمعة لا أفارقك فيهما من الفجر إلى الغروب ومعي سبعة أملاك، وكل من يراك في اليومين يكتبون -يعني الأملاك السبعة- اسمه في رقعة من ذهب ويكتبونه من أجل الجنة وأنا شاهد على ذلك" (بغية المستفيد ص216).

وقال أيضاً: "ورأيت في كلام بعض من كان مشاراً إليه بالفتح من الأصحاب ما يشير إلى أن المختص برئيه في اليومين هو السعادة التي لا شقاوة بعدها يعني أنه لا يراه في هذين اليومين إلا من سبق في علم الله تعالى أن يكون سعيداً، فيدخل الكفار في هذا الخطاب، وينسحب عليهم الحكم في هذا المقام بفضل الملك الوهاب فيقال لا يراه في هذين اليومين إلا من يسبق في علم الله تعالى أنه يختم له بالسعادة كائناً من كان، فإذا رآه الكافر في أحد هذين اليومين ختم له بالإيمان وعليه فتخصص الرؤية المطلقة في كل يوم بمن كان مسلماً سواء كان من الأصحاب أو لا حسبما هو مصرح به في الجواهر وهذه المقيدة باليومين بما يشمل كل من رآه ولو كان كافراً" (بغية المستفيد ص275) أ.هـ.

وهذا الذي ادعاه التجاني لنفسه لم يحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فمعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم رآه آلاف الناس من الكفار في كل أيام الأسبوع ومع ذلك فقد ماتوا على الكفر والشرك بل كان هناك معه من الذين صحبوه، وجاهدوا وصلوا معه، منافقون مردوا على النفاق، بل كان منهم من قال

الله له في شأنهم {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم} (التوبة:80).

وكذلك كان من أصحابه أناس يعرفهم الرسول ويعرفونه ويوم القيامة يؤخذ بهم جهة النار ويطردون عن حوضه صلى الله عليه وسلم فيقول للملائكة أصحابي أصحابي فيقولون: ليسوا أصحابك إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك. (رواه البخاري ومسلم).

فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم هذا شأنه فيمن رآه، وهذا شأنه مع أصحابه فماذا يكون زعم التجاني إلا أنه كذب سمج وقح.. ووالله إني لا أرى الرد على أمثال هذه الترهات ولكننا مضطرون أحياناً أن نذكر بالآيات والأحاديث وموازين الدين وقواعد الشريعة لأن بعض الناس قد يسمعون بمثل هذه السخافات ولا يستطيعون التمييز بين النبي الصادق والدعي الكذاب وبين عقيدة الإسلام الطيبة وعقائد الزنادقة ولذلك فإننا نضطر أحياناً أن نقابل هذا الهراء الذي لا ينطلي حتى على الصبيان والمجانين بالآيات والأحاديث فاللهم معذرة أن نخاطب بكلامك الطيب وبكلام رسولك الصادق الأمين أمثال هؤلاء الكاذبين الزنادقة.

د- زعم التجانية رؤية الرسول في اليقظة والأخذ عنه:

ومن خرافات التجانية أيضاً وافتراءاتهم زعمهم رؤية النبي صلى الله عليه وسلم دائماً، وحضوره وحاشاه صلى الله عليه وسلم مجالس ذكرهم المبتدعة وهذه أقوالهم في ذلك:

1- قال في جواهر المعاني: "قال رضي الله عنه: أخبرني سيد الوجود يقظة لا مناماً قال لي: أنت من الآمنين، ومن رآك من الآمنين إن مات على الإيمان.." (جواهر المعاني ج1 ص129).

2- وقال أيضاً: ".. سأل سيد الوجود، وعلم الشهود، صلى الله عليه وسلم في كل نفس مشهود، عن نسبه وهل هو من الأبناء والأولاد، أو من الآل والأحفاد، فأجابه صلى الله عليه وسلم بقوله: (أنت ولدي حقاً) كررها ثلاثاً صلى الله عليه وسلم، وقال نسبك إلى الحسن بن علي صحيح. وهذا السؤال من سيدنا رضي الله عنه لسيد الوجود يقظة لا مناماً، وبشر صلى الله عليه وسلم بأمور عظام جسام صلى الله عليه وسلم وشرف وكرر ومجد وعظم" (جواهر المعاني ج2 ص228).

3- وقال أيضاً عن الصلاة المسماة بياقوتة الحقائق: "هي من إملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من لفظه الشريف على شيخنا يقظة لا مناماً" (جواهر المعاني ج1 ص30،31).

4- وقال أيضاً فيما يرويه عن شيخه التجاني: "قال رأيته مرة صلى الله عليه وسلم، وسألته عن الحديث الوارد في سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام. قلت له: ورد عنك روايتان صحيحتان واحدة قلت فيها يمكث بعد نزوله أربعين، وقلت في الأخرى سبعاً.. ما الصحيحة منها؟ قال صلى الله عليه وسلم: رواية السبع" (جواهر المعاني ج1 ص50).

وهذا الذي يزعم التجاني أنه استفاد من الرسول في اليقظة. بشأن ترجيح (رواية سبعة أيام على أربعين يوماً) قد سرقه التجاني من كتاب الإبريز للدباغ فهناك قد زعم الدباغ أيضاً أنه استفاد هذا من الرسول.. وقد كان هذا الشأن التجاني دائماً.. كلما سمع أن أحداً سبقه من رجال التصوف في قول أو نحوه

قال نحوه وزاد؛ كما سمع أو قـرأ أن عبـدالقادر الجيلاني قـال عن نفسـه قـدماي هاتان على رقبة كل ولي لله.. فقال التجاني وأما أنـا فـأقول قـدماي هاتـان على رقبـة كـل ولي للـه من خلـق آدم إلى النفخ في الصـور.. وسـمع أو قـرأ أن ابن عربي قال إنه خاتم الأوليـاء فقـال بـل أنـا خـاتم الأوليـاء وهكـذا فقـد ردد معظم الكذب الذي سبقه به شياطين التصوف القدامى وزاد عليهم.

ونعود فنقول إن التجانية لم يجعلوا رؤية الرسول في اليقظة خاصة بالتجاني بـل جعلوها بكل من زعموا أنه بلغ درجة العرفـان في زعمهم وهـاك بعض نصوصـهم في ذلك:

1- قال في رماح حزب الرحيم: "ولا يكمل العبد في مقـام العرفـان حـتى يصـير يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة.. الخ" (الرماح ص199 ج1).

2- وقـال في بغيـة المسـتفيد: ".. منهم من يـرى روحـه في اليقظـة متشـكلة بصورته الشريفة، ومنهم من يرى حقيقة ذاته الشريفة وكأنه معه في حياته صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء هم أهل المقام الأعلى في رؤيته صلى الله عليه وسـلم" أ.هـ (بقية المستفيد ص79،80).

* وهذا هو الذي نبهنـا عليـه في أول الكتـاب أن المفـترق الأول بين دين الإسـلام ودين التصوف هـو الافـتراق في التلقي بينمـا يتلقى المسـلمون دينهم بعـد وفـاة الرسول من الكتاب والسنة وإجماع الأمة فقط هذا هـو المعصـوم ثم من اجتهـاد الأئمـة المعـرض للصـواب والخطـأ، أقـول بينمـا يفعـل المسـلمون ذلـك، فـإن المتصوفة يجعلون تلقيهم للـدين من كـل هب ودب ممن يـزعم ملاقـاة الرسـول وهذا كذب بإجماع الأمة. أو ملاقاة الخضر وهذا كذب وافتراء بين فلم يتعبدنا الله بخضر أو بغيره أو ممن يـزعم رؤيـة الملائكـة وسـماع دينهم أو ممن يـزعم تلقي الدين من اللوح المحفوظ رأساً وممن يتجاوز كل ذلـك فيقـول حـدثني قلـبي عن ربي.. أو من يقـول يـأتيني كلام اللـه مكتوبـاً في ألـواح من نـور.. فكـل مشـايخ التصوف رسل وأنبياء ومشرعون ومتلقـون للـدين من طـرق أخـرى غـير طريـق المسلمين وبهذا تتأكد أن دين هؤلاء حتماً ليس بدين المسلمين.. وأنهم يفـترقون عن المسلمين في الأصل الأصيل وهو مصدر الدين.

ولـو فرضـنا جـدلاً أن الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم يمكن أن يعـود بجسـده الشريف أو روحه الطـاهر صـلى اللـه عليـه وسـلم ليلقى بعض المسـلمين فإننـا نجزم أن لقاءه هذا سيكون لتعزيز شريعته التي بثها في حياته لا لهدمها، فنتصـور مثلاً في مثل التجاني أن يقول لا تكن أنت وأتباعك عبيداً للاستعمار الفرنسـي ولا خدماً للكفار، وقوموا بنصرة الدين، وجاهدوا في سبيل اللـه وأمـا أن يـأتي النـبي صلى الله عليه وسلم ليقول للتجاني أقطعتك الجنة وأتباعك ولـو كـانوا مجـرمين فاسقين وكل من رآك دخل الجنة ولو كـان كـافراً، وأمـر أتباعـك أن يـدعوك من دون الله ويشـركوا باللـه في كـل شـيء. يـأتي بـآخر فيقطعـه قطعـة من الجنـة ويؤمنه من العـذاب ويقـول لا حـرج عليـك وعلى أتباعـك واعمـل مولـداً لنفسـك ومولداً لي تستباح فيه الحرمات وتهتك فيه الأعراض ولا حرج عليك من ذلـك لأن كل ذنوب أصحابك أنا أغفرها لكم.. هذه هي المهمة التي بقيت لرسـول اللـه في الأرض.. يا سبحان الله كم يكذب هؤلاء على الله وعلى رسوله وهم لا يستحون.

هـ- دعوة التجانية إلى الشرك الجلي:

والطريقة التجانيـة كغيرهـا من الطـرق رأس مالهـا وقطب رحاهـا في الـدين أن تـدعو النـاس إلى الشـرك بالله فبـدلاً من دعـوة النـاس إلى الصـلاة الصـحيحة، والصوم الصحيح المشروع والحج، والزكاة، والجهاد في سبيل اللـه قـد اسـتبدلوا كل ذلك بوسيلة واحدة وهي الاستغاثة بالمشايخ ودعوتهم من دون الله والالتجـاء بهم إلى الله والاعتقـاد أن اللـه لا يقبلهم إلا عن طريـق هـؤلاء الشـيوخ الضـالين بزعم أن هؤلاء المشايخ هم أبواب الله، ولا دخول على اللـه إلا من طـريقهم، ولا قبول لتوبة تائب إلا برضاهم، وأي قربان أو زكاة لا تقبل إلا إذا كانت أيـدي هـؤلاء المشـايخ أول من يلتقطهـا، وأول من يأكلهـا.. هـذا هـو دين الصـوفية في نهايتـه إخراج الناس من عبادة الله عز وجل إلى عبادة هؤلاء المشايخ أحياءً وأمواتاً..

قال مؤلف رماح حزب الرحيم: "وأما كيفية التوسـل بـه رضـي اللـه عنـه وبجـده صلى الله عليه وسلم فهي أنك مهما أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فصـل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة الفاتح لما أغلق مائـة، واهـد ثوابهـا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قضـاء الحاجـة الـتي تريـدها ثم تقـول: يـا رب توسلت إليك بجاه القطب الكامل سيدنا أحمد بن محمد التجاني وجاهه عندك أن تعطيني كذا وكذا، وتسمي حاجتك بعينها عشراً" أ.هـ (الرماح ج1 ص165).

وهكـذا لا يوجهـون النـاس في الملمـات والمهمـات إلا إلى التوجـه إلى الرسـول والتجاني.. وعلى الرغم من أن التوسل إلى الله بالنبي بعد موته بدعة منكـرة لم يفعلها أحد من سلف الأمة المشهود لهم بالخير، فإن اقتران اسم الرسول صـلى الله عليه وسلم باسم هـذا الـدعي الكـذاب من أكـبر الإثم والـزور والجـرأة على الله..

والعجيب في أمر التجانية أيضاً أنهم جعلوا التوسل بالأموات عنـد أتبـاعهم خاصـاً بالرسول والتجاني فقط، وأنه من توسل منهم بغير الرسول والتجاني فإنه يخـرج من الطريقة خروجاً نهائياً وينسلخ منها انسلاخاً كاملاً لا رجعة فيه كما ينسلخ جلـد الشاة عن الشـاة والبيضـة عن الدجاجـة؛ ومعلـوم أن جلـد الشـاة إذا سـلخ منهـا يستحيل إعادته إليها وأن بيضة الدجاجـة إذا انفصـلت عنهـا يتعـزز إعادتهـا إليهـا.. فانظر كيف حكموا بأكبر من الردة عن الدين لمجرد أن واحداً منهم توسل بشيخ غير شيخهم.

قال مؤلف الدرة الخريدة: "ومن زار من الإخوان الأحمـديين شـيخاً من المشـايخ حياً كان أو ميتاً بقصد التوسل به والاستمداد غير شيخنا أبي الفيض (شـيخهم أبـو الفاضل هو أحمد التجاني والفيض في زعمهم هو علم الغيب والخير الذي يفيضـه على أتباعه).. فقد خرج عن طريقة الأحمدية ولا إذن عنده فيها، بـل انسـلخ منهـا انسلاخ الجلد عن النعاج وانفصل عنها انفصال البيض عن الـدجاج.." أ.هــ (الـدرة الخريدة).

فـانظر كيـف يكـون الاسـتعباد والاسـتبداد وضـرب طـوق جهنمي عمن وقـع في شباكهم أن لا يتصل بشيخ آخر مطلقاً ولا يعلق قلبه به.

و- تفضيل التجاني نفسه على جميع الأولياء:

كل شيخ صوفي صاحب طريق يؤثر عنـه أنـه يفضـل نفسـه على سـائر الأوليـاء، وذلك حتى يستطيع جلب الناس لطريقتـه، ويتفـانى فيـه أتباعـه من بعـده تعصـباً لشيخهم وترويجاً لطريقتهم، والتجـاني لعلـه أكـثرهم جـرأة في هـذا الصـدد، فلم يترك فضلاً مزعوماً لأحد قبله إلا نسبه إلى نفسـه، فقـد ادعى أنـه خـاتم الأوليـاء تقليـداً لمن سـبقه من مشـايخ التصـوف (راجـع الفصـل الخـاص بخـاتم الأوليـاء)

وادعى لنفسه أنه هو الذي يمد جميع الأولياء بالعلوم والمعارف منذ خلـق آدم أي قبل أن يخلقه الله وإلى النفخ في الصور.. فهو الذي تنبع منه المعـارف والعلـوم والأسرار الإلهية -حسب زعمـه- إلى الأوليـاء السـابقين قبـل وجـوده وإلى جميـع الأولياء اللاحقين إلى نهاية العالم.

1- وقال مؤلف بغية المستفيد: "قال رضي الله عنه إن الفيـوض الـتي تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم تتلقاها ذوات الأنبياء، وكل ما فـاض وبـرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتي، ومني يتفرق على جميع الخلائـق من نشـأة العـالم إلى النفخ في الصـور.. وقـال: لا يتلقى ولي فيضـاً من اللـه تعـالى إلا بوسـاطته رضي الله عنه من حيث لا يشعر بـه، ومـدده الخـاص بـه وإنمـا يتلقـاه من النـبي صلى الله عليه وسلم" أ.هـ (بغية المستفيد ص225).

2- وقـال مؤلـف الـدرة الخريـدة: ".. فسـيدي أبـو الفيض أصـل جميـع الوسـائل المتقدمة والمتأخرة، وشيخ المشايخ، وبرزخ الـبرازخ، والمنبـع الـذي تنفجـر منـه العلـوم والفيـوض والمعـارف والأسـرار لجميـع الأوليـاء والأقطـاب والعـارفين والأحباب.." أ.هـ (الدرة الخريدة ج1 ص26).

وقال في منية المريد:

لا شك أن شيخنا التجاني ... مم كل عارف صمداني

يعطي ويمنع ويسلب فمن ... كمثله من الورى في ذا الزمن

(بغية المستفيد ص226).

ولا يخفى أن هذا اعتقاد خرافي ثم هو شرك واضح لأنه رفع للمخلوق إلى مرتبـة الخالق فالذي يهب المعارف والعلـوم والفقـه ويشـرح القلـوب هـو اللـه سـبحانه وتعالى {ففهمناهـا سـليمان وكلاً آتينـا حكمـاً وعلمـاً} فهـو الـذي يفهم سـبحانه وتعالى وقال أيضاً سبحانه: {الرحمن* علم القرآن خلـق الإنسـان علمـه البيـان} وقال تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم {إنا أنزلنا إليـك الكتـاب بـالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله}. فالله هو الذي يري رسوله وكل ذلك بمدده هو سبحانه وتعالى وفضله {فمن يرد الله أن يهديه يشـرح صـدره للإسـلام} فشـرح الصدر ونور الفؤاد منه سبحانه وتعالى وليس من التجاني ولا غيره ومن ظن هـذا الظن في أنه لا يأتيه علم ولا مدد إلا عن طريـق التجـاني أو غـيره من البشـر فلا شك في كفره ومروقه من الدين.

ز- أذكارهم وبدعهم الخاصة:

هذه أخي المسلم هي أهم القواعد والقضايا التي تقـوم عليهـا الطريقـة التجانيـة إضافة إلى بـدعهم الخاصـة في الأذكـار والعبـادات، فقـد ابتـدعوا صـلاة سـموها (جوهرة الكمال) فيها سب للرسول واشترطوا لقراءتها أن يكون قارئها متطهـراً بالطهارة المائية فقط، فلو فقد الماء أو لم يستطع استعماله فلا يجوز له قراءتها فرفعوها بذلك عن منزلة القرآن الكريم والصلاة. وهذه الصلاة المبتدعة هي:

"اللهم صـل على عين الرحمـة الربانيـة.. والياقوتـة المتحققـة الحائطـة بمركـز الفهـوم والمعـاني ونـور الأكـوان المتكونـة الآدمي صـاحب الحـق الربـاني الـبرق الأسطع بمزون الأرياح المائلة لكـل متعـرض من البحـور والأواني ونـورك اللامـع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكـاني، اللهم صـل وسـلم على عين الحـق

التي تتجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم، اللهم صل على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم صلى الله عليه وسلم، وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه" أ.هـ (أحزاب وأوراد التجاني ص13،14).

فهذه الصلاة إلى جوار ركاكة ألفاظها فيها معان سيئة كقوله (صراطك التام الأسقم).. (إحاطة النور المطلسم).. (ونور الأكوان المتكونة)..

وبمثل هذه المبتدعات صرفوا الناس عن الصلوات والطيبات الزاكيات التي نطق بها فم الرسول الطاهر صلى الله عليه وسلم وحرموا المسلمين الأجر الحقيقي واتباع الرسول إلى اتباع هؤلاء المبتدعين المارقين.

* هذه خلاصة وعجالة لهذه الطريقة التي انتشرت انتشاراً ذريعاً في شمال إفريقية وفي وسطها وغربها، وضمت تحت لوائها ملايين كثيرة من أبناء المسلمين. وهذا جانب يسير من واقعها الفعلي وإلا فقد جاء من بنى على هذا الواقع الفاسد، وزعم أنه صاحب الفيضة التجانية الذي بشر به التجاني، وأن أتباعه يدخلون جميعاً الجنة بغير حساب ولو كانوا كفاراً ولو أنهم لم يفعلوا شيئاً قط من الدين، أو استحلوا كل المحرمات لأن الله اختارهم لذواتهم فقط وهذا الشخص هو (الحاج إبراهيم السنغالي) والذي كان له شأن عظيم، وبسط دعوته تلك في أصقاع كبيرة من القارة الأفريقية.

الطريقة الرفاعية

تنسب الطريقة الرفاعية إلى أحمد الرفاعي بن سلطان علي، ويصل أتباعه نسبه إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق إلى علي بن أبي طالب. ولد أحمد الرفاعي في قرية (حسن) بالقرب من أم عبيدة بالعراق 512هـ وتوفي سنة 578هـ ودفن في قرية أم عبيدة.

ما نسب من كرامات للرفاعي:

1- أشهر ما يعرف عنه زعم أتباعه أنه لما حج عام 555هـ ووقف أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، قال هذين البيتين:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي

وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

ويزعم أتباعه أن النبي خرج من قبره ومد له يده من بين حديد شباك القبر فقبلها الرفاعي.. (الطريقة الرفاعية ص133).

2- وينسبون من كراماته أيضاً أنه إذا كان ألقى الدرس سمعه الأصم والسميع، والقريب والبعيد، وأن الله أحيا له الميت، وأقام له المقعدين، وقلب له الأعيان، وصرفه في الخلق (الطريقة الرفاعية ص134). ويذكرون كذلك أن الله أبرد لأتباعه النيران، وأزال لهم فاعلية السموم.. وألان لهم الحديد، وأذل لهم السباع والأفاعي، وأخضع لهم طغاة الجن، وصرفهم في العوالم، وأطلعهم على عجائب الأسرار.

3- دعا الناس إليه وإلى طريقته بطرق شتى؛ من ذلك قوله: "إنكار العبد نعمة من موجبات السلب، أنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.. إن الله إذا وهب عبده نعمة ما استردها، شكر النعمة معرفة قدرها" (البرهان المؤيد ص 28).

وقال أيضاً في بعض مواعظه ودروسه يمدح نفسه ويدعو إلى طريقته: "أي خاصة أي عامة فاض بحر الكرم (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد). أنا مأوى المنقطعين، أنا مأوى كل شاة عرجاء انقطعت في الطريق. أنا شيخ العواجز أن شيخ من لا شيخ له فلا يتشيخ الشيطان على رجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، عهد مني بالنيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم، عهداً عاماً إلى يوم القيامة، العرش قبلة الهمم، والكعبة قبلة الجباه، وأحمد قبلة القلوب. قال لي حبيبي أنت وجه لا يخزيه الله في أتباعه أبداً (سلام عليك بما صبرتم فنعم عقبى الدار) هات يا منشد الفتح في حضرة المنجي. قل كيف شئت مجلس مأتم ومجلس فرح (يولج الليل في النهار) (ألا إلى الله تسير الأمور) (وكفى بالله ولياً) عليكم بتقوى الله لا تخرجوا من ساحة التوحيد، ربنا الله لا شريك له نعم الولي ونعم النصير والحمد لله رب العالمين" (المجالس الرفاعية ص112).

ولا يخفى هنا زعمه أن الرسول خاطبه وكلمه (قال لي حبيبي أنت وجه لا يخزيه الله في أتباعه أبداً).

وقال أيضاً في مقام آخر:

"صحبتنا ترياق مجرب، والبعد سم قاتل، أي محجوب تزعم أنك اكتفيت عنا بعلمك، ما الفائدة من علم بلا عمل، ما الفائدة من عمل بلا إخلاص، الإخلاص على حافة طريق الخطر، من ينهض بك إلى العمل. من يداويك من سم الرياء، من يدلك على الطريق الأمين بعد الإخلاص (أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) هكذا أنبأنا العليم الخبير، تظن أنك من أهل الذكر، لو كنت منهم ما كنت محجوباً عنهم لو كنت من أهل الذكر ما حرمت ثمرات الفكر، صدك حجابك، قطعك عملك. قال عليه الصلاة والسلام: (اللهم إني أعوذ بكم من علم لا ينفع)، لازم أبوابنا، أي محجوب فإن كل درجة وآونة تمضي لك في أبوابنا درجة وإنابة إلى الله تعالى، صحت إنابتنا إلى الله، قال تعالى: (واتبع سبل من أناب) أيها المتصوف لم هذه البطالة صر صوفياً حتى نقول لك أيها الصوفي" أ.هـ (البرهان المؤيد ص35).

وكان يقول أيضاً: "أيها البعيد عنا، الممقوت منا ما هذا يا مسكين، لو كان لنا فيك مقصد يشهد بحسن استعدادك وخالص حبك إلى الله وأهله اجتذبناك إلينا، وحسبناك إلينا. شئت وإلا.. لكن الحق يقال: حظك منعك، وعدم استعدادك قطعك، لو حسبناك منا ما تباعدت عنا، خذ مني يا أخي علم القلب، خذ مني علم الذوق، خذ مني علم الشوق. أين أنت مني يا أخا الحجاب اكشف لي قلبك.." أ.هـ (البرهان المؤيد ص33).

وقال أيضاً في هذا المعنى:

"أقامنا الله أئمة الدعوة بالنيابة عن نبيه صلى الله عليه وسلم من اقتدى بنا مسلم، ومن أناب إلى الله بنا غنم، الحق يقال نحن أهل بيت ما أراد سلبنا سالب إلا سلب، ولا نبح علينا كلب إلا جرب، ولا هم على ضربنا ضارب إلا ضرب، ولا تعالى علينا حائط إلا وخرب"!! (البرهان المؤيد ص31).

ومع هذه الأقوال التي كان يذكر نفسه فيها على هذا النحو فقد نقلت عنه أقــوال تناقضها حيث يقول:

"كل الفقراء رجال هذه الطائفة خـير مـني، أنـا أحميـد اللاش، أنـا لاش اللاش".. أ.هـ (البرهان المؤيد ص24).

بل يقول ما هو أبلغ من هذا أيضاً:

"أي سادة أنا لست بشيخ، لست بمقـدم على هـذا الجمـع لسـت بواعـظ، لسـت بمعلم، حشرت مع فرعون وهامان إن خطر لي أني شيخ على أحد من خلق الله برحمته فأكون كأحد المسلمين" أ.هـ (البرهان المؤيد ص23).

ويقول أيضاً في مجلس آخر:

"أيش أنا حتى أدعوك، ما مثلي إلا كمثل ناموسة على الحائط لا قدر لها، حشرت مع فرعون وهامان وقارون وأخذني ما أخذهم أن كـان خطـر لمـا في سـري أني شيخ هذا الجمع، أو مقـدمهم أو من يحكم عليهم، أو ثبت عنـدي أني فقـير منهم، وكيف تدعوه نفسه إلى ذلك من هو لا شيء، ولا يصـلح لشـيء، ولا يعـد بشـيء" أ.هـ (البرهان المؤيد ص52).

ومع كل هذا التبري من الحول والطول فإن أحمد الرفـاعي ينـاقض نفسـه كثـيراً حيث يزعم ضد ذلك تماماً فيقول:

"وعـدني رسـول كرمـه أن يأخـذ بيـد مريـدي وحُـبي ومن تمسـك بي وبـذريتي وخلفائي في مشارق الأرض ومغاربها إلى يوم القيامة عنـد انقطـاع الحيـل، بهـذا جرت بيعة الروح لا يخلف الله وعده، لا تصح المكالمة لمخلـوق مـع الخـالق بعـد النبـيين والمرسـلين الـذين كلمهم سـبحانه وحيـاً أو من وراء حجـاب، وإنمـا وعـد إحسانه ينجلي إلى قلوب أوليائه وأحبابه بالرؤيـا المناميـة، والواسـطة المحمديـة والإلهام الصحيح الذي لا يخالف ظاهر الشريعة الأحمدية بحال من الأحوال وذلـك فضل الله يؤتيه من يشاء" أ.هـ (البرهان المؤيد ص82،83).

قلت: كيف لا يكـون هـذا الوعـد المزعـوم مخالفـاً لظـاهر الشـريعة وقـد أخبرنـا سبحانه وتعالى أن خليـل الـرحمن إبـراهيم عليـه السـلام طلب مـا هـو دون هـذا الطلب لذريته فلم يعطه الله تبـارك وتعـالى حيث يقـول اللـه تعـالى: {وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قـال لا ينال عهدي الظالمين}.

فإذا كان الله سبحانه وتعـالى لم يـرض أن يعطي إبـراهيم عهـداً بـأن يكـون كـل ذريته صالحين أئمة في الدين من بعـده فكيـف يعطي الرفـاعي مثـل هـذا العهـد المزعوم فانظر قوله: "وعدني رسول كرمـه أن يأخـذ بيـد مريـدي ومحـبي ومن تمسك به وبذريتي وخلفائه في مشارق الأرض ومغاربها إلى يوم القيامة"!!

ثم ما يدريه أن الله قد أعطـاه هـذا الوعـد: يقـول الرفـاعي إنـه بالإلهـام والرؤيـا المنامية، هل مثل هذا العهد يعطي بإلهـام وبرؤيـا مناميـة؟ ومـا يدريـه أنهـا رؤيـا شيطانية.. وإلهام شيطاني.. وكيف تكون غير ذلك والقرآن بضد ذلـك.. بـل كيـف تكون غير ذلك والرجل يـزعم أنـه ليس بشـيخ وأنـه يمـوت ويحشـر مـع فرعـون وهامـان وقـارون إن قـال إنـه شـيخ على أحـد من النـاس فـأي كلام من كلامـه يصدق؟

من أقوال أحمد الرفاعي:

وقد نسب صاحب طبقات الصوفية عبدالوهاب الشعراني طائفة من الأقوال لأحمد الرفاعي فيها أمور كثيرة من الباطل ولم أقرأ في كتب الطريقة الرفاعية المؤلفة ما ينفي هذه الأقوال وهاك بعضاً من هذه الأقوال:

".. الكشف قوة جاذبية بخاصيتها نور عين البصيرة إلى فيض الغيب، فيتصل نورها به اتصال الشعاع بالزجاجة الصافية حال مقابلتها المنبع إلى فيضه، ثم يتقاذف نوره منعكساً بضوئه على صفاء القلب ثم يترقى ساطعاً إلى عالم الفصل فيتصل به اتصالاً معنوياً له أثر في استفاضة نور القلب على ساحة القلب، فيشرق نور العقل على إنسان عين السر، فيرى ما خفي عن الأبصار موضعه ودق عن الأفهام تصوره، واستتر عن الأغيار مرآه".. أ.هـ (طبقات الشعراني ص141،142).

ونقل عنه أيضاً أنه قال:

وكان يقول: إذا صلح القلب صار مهبط الوحي والأسرار والأنوار والملائكة، ويقول أيضاً: إذا صلح القلب أخبرك بما وراءك وأمامك ونبهك على أمر لم تكن تعلمها بشيء دونه".. أ.هـ (طبقات الشعراني ص141،142).

وهذه نصوص يزعم قائلها أن الصوفي يطلع على حقائق عينية وأسرار وقد بين سابقاً فساد هذا الاعتقاد.

وقال أيضاً: ".. إن العبد إذا تمكن من الأحوال بلغ محل القرب من الله تعالى وصارت همته خارقة للسبع السماوات، وصارت الأرضون كالخلخال برجله، وصار صفة من صفات الحق جل وعلا، لا يعجزه شيء وصار الحق تعالى يرضى لرضاه ويسخط لسخطه، قال: ويدل لما قلناه ما ورد في بعض الكتب الإلهية يقول الله عز وجل (يا بني آدم أطيعوني أطعكم، واختاروني أختركم، وارضوا عني أرض عنكم وأحبوني أحبكم وراقبوني أراقبكم وأجعلكم تقولون لشيء كن فيكون، يا بني آدم من حصلت له حصل له كل شيء ومن فته فاته كل شيء)" أ.هـ (طبقات الشعراني ص142).

ولا يخفى ما في هذا النص من الباطل لأن العبد مهما بلغ من منازل القرب مع الله يبقى عبداً محكوماً بسنن الله الكونية مفتقراً إلى الله عز وجل كما كان أحوال الرسل وأولياء الله الصادقين فلم تكن الأرض كالخلخال برجل أحدهم بل كانوا يجوعون، ويمرضون، ويتألمون، ويهزمون أحياناً، ويسبون ويشتمون، وقد يتوب لله على من يؤذيهم فيكونون مسلمين، كما فعل الله سبحانه بمن قتلوا أفضل أوليائه في أحد وقال رسول الله فيهم [كيف يفلح قوم شجو وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الله عز وجل..] فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} (رواه البخاري).

وأما ما نقله الشعراني هنا عن الرفاعي، وما زعمه أن هذا مكتوب في بعض الكتب الإلهية فما هذه الكتب الإلهية؟.. ولماذا نهتدي بغير هدي القرآن والسنة وقد نهينا عن ذلك، وهل أنزل الله في هذه الكتب الإلهية المزعومة: وأجعلكم تقولون للشيء كن فيكون.. وماذا بقي لله إذن إذا أصبح كل من أطاع الله إلهاً صغيراً يتصرف في الكون كما يتصرف الله.. ماذا بقي لله من دون صفاته.. لقد سلبوا منه كل صفاته وجعلوها لأنفسهم ولم يرضوا أن يكونوا عبيداً له سبحانه وتعالى كما أمرهم.

ومما يدلك على أن المتصوفة يريدون فعلاً الوصول إلى هذا، أعني سلب صـفات الله عنه وإلباسها لأنفسهم حتى يكونوا عند الناس آلهة من دون الله، ما نقل هنـا الشعراني أيضاً عن الرفاعي والله يعلم هـل هـذا النقـل صـحيح أم لا؟: "إذا أراد الله عز وجل أن يرقي العبد إلى مقامات الرجال يكلفه بأمر نفسه أولاً، فإذا أدب نفسه واستقامت معه كلفه بأهلـه، فـإذا أحسـن إليهم وأحسـن عشـرتهم، كلفهم بجيرانه وأهل محلته فإن هو أحسن إليهم وداراهم كلفـه جهـة من البلاد فـإن هـو داراهم وأحسن عشرتهم، وصلح سريرته مع اللـه كلفـه مـا بين السـماء والأرض، فإن فيهم خلقاً لا يعلمه إلا الله تعالى، ثم لا يزال يرتفع من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محـل الغـوث، ثم ترتفـع صـفته إلى أن يصـير صـفة من صـفات الحـق تبارك وتعالى، وأطلعه على غيبه حتى لا تنبت شجرة، ولا تخضر ورقـة إلا بنظـره وهناك يتكلم عن الله تعالى بكلام لا يسـعه عقـول الخلائـق" (طبقـات الشـعراني ص143) أ.هـ.

قلت: فانظر كيف سيرتقي الصوفي إلى أن يكلفـه اللـه أمـر خلائـق بين السـماء والأرض. ولست أدري ماذا سيكلفه الله هناك.. ولكن صاحب هذا القول يزعم أنه سيكون صفة من صفات الحق والحق هنا يعني الله سـبحانه وتعـالى، يطلـع على غيب الله فلا تنبت شجرة، ولا تخضر ورقة إلا بنظره.. باختصـار يأخـذ مكـان اللـه سبحانه وتعالى، (راجع مراتب الأولياء في الفصل الخاص بذلك).

وهكذا يجعل الصوفية غوثهم المزعوم هو القائم في مقام اللـه يتصـرف في هـذا الكون أعلاه وأسفله فانظر الغاية الـتي يريـد رجـال التصـوف أن يوصـلوا النـاس إليها إنها باختصار صرف الناس عن عبـادة الواحـد القهـار إلى عبـادة من يبولـون ويتغوطون ويهرفون بما لا يعرفـون، ويسـتمدون علـومهم من الجن والشـياطين، ويزعمون للناس أنها وحي من رب العالمين.

وعلى كل حال فتحقيقاً لهذه الأقوال أعني أن الولي قد يكلف بأمر الخلائـق فـإن الشعراني يزعم أيضاً أن الله قد كلـف أحمـد الرفـاعي بـالنظر في أمـر الـدواب والحيوانات.. ولذلك كـان ينهي أصـحابه عن قتـل القمـل فقـد رأى بعض مريديـه يقتل قملة فقال له: لا وأخذك الله شفيت غيظك بقتل قملة..

وكذلك زعموا أن الرفاعي كـان إذا لقي الكلاب والخنـازير بـدأهن بالسـلام وكـان يقول لهن أحياناً: أنعموا صباحاً (طبقات الشعراني ص143).. أ.هـ.

وهكذا يظهر أثر التكليف الإلهي المزعوم برعايتـه الحيوانـات فتكـون النهايـة عن قتل القمل، وإلقاء السلام على الخنازير والكلاب..

قلت: ليس عندي ما أقوله في هذا المقامإلا أن أقول إنا للـه وإنـا إليـه راجعـون. التحية التي جعلهـا اللـه خاصـة بالمسـلم فقـط وحـرم الرسـول إلقاءهـا إلا على مسلم ونهى بدء اليهود والنصارى بها علماً أنهم آدميون وقد يهتدون في مسـتقبل أيامهم هذه التحية الـتي قـال فيهـا {فسـلموا على أنفسـكم تحيـة من عنـد اللـه مباركة طيبة} هانت على رجال التصوف فأعطوها هدية للكلاب والخنازير..

أرأيت إلى المستنقع الذي يريد رجال التصوف إغراق المسلمين فيـه.. ومـع هـذا كله فقد زعم الشعراني أيضاً أن الشيخ الرفاعي كان إذا تجلى الحق تعالى عليـه بالتعظيم يذوب الرفاعي حتى يكون بقعـة مـاء ثم يتداركـه اللطـف فيجمـد شـيئاً فشيئاً حتى يرد إلى جسمه المعتاد (طبقات الشعراني ص143).

الشعائر الخاصة للطريقة الرفاعية:

وللطريقة الرفاعية مشاعر خاصة كشأن كل الطرق الصوفية وإليك أهم هذه الشعائر والعقائد..

1- من أهم ما يميز الطريقة الرفاعية هو التتلمذ لكل شيخ، بنقل الشعراني أيضاً عن الرفاعي أنه قال:

"من تمشيخ عليكم فتتلمذوا له، فإن مد يده لكم لتقبلوها فقبلوا رجله.. ومن تقدم عليكم فقدموه وكونوا آخر شعرة في الذنب، فإن الضربة الأولى تقع في الرأس" (الطبقات الكبرى ص141).

2- تبنت الطريقة مذهب التفويض في الأسماء والصفات زاعمة أنه مذهب السلف، ولكن الرفاعيين مع ذلك يخالفون ذلك ويؤولون تأويل الأشاعرة فيزعمون أن الله لا يوصف بفوقية أو سفلية وليس في جهة من الجهات، ولا يثبتون ما أثبته الله لنفسه، وكذلك يقولون بوجوب القليد الفقهي.. (الطريقة الرفاعية ص42).

3- ويجعلون السماع والمواجيد والتواجد من الصراخ وغيره مما درج عليه أهل التصوف ديناً ويكفرون من يقول ببدعية ذلك أو يعيبه. قالوا "وإن من أنكر ذلك فقد كفر، لأنه عاب خيراً أمر الله به، ومن عاب ما أمر الله به فهو كافر" (الطريقة الرفاعية ص64،78).

4- أنكر أحمد الرفاعي ما قاله الحلاج ونفى أن يكون ولياً أو واصلاً حيث قال: "أي سادة تفرقت الطوائف شيعاً، وأحميد (يعني نفسه) بقي مع أهل الذل والانكسار والمسكنة والاضطرار، إياكم والكذب على الله (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً). ينقلون عن الحلاج أنه قال: أنا الحق. أخطأ بوهمه، لو كان على الحق ما قال أنا الحق، يذكرون له شعراً يوهم الوحدة كل ذلك ومثله باطل، ما رآه رجلاً واصلاً أبداً، ما أراه شرب، ما أراه حضر، ما أراه سمع إلا رنة وطنيناً، فأخذهم الوهم من حال إلى حال، وما زاد قرباً ولم يزدد خوفاً فهو ممكور. إياكم والقول بهذه الأقاويل إن هي إلا أباطيل".. أ.هـ (البرهان المؤيد ص26).

وهذه أقوال صريحة في رفض أقوال الحلاج الكفرية، والتمسك بالحق والحكم على قائلها بما حكم به أهل الإسلام جميعاً في عصره أنه كافر زنديق وأنه يستحق القتل والصلب الذي وقع له.

ويستطرد الرفاعي أيضاً مبيناً أن حال الأولياء الصادقين لا تكون كحال فرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى.. وليست كذلك كحال نمرود الذي قال (أنا أحيي وأميت) فيقول:

"درج السلف على الحدود بلا تجاوز. بالله عليكم هل يتجاوز الحد إلا الجاهل وهل يدوس عنوة في الجب إلا الأعمى! ما هذا التطاول وذلك التطاول ساقط بالجوع. ساقط بالعطش. ساقط بالنوم. ساقط بالوجع. ساقط بالفاقة. ساقط بالهرم. ساقط بالعناء. أين هذا التطاول من صدمة صوت (لمن الملك اليوم). العبد متى تجاوز حده مع إخوانه يعد في الحضرة ناقصاً. التجاوز علم نقص ينشر على رأس صاحبه. يشهد عليه بالغفلة. يشهد عليه بالزهو. يشهد عليه بالحجاب. يتحدث القوم بالنعم لكن مع ملاحظة الحدود الشرعية. الحقوق الإلهية تطلبهم في كل قول وفعل. الولاية ليست بفرعونية. ولا بنمرودية قال فرعون أنا ربكم الأعلى. وقال قائد الأولياء وسيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم (لست بملك) نزع ثوب التعالي والإمرة والفوقية. كيف يتجرأ على ذلك العارفون: والله يقول {وامتازوا

اليوم أيها المجرمون} وصف الافتقار إلى الله وصف المؤمـنين. قـال تعـالى {يـا أيها الذين آمنوا أنتم الفقراء إلى الله} هذا الـذي أقولـه علم القـوم. تعلمـوا هـذا العلم. فإن جذبات الرحمن في هذا الزمان قلت. اصرفوا الشـكوى إلى اللـه في كل أمر. العاقل لا يشكو لا إلى ملك ولا إلى سلطان. العاقل كل أعماله لله" أ.هـ (البرهان المؤيد ص26).

وهـذا كلام جيـد جيـداً في رفض دعـاوي الصـوفية وشـطحهم ولكن أتباعـه اليـوم يخالفون هذا تماماً فيترضون على ابن عربي ومن على شاكلته ويطبعـون أقـوال هؤلاء جنباً إلى جنب مع أقوال الرفاعي.. ويعتذرون عمـا قالـه الحلاج وغـيره أنـه من الشطح ولا يصرحون بما صرح لنـا في إبعـاد قائـل هـذه الأقـوال من الـدين. وبذلك يتناقضـون على عـاداتهم في قـولهم أحيانـاً في رفض الـدعوى والشـطح، وفي نشرهم لهذه الدعاوي وترضيهم على فاعليها.

5- ومن المشاعر الخاصة بالطريقـة الرفاعيـة أيضـاً الخلـوة الأسـبوعية السـنوية وتبدأ عندهم في اليوم الحادي عشر من المحـرم كـل عـام، ومن شـروطها أن لا يأكل المريد طعاماً أخذ من ذي روح، ويذكر المريد في اليوم الأول لا إلـه إلا اللـه بعـدد معلـوم واليـوم الثـاني اللـه اللـه، والثـالث وهـاب وهـاب، والرابـع حي حي والخامس مجيد مجيد.. والسادس معطي معطي.. والسابع قدوس قدوس، وكـل ذلك بعدد معلوم، وكذلك أن يقول المريد بعد كل صلاة من صلوات هـذا الأسـبوع (اللهم صـل على سـيدنا محمـد النـبي الأمي الطـاهر الـزكي وعلى آلـه وصـحبه وسلم) يقول ذلك مائة مرة،وزعموا أن لهذه الخلوة فتوحـات محمديـة، وعنايـات أحمدية لا تحصى وأن من فعلها شاهد من البراهين العظيمة وكأن له شأن عظيم (الطريقة الرفاعية ص115).

* ولا يخف أن هذه الخلوة في هذا الوقت المخصوص بدعة ضلالة وكل بدعـة في النار كما قال صلى الله عليه وسلم وأنها تشريع جديد لم يأذن به الله ولا رسوله، وأن فيهـا مشـابه لصـيام النصـارى الـذين يصـومون عن ذوات الأرواح، وأن فيهـا تقرباً من الرافضة حيث يخصص الحادي عشر من محرم من كل عام بـذلك حيث تنتهي مشاعر الرافضة الخاصة ليدخل مشاعر الرفاعيـة ولعـل ذلـك السـبب في قـولهم إن الرفـاعي تـأتي منزلتـه بعـد الأئمـة الاثـني عشـر مباشـرة (الطريقـة الرفاعية ص127).

وأما تخصيصهم كل يوم بذكر خاص فهو بدعة، وأما ذكـرهم اللـه بالاسـم المفـرد فقط الله، حي، مجيد فبدعة عظيمة ولم يرد ذكر الله بالاسم المفرد مطلقاً.. بل لا يذكر اللـه إلا بجملـة مفيـدة نحـو (لا إلـه إلا اللـه) فهي جملـة (وسـبحان اللـه، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله)، ونحـو ذلـك فكلهـا جمـل تفيـد معنى تعظيماً، فكل من ذكر اللـه باسـم فـرد من أسـمائه فهـو مبتـدع، ولـذلك لا يستغرب على هؤلاء المبتدعة أن يروا في خلواتهم هذه النـيران الشـيطانية الـتي يحسبونها أنواراً ملائكية رحمانيـة ومـا هي كـذلك لأن اللـه لا يشـرق نـوره إلا في قلوب الصالحين المتبعين للحق من عباده.

6- ومن مشاعر الطريقة الخاصة أيضاً جواز المحاضرة وربـط الـروح بـأرواح من شاء استحضار روحه من كافر ومسلم (الطريقـة الرفاعيـة ص120) وكـذلك من مشـاعرهم مـا يسـمى بالاستفاضـة وهي ربـط قلب المريـد بقلب الشـيخ طلبـاً لإفاضة العلم الباطني إليه، وهـذه بدعـة صـوفية معلومـة. ففي التربيـة الصـوفية يطلب من المريد أن يستحضر روح شيخه عند الـذكر ويتمثلـه أمامـه ويطلب من شيخه أن يربط روحه بروح الرسول الـذي يزعمـون أنـه يفيض العلـوم والأسـرار

على قلوب شيوخ الصوفية. والحق أن هذه العملية عملية شيطانية لأن المريد الذي يغيب عقله بالذكر المبتدع الذي يذكره آلاف المرات وعشرات الآلاف حتى يكل عقله ودماغه وهو في كل ذلك يحاول استحضار صورة شيخه أمامه، وقد يكون هذا في ظلام دامس فإن هذا هو الوقت المناسب ليدخل الشيطان إليه زاعماً أنه هو شيخه وأنه يراه الآن، وأنه يربط الآن قلبه بقلب الرسول ليفيض عليه العلوم والأسرار الإلهية، ويبدأ الشيطان يلقي في قلوب هؤلاء وساوسه الإبليسية فيوهم الواحد منهم أنه الآن صاعد إلى السماء، وأن هذا هو عرش الله، وهذا هو كرسيه هذه هي الأرض، وأن قد أصبحت الحبيب والعظيم وصاحب الهمة وما إلى ذلك من هذا النفح الشيطاني حتى يتصور المسكين فعلاً أنه وصل إلى مكان القرب من الله، وأن السماوات قد أصبحت طوع أمره، والأرض أصبحت كالخلخال برجله، وأنه يستطيع أن يقول للشيء كن فيكون.. وهكذا يكون المريد الذي دخل الخلوة، وذكر هذه الأذكار المبتدعة، وقطع نفسه بالظلام على هذا النحو يعود بنفس أخرى وحال أخرى غير الحال التي دخل بها.

وهذا سر قولهم إن لهذه الخلوة أسراراً وبراهين عظيمة، ولو علموا أنهم يربطون قلوبهم بالشياطين لعرفوا الحق المبين وأنهم نهوا عن سلوك الطرق المعوجة لأنه لا توصل إلا إلى الهاوية والضلال المبين.

7- وقد جعل الرفاعية الفضيلة العظمى والشرف الأسمى لهم على سائر الفرق ببركة الرفاعي فإن الله قد أبرد لأتباعه النيران، وأزال لهم فاعلية السموم، وألان لهم الحديد، وأذل لهم السباع والحيات والأفاعي، وأخضع لهم طغاة الجن (الطريقة الرفاعية ص134). ولذلك فإنهم في موالدهم ومؤتمراتهم العامة يأتون بمن يشعل النار ويدخلها إلى فمه، ومن ينفخ ناراً من فمه على هيئة التنين.. ومن يحمل الأفاعي ويلعب بها، ونحو ذلك من الشعبذات والخزعبلات التي لا يكاد يخلو منها قوم من أقوام أهل الشرك كالهنادك والفرس، وغيرهم (اقرأ الفصل الخاص بمناظرة ابن تيمية للبطائحية الرفاعية).

الرفاعية في طور جديد:

في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري تزعم الطريقة الرفاعية رجل يسمى محمد مهدي الصيادي الرفاعي، الذي رفع نفسه إلى مرتبة الغوثية الكبرى، ودعا الناس إلى طريقته واقتفاء أثره، وزعم أنه سالك سبيل جده مؤسس الطريقة الرفاعية، ولكنه جاء بما لم يسبقه أحد من الدعاوي في علو منزلته، والحق أنني لم أجد أجرأ منه على مدح نفسه وكذبه فيما نسبه إلى الله ورسوله من تعظيم نفسه إلا أحمد التجاني وابن عربي، وإليك بعضاً من نصوصه في هذا الصدد..

1- الدرة البيضاء:

ألف كراسة صغيرة سماها (الدرة البيضاء) ملأها بالجهل والغباء، وبدأها للأسف بقوله "أمرني بكتابتها وإذاعتها حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم" (المجموعة النادرة ص8) وزعم في هذه الرسالة أن الله خلق الرسول من نوره (المجموعة النادرة ص15) فأشرك بالله سبحانه وتعالى. وأن على المسلم أن يشفق على الخلق كلهم فخالف أمر الله القائل {يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم} ومن جملة مزاعمه في هذه الكراسة دعوة الناس إلى الاستمداد وطلب الإغاثة والإعانة من الأنبياء والأولياء (المجموعة النادرة ص 18) فدعا بذلك إلى الشرك بالله سبحانه وتعالى، ودعا إلى العمل بأي رأي

فقهي لأن اختلاف الأئمة رحمة (المجموعة النادرة ص23) ودافـع عن ابن عـربي واصفاً إياه بأنه العارف الشيخ محيي الدين ابن عربي طيب الله ثراه (المجموعة النادرة ص26). وزعم أن آل الرسول من أجزائه النورانية (المجموعة النادرة ص 26) وبالتالي فهم أجزاء من الله حسب زعمه أن الرسول مخلوق من نور اللـه.. وقسم في هذه الرسالة الأولياء فجعل منهم المجاذيب وأهل الشـطح والأمـيين.. وجعل نفسه في آخر هذه الكراسـة أفضـل الأوليـاء في زمنـه على الإطلاق حيث يقول عن نفسه: "الاختصاص رحمة من الله تعـالى للعبـد لا بسـعي ولا بعمـل ولا برأي، ولا بِجَعْلٍ يختص الله برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم: هـو عطـاء رباني، ومنح صمداني، وفضـل أسـبغ في القـدم، قبـل أن تتعين النسـم، والعنايـة قسم، فأهـل الاختصـاص جـذبتهم يـد المشـيئة الربانيـة، بمحض الفضـل والعنايـة الصمدانية، إلى أقصى المراتب العليـة وهـذا المنح البـاهر، والفضـل الـوافر، هـو اليوم حصتي، ومنصته منصـتي، أقـامني اللـه في هـذه المنزلـة إمامـاً، واختـارني لرتبة هذه الخصوصية ختاماً، وكشف لي مخبآت الغيب باطلاع من كرمـه، وجليـل نعمه، ففهمت أسرار الرموز الفرقانية وسـبرت خفايـا دقـائق البطـون القرآنيـة، ولم تـبرح تـترقى همـتي بكشـف تلـك الحجب اللطيفـة، وبشـق ديباجـات هاتيـك المحاضر الشريفة، فأنا اليوم ولربي الحمـد والشـكر، ولـه الإحسـان والـبر، كـنز الفيوضات الطـاهرة المحمديـة، وسـجل العلـوم المقدسـة النبويـة، وهـذه النوبـة نوبتي، تتقلب في وراث منزلتي، وخدام قدمي إلى ما شاء الله، بهذا بشـرت من صاحب الوعد الصادق، وقرأته في صحف الرموزات العلوية التي طفحت بـدقائق الحقـائق، سينشـر علم ظهـور حـالي بعـد هـذا الخفـاء في الأكـوان ويـبرز بـروز الشـمس من بطن ليـل الطمس للعيـان، وتعكـف على بـابي القلـوب والأرواح، ويسري سر إرشادي في الجبال والأودية والبطاح ولم يمس شأن نهجي المبـارك غبار دنيوي، ولم يرجع منه حـرف إلى قصـد نفسـاني بـل كلـه للـه" (المجموعـة النادرة ص37) أ.هـ.

وبعد أن مدح نفسه بكل ما استطاع من نعوت يقول: "جـاءت لي بـذلك البشـرى المحمديـة الصـحيحة والعنايـة النبويـة الصـريحة بوسـاطة روح سـلطان الأوليـاء وزعيمهم وسيد منصتهم وكريمهم مولانا السيد أحمد الرفاعي الحسيني" أ.هـ منه بلفظه (المجموعة النادرة ص37).

2- برقمة البلبل.

وتكاد تكون كل الوسائل التي ألفها هذا الصياد الرفاعي على هذا النحو ولكن في رسالة أخرى سماها (برقمة البلبل) أتى فيها بما لم يسـبقه بـه أحـد من الكـذب، ولا أظن أن لاحقاً يستطيع مجاراته أيضاً في مثل هذا الكذب السـمج حيث يقـول في أول رسالته هذه أنه كان في سنة 1252هـ في مكـة المكرمـة في بيت اللـه الحرام، وأنه سمع بلبلاً يتكلم مع بلبل آخر وعلى حد تعبيره (يـبرقم) بلغـة فهمهـا لأنـه زعم أن رجلاً من رجـال الغيب كـان قـد علمـه لغـة البلابـل، فـزعم أن أحـد البلبلين كـان يتكلم مـع صـديقه فـأخبره أن أولاد آدم كلهم مكرمـون، وجميعهم مرحومـون وأنـه لا يجـوز أن نحتقـر ذرة واحـدة منهم، وأن منهم أيضـاً أوليـاء عـارفين، وأن من هـؤلاء الأوليـاء قسـم يتصـرفون في العـالم؛ ومن جملـة مـا يتصرفون فيه الطير فيقول البلبـل لصـديقه (ومنهم المتصـرفون في وفيـك وفي عالم الأكوان والنائبون بإذن الله عن نبي الرحمن) ثم يستطرد الصيادي الرفاعي في هذيانه الصوفي فيزعم أن أحد البلابل قال لصديقه: إن هذا الرجـل الملتحـف بكسائه الرث المستقبل الكعبة (يعني نفسه) هو من آل الرسـول وقـد فهم لغتنـا

وعرف ما قلناه وهو نائب الرسول الآن في هذا الوقت، وهو عالم الزمان وشيخ الأوان.. فقال البلبل الآخر إذن تعال نتبرك به ونقبل قدميه..

ويستطرد الصيادي الرفاعي قائلاً إن البلبلين جاءا إليه، وعكفا عليه، وسألاه الدعاء، وأنهما أخبراه بعد ذلك أنه إمام الدين، وسيد الأولياء وإن نوره لا يعدله نور، وإن مدده سيعم الأمصار والأقطار حيث تشب قلوب الحاسدين له بنار، وتنفلت عليه ألسنة الجاحدين (كذا..)..

ويستطرد الصيادي قائلاً بأن البلبلين أخبراه أن الله قد كتب صحيفة منزلته ووضعها فوق مقام إبراهيم فقام الصيادي من فوره وأخذ الصحيفة وفرح بما وجد فيها حسب زعمه من إطناب الله في الثناء عليه، ومدحه له وتبشيره إياه بظهور طريقته وعلو شأنه. يقول الصيادي هذا:

"وقد طبت بالله تعالى حين قرأت ما في الصحيفة المباركة بشأني، وبشأن ظهور أمر طريقي، وكدت أطير سروراً لما امتن الله تعالى علي به من إطناب في الألقاب فيها ما نصه بلفظه: هذا غريب الغرباء أبو البراهين، وأحد آل طه ويس. خلف الأئمة الهادين. بقية أعيان العترة الطاهرين، سيف الرسالة المسلول على أهل الضلالة. المجدد الأكمل. الأشعث الأغبر. سنجنجل الحكمة والفراسة المحمدية. رافع ألوية الشريعة الطاهرة الأحمدية. باني مباني أحكام الطريقة المرضية الرفاعية. شيخ الأئمة. نور المدد المصطفوي الذي سيتجلى به الظلمة. الرفاعي الثاني. الإمام الأوحد الرباني. طلسم البرهان المحمدي الذي لا يدافع. معنى ناطقة البيان النبوي الذي لا ينازع. بحر الفتح. هادم الدعوى والشطح. الفتى ابن الفتى. محمد مهدي بهاء الدين. باب النبي صلى الله عليه وسلم في العصر. وجه علي في الدهر. الفقير الغني. الضعيف القوي. الخفي الظاهر. العاجز القادر. شمس الإفاضة المصطفوية للذرات كلها من التحق بها سلم ومن أبغضه عن جحد أو حسد ندم ومن آذى نوابه وأحبابه لم يقم. ولو التفت عليه المحافل، وسارت لأمره الكتائب، وصفت له الصفوف، ومرت لديه من قناطير الذهب المقنطرة الألوف. هذه آيه الله المخبأة في دفتر الغيب ينتفع بقراءة فحواها، والاندماج في ظل معناها، كل من لله في عناية، يصل به الله ويقطع، ويعطي ويمنع، ويرفع ويضع، هذا الزاهد الواجد، الآبد الماجد، هذا بركة الله في الكون. هذا الممهد هذا الموطد. هذا القائم لله، ولإعلاء كلمة الله، ولخدمة رسول الله، لا لغرض من أغراض الأكوان، ولا لعلو، ولا لغلو، ولا لتقدم، ولا لترفع، ولا لعظمة نفسانية، بل هو بحر مطمطم رباني، وكنز مطلسم سبحاني، أفيض له مددنا بواسطه (كذا والصواب: بوساطة)، جده سر الوجود وبارقة النظم الأول في كيانتي النسقين الطموس والشهود (محمد) صلى الله عليه وسلم هذا سيد عشاق رسول الله، وسيد محابيب الله اليوم في ملك الله عليه سلام الله ورضوان الله. وهناك غبت عني، وأخذت مني، وذبت معنى، وترقرقت مهنى، وانطمست بوجودي وظهرت بمجدي" انتهى منه بلفظه (برقة البلبل من المجموعة النادرة ص77-79).

ولا يكتفي الصيادي بهذا الكذب الأبلج على الله سبحانه وتعالى فإن الله لم يخاطب أحداً بمثل هذا الخطاب المزعوم، فخطاب الله لصفوة أوليائه وهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يكن فيه عشر معشار هذا المدح بل كان عامته تأديباً وعتاباً؛ كمثل قوله لنوح: {يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين} وذلك لمجرد قول نوح: {رب إن ابني من أهلي} وكذلك قوله لإبراهيم: {لا ينال عهدي

الظالمين} عندما طلب إبراهيم أن يكون من ذريته أئمة.. وقوله لمحمد صلى الله عليه وسلم: {إنك لا تهدي من أحببت} وقوله سبحانه وتعالى: {ليس لك من الأمر شيء} وقوله: {عفا الله عنك لم أذنت لهم} وقوله: {عبس وتولىّ} وقوله: {وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه} هذا بعض من خطاب الله في قرآنه لرسله فانظر كيف يزعم هذا الصيادي أن الله كتب في صحيفة له "هذا أبو البراهين، هذا سيف الرسالة المسلول على أهل الضلالة.. هذا الإمام الأوحد الرباني.. باني مباني الطريقة المرضية الرفاعية.. هذا شمس الإفاضة المصطفوية للذرات كلها..".. الخ، هذا الكفر والضلال وهذا الكذب الصريح.. ومثل هذا لو كان يسمى باللغة تجوزاً مدحاً فإن أسقط الساقطين ينزه أن يمدح غيره بمثل هذا الكلام فلو أن شاعراً متملقاً كاذباً قام يمدح رجلاً بمثل هذه الأوصاف لاستحق السقوط واللعنة، ولرمي بالتزلف والجهالة والمبالغة الممقوتة، ورفع الإنسان الحقير عن مكانته. فكيف يسوغ أن ينسب مثل هذا الكلام الحقير الذي يقع في آخر سلم المدح الممجوج فينسب إلى رب العباد سبحانه وتعالى؟ أيليق أن ينسب مثل هذا التزلف الحقير لله جل وعلا..؟

ولا يكتفي الصيادي بالكذب المكشوف هذا على رب العالمين فيكمل بعد ذلك كذبه على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فيقول أنه بعد أن قرأ هذه الرسالة (الربانية) التي كانت فوق مقام إبراهيم انجلى له مظهر الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ناداه قائلاً:

"قد ملأناك علماً وفهماً ومدداً وقدره بهاء وعرفاناً ونوراً وحظاً كبيراً، ورفعنا لك منبراً لا يسقط، ووهبناك ناطقة تتدرج كتائب مددها في الأكوان فلا تسكت إلى يوم الدين، أنت هو القبول عندنا، المؤيد بنورنا، المبارك بعلمنا، المنصور بمددنا، نوالي من والاك، ونعادي من عاداك، ونصون بعون الله من حاماك، يرفع علمك من أفلاذ بيتنا حبيب لنا فأعد عليه نظر حنانك، وعلمه رقرقة قلبك وناطقة لسانك، ولا توافق أهل البدعة، ولا تلايم أرباب الدعوى، ولا تجنح بالقلب ولا باللسان إلى القول بالوحدة المطلقة، ولا تتعمق بالكلام على الذات والصفات، ولا تعمل الفكر في المتشابهات، خذ ما أخذ أجدادك الآل الطاهرين، وسر سير الصحابة، واتبع مناهج السلف، ووافق إماماً ترتضيه من أئمة المذاهب المتبعة اليوم، فالأربعة على حق ولا تقلد غير نبيك، وتحقق بالحب لله ولكتابه ولرسوله، ولا تشق العصا، ولا تجمع القلوب عليك بل اجمعها على الله، وعلى شريعة نبيك، وعليك بمشرب جدك السيد أحمد الرفاعي، واثبت على طريقته فإنها الطريقة المحمدية الحقة..

واعلم أنك اليوم خاتمة الصديقين وشيخ الطريقة القويمة المحمدية ثم الأحمدية.. وأنت سيد الآل فمن دونهم وصل علي وسلم" أ.هـ منه بلفظه (البرقمة ص83).

ويزعم الصيادي أنه بعد أن سمع خطاب الرسول هذا غاب عن نفسه ستة أشهر كاملة، لا يصحو إلا أوقات الفروض فقط، وأنه شكر الله بعد ذلك إذ جاءته هذه النعمة الكبرى على يد طير صغير (برقمة البلبل ص82).. فانظر إلى هذا الإسناد العجيب "حدثنا الصيادي حدثنا البلبل قال الله تعالى.." فأين نضع هذا البلبل يا علماء الحديث وعلماء الأصول.. هل هو عدل ضابط، وهل الذي يحدث عن بلبل أيضاً يكون عدلاً ضابطاً.. وليتهم لم يقحموا اسم الله واسم رسوله في هذه الخرافات الممقوتة والمدح الكاذب لأنفسهم! وليتهم إذا أرادوا هذا العلو في

الأرض وأكل أموال الناس بالباطل سلكوا غـير هـذا السـبيل! فإنـا للـه وإنـا إليـه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

الطريقة الرفاعية والتشيع:

تلتقي الطريقة الرفاعية مع التشيع في أمور كثيرة أهمها ما يلي:

1- جعل أحمد الرفاعي في المنزلة بعد الأئمة الاثني عشرة مباشرة:

بالرغم من أن الرفاعية ينسبون إمامهم أحمد الرفاعي إلى أنه من أولاد إبــراهيم بن موسى الكاظمي بن جعفر الصادق بن محمد بن الباقر بن زين العابــدين علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه (الطريقة الرفاعيـة ص129)، إلا أن الغـريب حقاً أنهم يجعلون منزلته بعد منزلـة الأئمـة الاثـني عشـر مباشـرة، وهـذا لا شـك مبـني على قــول الإماميــة في أن الأئمــة الاثــني عشــر هم وُرَّاثُ الــدين، وأن إماميتهم بالنص، وجعل أحمد الرفاعي آتياً في المنزلـة بعـد الإمـام الثـاني عشـر الذي يزعم الشيعة أنه ابن سنتين أو ثلاث أو خمس على خلاف بينهم وأنـه دخـل السرداب في سامراء سنة 206هـ وأنه مهـدي آخـر الزمـان، وأنـه سـيخرج ليملأ الدنيا عدلاً.. لا شـك أن قـول الرفاعيـة في أحمـد الرفـاعي اعـتراف منهم بهـذه العقيـدة الـتي يعتقـد أهـل السـنة أنهـا من المفتريـات والمكـذوبات وأن الحسـن العسكري لم ينجب أحداً، وأن هذا المهدي لا وجود له.

يقول الأستاذ محمد فهد الشقفة صاحب كتاب التصوف بين الحق والخلق: "لــدى تصفحي مواضيع كتاب بـوارق الحقـائق للـرواس وجـدت نقاطـاً تحتـاج إلى بيـان شاف -إن كان لها بيان شاف-.. وقـد علقت عليـه بملاحظـات". ثم ذكـر المؤلـف من هذه الملاحظات ما يلي:

"الأولى -يذكر ناشر هذا الكتـاب ومحققـه في ذيـل صـحيفة 141-142 نـاقلاً عن (روضة العرفان) لمؤلفها السـيد محمـود أبـو الهـدى خليفـة الـرواس قـال فيهـا: (الأئمة الاثنا عشر) رضي الله تعالى عنهم أئمة آل بيت الرسول صلى الله تعـالى عليه وسلم، تشمل إمامتهم كثـيراً من المعـاني اختلـف فيهـا الفـرق- ثم بعـد أن يذكر رأيين لفرقتين من الشيعة الاثني عشرية من هؤلاء الأئمـة، يقـول: وأشـرف المذاهب فيهم، مذهب أهـل الحـق من رجـال اللـه العـارفين فـإنهم يقولـون: إن الأئمة الاثني عشر، هم أئمة العترة فكل واحد منهم إمام لآل في زمانه، وصاحب مرتبة الغوثية المعبر عنها بالقطبية الكبرى، وهم : 1- سيدنا أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) كرم الله وجهه، 2- والإمام الجليل ولده أبـو محمـد(الحسـن)، 3- والإمام الشهيد (الحسين)، 4- والإمـام زين العابـدين (علي)، 5- والإمـام (محمـد الباقر)، 6- والإمام (جعفـر الصـادق)، 7- والإمـام (موسـى الكـاظم)، 8- والإمـام (علي الرضـا)، 9- والإمـام محمـد (الجـواد)، 10- والإمـام (علي الهـادي)، 11- والإمام (الحسن العسكري)، 12- والإمام (محمد المهدي) المنتظر الحجة، رضـي الله عنهم جميعاً.

الثانية- ويذكر أيضاً عن (روضة العرفـان) بعـد مـا تقـدم في ذيـل الصـحيفة 142 تحت عنـوان (تحفـة): أن بعض الأجلاء رأي الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام في المنام وسأله عن الإمام السيد أحمد الرفـاعي رضـي اللـه عنـه، فقـال لـه عليـه الصلاة والسلام: هو ثالث عشر أئمة الهدي من أهل بيتي.

الثالثة- ويذكر الـرواس في صـحيفة 212 من هـذا الكتـاب (بـوارق الحقـائق) أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال له: تمسك بولدي (أحمـد الرفـاعي) تصـل إلى

الله فهو سيد أولياء أمتي بعد أولياء القرون الثلاثة وأعظمهم منزلة، ولا يجيء مثله إلى يوم القيامة غير سميك (المهدي) بن العسكري" أ.هـ (التصوف بين الحق والخلق ص196).

وهذه الملاحظات التي أوردها محمد فهد الشقفة نقلاً من كتاب بوارق الحقائق للرواس الرفاعي لا تحتاج إلى مزيد شرح وإيضاح أن العقيدة الرفاعية هي عين العقيدة الشيعية الإمامية حول الأئمة عموماً والإمام الغائب خصوصاً. وإن كان الصيادي قد زعم تارةً أن أحمد الرفاعي يأتي في المنزلة بعد المهدي الغائب، وتارة يجعله مساوياً له..

2- إسناد الطريقة الرفاعية عن الإمام الغائب مهدي الشيعة المنتظر:

وقد جعل محمد الصيادي الرفاعي المتوفي سنة 1327هـ 1909م والذي يسمونه مجدد الطريقة الرفاعية، والرفاعي الثاني، أحد أسانيده المزعومة في الطريقة إلى المهدي الغائب منتظر الشيعة حيث يقول:

"لي أربعة أسانيد في المصافحة الأول عن ابن عمي السيد إبراهيم الرفاعي المفتي وسنده في المصافحة سنده في الإجازة إلى الإمام الأكبر سلطان الأولياء مولانا السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه وهو صافح جده يوم مد اليد والقصة أشهر من أن تذكر. والثاني عن ابن عمي وشيخي السيد عبدالله الراوي الرفاعي وسنده أيضاً سند إجازته وهو يتصل بالإمام الكبير الرفاعي رضي الله عنه وعنا به وهو قد صافح جده عليه الصلاة والسلام. والثالث عن حجة الله الإمام المهدي ابن الإمام العسكري رضوان الله وسلامه عليهما في طيبة الطيبة تجاه المرقد الأشرف المصطفوي وقال صافحت رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لي بخير. قال شيخنا (رضي الله عنه) ثم دعا لي الإمام المهدي رضوان الله عليه بخير. قال والرابع عن الخضر عليه السلام صافحته سبعاً وثلاثين مرة آخر مرة منها في مقام الشيخ معروف الكرخي (رضي الله عنه) ببغداد عصر يوم جمعة فقال صافحت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لي صافحت كفي هذه سرادقات عرش ربي عز وجل" انتهى (المجموعة النادرة ص 230،231).

وهذا اعتراف صريح لعقيدة الشيعة في الأئمة الاثني عشر، وبالإمام الغائب المزعوم. فأي صلة أكبر من هذا بين الطريقة الرفاعية والتشيع.

3- وحدة الشعار بين الرفاعية والشيعة:

وتلتقي الطريقة الرفاعية أيضاً في شعار واحد مع التشيع وهو السواد، ولبس العمامة السوداء.. يقول محمد مهدي الصيادي الرفاعي في كتاب قذلكة الحقيقة في أحكام الطريقة:

"المادة التاسعة عشرة في المائة الثالثة:

لبس العمامة السوداء، ولبس العمامة البيضاء وكلاهما سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا كان زي إمامنا في طريقتنا السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه وعنا به العمامة السوداء فهي خرقته المباركة"!! (الطريقة الرفاعية ص126).

فاختيار اللون الأسود ليكون الخرقة والشعار لا شك أنه توافق ظاهر آخر مع الشيعة الذين جعلوا هذا اللون شعاراً لهم.

4- الخلوة الأسبوعية:

ومن مشاعر الطريقة الرفاعية الخاصة الخلوة الأسبوعية في كل عام، وابتداء دخلوها في اليوم الثاني من عاشوراء يعني الحادي عشر من محرم، وقد جعلوها شرطاً لكل من انتسب إلى هذه الطريقة، وطعامها خال من كل ذي روح (الطريقة الرفاعية ص115).

ولا شك أن هذا التوقيت السنوي ليس اختياره عبثاً، لأنه يأتي بعد المشاعر الخاصة للشيعة رأساً.

5- ادعاء الاختصاص بالرحمة:

يدعي الصياد وهو المؤسس الثاني للطريقة الرفاعية أنه مختص برحمة الله، ووارث رسول الله، والمختار من الله الذي كشف له الغيب، وعرف أسرار الرموز القرآنية، وباطن القرآن، وأنه كنز الفيوضات المحمدية، وأنه إمام الوقت، والإمامية تظل فيه وفي أعقابه إلى يوم القيامة.. وهذه الدعاوي جميعاً هي من دعاوي الشيعة في أئمتهم وهذه بعض نصوص عباراته في ذلك:

يقول الصيادي الرفاعي:

"فأهل الاختصاص جذبتهم يد المشيئة الربانية، بمحض الفضل والعناية الصمدانية، إلى أقصى المراتب العلية، وهذا المنح الباهر، والفضل الوافر، هو يوم حصتي، ومنصته منصتي، أقامني الله في هذه المنزلة إماماً، واختارني لرتبة هذه الخصوصية ختاماً، وكشف لي مخبآت الغيب باطلاع من كرمه، وجليل نعمه، ففهمت أسرار الرموز الفرقانية، وسبرت خفايا دقائق البطون القرآنية ولم تبرح تترقى همتي بكشف تلك الحجب اللطيفة، وبشق ديباجات هاتيك المحاضر الشريفة، فأنا اليوم ولربي الحمد والشكر وله الإحسان والبر، كنز الفيوضات الطاهرة المحمدية، وسجل العلوم المقدسة النبوية، وهذه النوبة نوبتي، تتقلب في ورّاث منزلتي، وخدام قدمي إلى ما شاء الله، بهذا بشرت من صاحب الوعد الصادق، وقرأته في صحف الرموزات العلوية التي طفحت بفائق الحقائق، سينشر علم ظهور حالي بعد هذا الخفاء في الأكوان، ويبرز بروز الشمس من بطن ليل الطمس للعيان، وتعكف على بابي القلوب والأرواح، ويسري سر إرشادي في الجبال والأودية والبطاح، ولم يمسس شأن نهجي المبارك غبار دنيوي، ولم يرجع منه حرف إلى قصد نفساني، بل كله لله، على منهاج رسول الله، عليه صلوات الله، لا يعبأ معناه بحال من أحوال هذه الدنيا الدنية، ولا يلتفت قائد حاله إلى مظاهرها الزائلة المطوية، وقد تفرغ رجال وراثتي حال النبي في الأمة، وتقوم بأطوار السادة القادة الأئمة، ومن رجالي وجه مولاي علي أمير المؤمنين، صهر النبي الأمين، الأسد البطين، ليث العرين، ولي هذا الخط الذي سيبرز، وكأني أراه على يد عبد يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، من البيت الفاطمي، والفرع الأمدي، خزامي الفصيلة، خالدي القبيلة، يجدد المجد العلوي، ويرفع قواعد البيت الرفاعي، ويمهد فخار العنصر الصيادي، ينبلج شارق طالعه قرب متكين، فيقوم كما أنا حيرة للمفتونين، وجاذبة للموفقين، ويترعرع مجده في ساحة الظهور، فيرتقي إلى الشهباء، ثم إلى فروق، وبها تظهره لوامع بروق، وفي بحبوحة تلك الترقيات، وسمو هاتيك المنصات، فالمفتون قادح، والمأمون مادح ونور الله ساطع، وفي فضاء الوجودات لامع، وما النصر إلا من عند الله، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله، ويقبل عليه من

ارتضيناه وأعناه، وأسعفناه بمدد واجتذبناه، ولا يزال الأمر منبلج المظهـر، ولـذكر الله أكبر" أ.هـ منه بلفظه.

ولا يخفى على القـارئ اللـبيب كلمـات هـذا الصـيادي أن وارثـه سـيجدد المجـد العلوي، وأنه من البيت الفاطمي.. فكلها عبارات تنبئ عن المقصد والمعتقد.

* ولعلنا لا نستغرب بعد ذلك ممن ترجم لهذا الصيادي الرفاعي بعـد موتـه فقـال عنه:

"قام السيد أبو الهدىرحمه الله مـدة حياتـه الكريمـة بأعمـال جليلـة نافعـة ومـآثر حميدة طيبة تبقى شافعة لـه عنـد ربـه يـوم اللقـاء، وأعمالـه كـانت منصـبة على تعمير الأضرحة لآل البيت الكرام" (المجموعة النادرة ص37،38).

الفصل الخامس

مناظرة شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية

للبطائحية الرفاعية

بعد أن استكملنا بحمد الله الخطوط العريضة للطرق الصوفية قديماً وحديثاً نتبـع هذا البيان بمناظرة شيخ الإسلام ابن تيمية لمن عاصروه من الرفاعية البطائحيـة فقـد زعم الرفاعيـة أن اللـه قـد ألان لهم الحديـد وأزال لهم فاعليـة السـموم والنيران، وأخضع لهم طغاة الجن، وما زالوا منذ ذلك اليوم يمخرقـون بمثـل هـذا على الناس إلى يومنا هذا. وقد وقعت مناظرة بين شيخ الإسلام والرفاعيـة حـول هذه الأمور التي يدعونها. فتحـداهم شـيخ الإسـلام فيهـا وبين لهم أن مـا يدعونـه كذب وتمويه ودجل وليس من الولاية في شيء، وقد أثبت هذه المناظرة بكاملها بقلم الشيخ ابن تيمية لما فيهـا من القواعـد العظيمـة والجليلـة، ولمناسـبتها لمـا نحن في صـددها من بيـان الحـق فيمـا عنـد الصـوفية من الزيـغ والباطـل واللـه المستعان.

قال شيخ الإسلام قدس الله روحه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد للـه رب العـالمين، وأشـهد أن لا إلـه إلا اللـه رب السـماوات والأرضـين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين، صـلى اللـه تعـالى عليـه وعلى آلـه وسلم تسليماً دائماً إلى يوم الدين (مناظرة ابن تيمية لدجاجلة البطائحية).

(أما بعد) فقد كتبت ما حضرني ذكره في المشهد الكبير بقصر الإمـارة والميـدان بحضرة الخلق من الأمراء والكتـاب والعلمـاء والفقـراء العامـة وغـيرهم في أمـر (البطائحية) يوم السـبت تاسـع جمـادي الأولى سـنة خمس (أي بعـد السـبعمائة) لتشوف الهمم إلى معرفة ذلك وحرص النـاس على الإطلاع عليـه. فـإن من كـان غائباً عن ذلك قد يسمع بعض أطراف الواقعة، ومن شـهدها فقـد رأى وسـمع مـا رأى وسمع، ومن الحاضرين من سمع ورأى ما لم يسمع غيره ويرى لانتشار هذه الواقعة العظيمة، ولما حصل بها من عز الدين، وظهور كلمته العليا، وقهر النـاس على متابعـة الكتـاب والسـنة، وظهـور زيـف من خـرج عن ذلـك من أهـل البـدع المضلة والأحوال الفاسدة والتلبيس على المسلمين.

وقد كتبت في غير هذا الموضع صفة حال هؤلاء (البطائحيـة) وطـريقتهم وطريـق (الشيخ أحمد بن الرفاعي) وحاله، وما وافقوا فيه المسلمين وما خالفوهم. ليتبين

ما دخلوا فيه من دين الإسلام وما خرجوا فيه عن دين الإسلام، فـإن ذلـك يطـول وصفه في هذا الموضع، وإنما كتبت هنا ما حضرني ذكره من حكاية هذه الواقعــة المشهورة في مناظراتهم ومقابلتهم.

وذلك أني كنت أعلم من حالهم بما قد ذكرته في غير هذا الموضع -وهو أنهم وإن كانوا منتسبين إلى الإسلام، وطريقة الفقر والسـلوك، ويوجـد في بعضـهم التعبـد والتأله والوجـد والمحبـة والزهـد والفقـر والتواضـع ولين الجـانب والملاطفـة في المخاطبة والمعاشرة والكشف والتصرف ونحو ذلـك مـا يوجـد- فيوجـد أيضـاً في بعضـهم من الشـرك وغـيره من أنـواع الكفـر، ومن الغلـو والبـدع في الإسـلام والإعراض عن كثير ما جاء به الرسول، والاسـتخفاف بشـريعة الإسـلام، والكـذب والتلبيس وإظهار المخارق الباطلة وأكل أموال الناس بالباطل، والصد عن سـبيل الله ما يوجد..

وقد تقدمت لي معهم وقـائع متعـددة بينت فيهـا لمن خاطبتـه منهم ومن غـيرهم بعض ما فيهم من حق وباطل، وأحـوالهم الـتي يسـمونها الإشـارات، وتـاب منهم جماعــة، وأدب منهم جماعــة من شــيوخهم، وبينت صــورة مــا يظهرونــه من المخاريق: مثل ملابسة النـار والحيـات، وإظهـار الـدم، واللاذن والزعفـران ومـاء الورد والعسل والسـكر وغـير ذلـك، وأن عامـة ذلـك عن حيـل معروفـة وأسـباب مصنوعة، وأراد غير مرة منهم قوم إظهـار ذلـك فلمـا رأوا معارضـتي لهم رجعـوا ودخلوا على أن أسترهم فأجبتهم إلى ذلك بشرط التوبة، حتى قال لي شيخ منهم في مجلس عام فيه جماعة كثيرة ببعض البساتين لما عارضتهم بأني أدخل معكم النار بعد أن نغتسل بما يذهب الحيلة، ومن احترق كان مغلوباً، فلمـا رأوا الصـدق أمسكوا عن ذلك.

وحكى ذلك الشيخ أنه كان مرة عند بعض أمراء التتر بالمشـرق، وكـان لـه صـنم يعبده، قال: فقال: هذا الصنم يأكل من هذا الطعام كل يوم ويبقى أثـر الأكـل في الطعام بيناً يرى فيه!! فأنكرت ذلك، فقـال لي إن كـان يأكـل أنت تمـوت؟ فقلت نعم، قال: فأقمت عنده إلى نصف النهار ولم يظهـر في الطعـام أثـر! فاسـتعظم ذلك التتري وأقسم بأيمان مغلظة أنه كـل يـوم يـرى فيـه أثـر الأكـل، لكن اليـوم بحضورك لم يظهر ذلك. فقلت لهذا الشيخ: أنا أبين لك سبب ذلـك. ذلـك التـتري كافر مشرك، ولصنمه شيطان يغويه بما يظهره من الأثر في الطعام، وأنت كــان معك من نور الإسلام وتأييد الله تعالى ما أوجب انصراف الشيطان عن أن يفعــل ذلك بحضورك، وأنت وأمثالك بالنسبة إلى أهل الإسلام الخالص كـالتتري بالنسـبة لأمثالك. فالتتري وأمثاله سود، وأهل الإسلام المحض بيض، وأنتم بلق فيكم سواد وبياض. فأعجب هذا المثل من كان حاضراً!!!

وقلت لهم في مجلس آخـر لمـا قـالوا تريـد أن تظهـر هـذه الإشـارات؟ قلت: إن عملتموها بحضور من ليس من أهل الشأن: من الأعراب والفلاحين، أو الأتراك أو العامة أو جمهور المتفقهة والمتفرقة والمتصوفة لم يحسب لكم ذلك. فمن معـه ذهب فليـأت بـه إلى سـوق الصـرف إلى عنـد الجهابـذة الـذين يعرفـون الـذهب الخالص من المغشوش ومن الصفر، لا يذهب إلى عند أهل الجهل بـذلك. فقـالوا لي: لا نعمل هـذا إلا أن تكـون همتـك معنـا، فقلت: همـتي ليسـت معكم، بـل أنـا معارض لكم مانع لكم، لأنكم تقصدون بذلك إبطال شريعة رسول الله صلى اللـه عليه وسلم فإن كان لكم قدرة على إظهار ذلك فافعلوا. فانقلبوا صاغرين.

فلما كان قبل هذه الواقعة بمدة كان يدخل منهم جماعة مع شيخ لهم من شــيوخ البر. مطوقين بأغلال الحديد في أعناقهم، وهـو وأتباعـه معروفـون بـأمور، وكـان

يحضر عندي مرات فأخاطبه بالتي هي أحسن؛ فلما ذكر الناس مـا يظهرونـه من الشعار المبتدع الذين يتميزون به عن المسلمين. ويتخذونه عبادة وديناً يوهمـون بـه النـاس أن هـذا للـه سـر من أسـرارهم، وأنـه سـيماء أهـل الموهبـة الإلهيـة السالكين طريقهم –أعني طريق ذلك الشيخ وأتباعه- خاطبته في ذلـك بالمسـجد الجامع، وقلت هذا بدعة لم يشرعها الله تعالى ولا رسوله، ولا فعل ذلك أحـد من سلف هذه الأمة ولا من المشايخ الـذين يقتـدي بهم، ولا يجـوز التعبـد بـذلك، وإلا التقرب به إلى الله تعالى لأن عبادة الله بمـا لم يشـرعه ضـلالة، ولبـاس الحديـد على غير وجه التعبد قد كرهه من كرهـه من العلمـاء للحـديث المـروي في ذلـك وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى على رجل خاتماً من حديد فقال: [مـالي أرى عليك حلية أهل النار]. وقد وصـف اللـه تعـالى أهـل النـار بـأن في أعنـاقهم الأغلال، فالتشبه بأهل النار من المنكرات. وقال بعض الناس قد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الرؤيـا قـال في آخـره [أحب القيد وأكره الغـل. القيـد ثبـات في الـدين] فـإذا كـان مكروهـاً في المنـام فكيف في اليقظة؟!

فقلت له في ذلك المجلس ما تقدم من الكلام أو نحواً منه مع زيادة، وخوفته من عاقبة الإصرار على البدعة، وأن ذلك يوجب عقوبة فاعلـه، ونحـو ذلـك من الكلام الذي نسيت أكـثره لبعـد عهـدي بـه. وذلـك أن الأمـور الـتي ليسـت مسـتحبة في الشرع لا يجوز التعبد بها باتفاق المسلمين، ولا التقـرب بهـا إلى اللـه ولا اتخاذهـا طريقاً إلى الله وسبباً لأن يكون الرجل من أولياء الله وأحبائه، ولا اعتقاد أن اللـه يحبها أو يحب أصحابها كذلك، أو أن اتخاذها يزداد به الرجل خيراً عند اللـه وقربـة إليه، ولا أن يجعل شعاراً للتائبين المريدين وجه الله الـذين هم أفضـل ممن ليس مثلهم.

فهذا أصل عظيم تجب معرفته والاعتناء به، وهو أن المباحـات إنمـا تكـون مباحـة إذا جعلت مباحات، فأما إذا اتخذت واجبات أو مستحبات كان ذلك ديناً لم يشرعه الله، وجعل ما ليس من الواجبات والمسـتحبات منهـا بمنزلـة جعـل مـا ليس من المحرمات منها، فلا حرام إلا مـا حرمـه اللـه، ولا دين إلا مـا شـرعه اللـه؛ ولهـذا عظم ذم الله في القرآن لمن شرع ديناً لم يأذن الله به، ولمن حرم مـا لم يـأذن الله بتحريمه فإذا كان هذا في المباحات فكيف بالمكروهات أو المحرمات؟ ولهذا كانت هذه الأمور لا تلزم بالنذر، فلو نذر الرجل فعل مباح أو مكروه أو محـرم لم يجب عليه فعله كما يجب عليه إذا نذر طاعة الله أن يطيعه؛ بل عليه كفارة يمين إذا لم يفعل عند أحمد وغيره، وعند آخرين لا شيء عليه. فلا يصير بالنذر ما ليس بطاعة ولا عبادة طاعة وعبادة.

ونحو ذلك العهود التي تتخذ على الناس لالـتزام طريقـة شـيخ معين كعهـود أهـل (الفتوة) و (رماة البنـدق) ونحـو ذلـك ليس على الرجـل أن يلـتزم من ذلـك على وجه الدين والطاعة لله إلا ما كان ديناً وطاعة للـه ورسـوله في شـرع اللـه؛ لكن قد يكون عليه كفارة عند الحنث في ذلك؛ ولهذا أمرت غـير واحـد أن يعـدل عمـا أخذ عليه من العهد بالتزام طريقة مرجوحة أو مشتملة على أنواع من البـدع إلى ما هو خير منها من طاعة اللـه ورسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم واتبـاع الكتـاب والسنة؛ إذا كان المسلمون متفقين على أنه لا يجوز لأحد أن يعتقـد أو يقـول عن عمل: إنه قربة وطاعة وبر وطريق إلى الله واجب أو مسـتحب إلا أن يكـون ممـا أمر الله به ورسوله صـلى اللـه عليـه وسـلم، وذلـك يعلم بالأدلـة المنصـوبة على ذلك، وما علم باتفـاق الأمـة أنـه ليس بـواجب ولا مسـتحب ولا قربـة لم يجـز أن يعتقد أو يقال إنه قربة وطاعة.

فكذلك هم متفقون على أنه لا يجوز قصد التقرب بـه إلى اللـه، ولا التعبـد بـه ولا اتخاذه ديناً ولا عمله من الحسنات، فلا يجوز جعله من الدين لا باعتقاد وقـول، ولا بإرادة وعمل.

وبإهمال هذا الأصل غلط خلق كثير من العلماء والعباد يـرون الشـيء إذا لم يكن محرماً لا ينهى عنه، بل يقال إنه جائز ولا يفرقون بين اتخـاذه دينـاً وطاعـة وبـراً، وبين استعماله كما تستعمل المباحات المحضة، ومعلوم أن اتخاذه دينـاً بالاعتقـاد أو الاقتصـاد أو بهمـا أو بـالقول أو بالعمـل أو بهمـا من أعظم المحرمـات وأكـبر السيئات، وهذا من البدع المنكرات التي هي أعظم من المعاصي الـتي يعلم أنهـا معاص وسيئات.

فصل

فلما نهيتهم عن ذلك أظهروا الموافقة والطاعة ومضـت على ذلـك مـدة والنـاس يـــذكرون عنهم والإصــرار على الابتــداع في الــدين، وإظهــار مــا يخالفشــرعة المسـلمين، ويطلبـون الإيقـاع بهم، وأنـا أسـلك مسـلك الرفـق والأنـاة، وأنتظـر الرجوع والفيئة، وأؤخر الخطـاب إلى أن يحضـر (ذلـك الشـيخ) لمسـجد الجـامع. وكان قد كتب إلي كتاباً بعد كتـاب فيـه احتجـاج واعتـذار، وعتب وآثـار، وهـو كلام باطل لا تقوم به حجة، بل إما أحـاديث موضـوعة، أو إسـرائيليات غـير مشـروعة، وحقيقة الأمر الصد عن سبيل الله وأكل أموال الناس بالباطل.

فقلت لهم: الجواب يكون بالخطاب. فإن جواب مثل هـذا الكتـاب لا يتم إلا بـذلك وحضر عندنا منهم شخص فنزعنا الغل من عنقه.

وهؤلاء هم من أهل الأهواء الذين يتعبدون في كثير من الأمور بأهوائهم لا بما أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم {ومن أضل ممن اتبع هـواه بغـير هـدى من الله}. ولهذا غالب وجـدهم هـوى مطلـق لا يـدرون من يعبـدون، وفيهم شـبه قوي من النصارى الذين قال الله تعالى فيهم: {يا أهل الكتاب لا تغلـوا في دينكم غير الحـق ولا تتبعـوا أهـواء قـوم قـد ضـلوا من وأضـلوا كثـيراً وضـلوا عن سـواء السبيل}، ولهذا كان السلف يسمون أهل البدع أهل الأهواء.

فحملهم هواهم على أن تجمع الأحزاب، ودخلـوا إلى المسـجد الجـامع مسـتعدين للحراب، بالأحوال التي يعدونها للغلاب. فلما قضـيت صـلاة الجمعـة أرسـلت إلى شيخهم لنخاطبه بأمر اللـه ورسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم، ونتفـق على اتبـاع سبيله - فخرجـوا من المسـجد الجـامع في جمـوعهم إلى قصـر الإمـارة، وكـأنهم اتفقوا مع بعض الكبار على مطلـوبهم، ثم رجعـوا إلى مسـجد الشـاغور -على مـا ذكر لي- وهم من الصياح والاضـطراب، على أمـر من أعجب العجـاب. فأرسـلت إليهم مرة ثانية لإقامة الحجة والمعذرة، وطلبـاً للبيـان والتبصـرة، ورجـاء المنعـة والتذكرة. فعمدوا إلى القصر مرة ثانية، وذكر لي أنهم قدموا من الناحية الغربيـة مظهـرين الضـجيج والعجيج والإزبـاد والإرعـاد، واضـطراب الـرؤوس والأعضـاء، والتقلب في نهر بـردى وإظهـار التولـه الـذي يخيلـوا بـه على الـردى، وإبـراز مـا يدعونه من الحال والمحال، الذي يسلمه إليهم من أضلوا من الجهال.

فلما رأى الأمير ذلك هاله ذلك المنظر، وسأل عنهم فقيل له هم مشتكون، فقـال ليدخل بعضهم، فدخل شيخهم، وأظهر من الشـكوى عليّ ودعـوى الاعتـداء مـني عليهم كلاماً كثيراً لم يبلغني جميعه؛ لكن حدثني من كـان حاضـراً أن الأمـير قـال لهم: فهذا الذي يقوله من عنده أو يقوله عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: بل يقوله عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال: فـأي شـيء يقـال

له؟ قالوا: نحن لنا أحوال وطريق يسلم إلينا، قال: فنسـمع كلامـه فمن كـان في الحق معه، قالوا: ولا بد من حضوره؟ قـال: نعم، فكـرروا ذلـك فـأمر بـإخراجهم، فأرسل إلى بعض خواصه من أهل الصدق والدين ممن يعـرف ضـلالهم وعرفـني بصورة الحال وأنه يريد كشف أمر هؤلاء.

فلمـا علمت ذلـك ألقي في قلـبي أن ذلـك لأمـر يريـده اللـه من إظهـار الـدين، وكشف حال أهل النفاق المبتدعين، لانتشارهم في أقطـار الأرضـين، ومـا أحببت البغي عليهم والعــدوان، ولا أن أســلك معهم إلا أبلــغ مــا يمكن من الإحســان، فأرسلت إليهم من عرفهم بصورة الحال، وأني إذا حضـرت كـان ذلـك عليكم من الوبال، وكثر فيكم القيل والقال، وأن من قعد أو قـام قـدام رمـاح أهـل الإيمـان، فهو الذي أوقع نفسه في الهوان. فجاء الرسـول وأخـبر أنهم اجتمعـوا بشـيوخهم الكبار، الذين يعرفون حقيقة الأسـرار، وأشـاروا إليهم بموافقـة مـا أمـروا بـه من اتباع الشريعة، والخروج عما ينكر عليهم من البدع الشنيعة. وقـال شـيخهم الـذي يسيح بأقطار الأرض كبلاد الترك ومصر وغيرها: أحوالنا تظهر عند التتـار لا تظهـر عنـد شــرح محمــد بن عبداللــه. وأنهم نزعــوا الأغلال من الأعنــاق، وأجــابوا إلى الوفاق.

ثم ذكر لي أنه جاءهم بعض أكابر غلمـان المطـاع وذكـر أنـه لا بـد من حضـورهم لموعد الاجتماع. فاستخرت الله تعالى تلك الليلة واستعنته، واسـتهديته، وسـلكت سبيل عباد الله في مثل هذه المسالك، حتى ألقي في قلبي أن أدخـل النـار عنـد الحاجة إلى ذلك، وأنها تكون برداً وسلاماً على من اتبع ملة الخليـل، وأنهـا تحـرق أشباه الصابئة أهل الخروج عن هذا السبيل. وقد كان بقايا الصابئة أعداء إبـراهيم الحنفاء بنواحي البطائح منضمين إلى من يضاهيهم من نصارى الدهماء.

وبين الصابئة ومن ضل من العباد المنتسـبين إلى هـذا الـدين، لسـبب يعرفـه من عرف الحق المبين، فالغالية من القرامطة والقاطنيـة، كالنصـيرية والإسـماعيلية، يخرجون إلى مشابهة الصـابئة الفلاسـفة، ثم إلى الإشـراك، ثم إلى جحـود الحـق تعــالى. ومن شــركهم الغلــو في البشــر والابتــداع في العــادات، والخــروج عن الشريعة له نصيب من ذلـك بحسـب مـا هـو لائـق، كالملحـدين من أهـل الاتحـاد، والغالية من أصناف العباد.

فلما أصبحنا ذهبت إلى الميعاد، وما أحببت أن أستصحب أحداً للإسعاد، لكن ذهب أيضاً بعض من كان حاضـراً من الأصـحاب، واللـه هـو المسـبب لجميـع الأسـباب، وبلغني بعد ذلك أنهم طافوا على عدد من أكابر الأمراء، وقالوا أنواعاً ممـا جـرت به عادتهم من التلبيس والافتراء، الـذي اسـتحوذوا بـه على أكـثر أهـل الأرض من الأكابر والرؤساء، مثل زعمهم أن لهم أحـوالاً لا يقـاومهم فيهـا أحـد من الأوليـاء، وأن لهم طريقاً لا يعرفه أحد من العلماء. وأن شيخهم هو في المشايخ كالخليفة، وأنهم يتقـدمون على الخلـق بهـذه الأخبـار المنيفـة. وأن المنكـر عليهم هـو آخـذ بالشرع الظاهر، غير واصل إلى الحقائق والسرائر. وأن لهم طريقـاً ولـه طريـق. وهم الواصلون إلى كنه التحقيق وأشباه هذه الدعاوي ذات الزخرف والتزويق.

أنواع من تلبيسات الرفاعية:

وكانوا لفرط انتشارهم في البلاد، واسـتحواذهم على الملـوك والأمـراء والأجنـاد، لخفاء نور الإسلام، واستبدال أكثر الناس بـالنور الظلام، وطمـوس آثـار الرسـول في أكثر الأمصار، ودروس حقيقة الإسلام في دولة التتار، لهم في القلـوب موقـع هائل، ولهم فيهم من الاعتقاد ما لا يزول بقول قائل.

قال المخبر: فغدا أولئك الأمـراء الأكـابر، وخـاطبوا فيهم نـائب السـلطان بتعظيم أمرهم الباهر، وذكر لي أنواعاً من الخطاب، والله تعـالى أعلم بحقيقـة الصـواب، والأمير مستشعر ظهور الحق عند التحقيق، فعاد الرسول، إلي مـرة ثانيـة فبلغـه أنّا في الطريق، وكان كثير من أهل الاتحاد مجدين في نصرهم بحسب مقدورهم، مجهـزين لمن يعـنيهم في حضـورهم. فلمـا حضـرت وجـدت النفـوس في غايـة الشوق في هـذا الاجتمـاع، متطلعين إلى مـا سـيكون طـالبين للاطلاع. فـذكر لي نائب السلطان وغـيره من الأمـراء بعض مـا ذكـروه من الأقـوال المشـتملة على الافتراء. وقال إنهم قالوا: إنـك طلبت منهم الامتحـان، وأن يحمـوا الأطـواق نـاراً ويلبسوها، فقلت هذا من البهتان.

وها أنا ذا أصف ما كان. قلت للأمير: نحن لا نستحل أن نأمر أحداً بأن يدخل نـاراً، ولا تجوز طاعة من يأمر بدخول النار. وفي ذلك الحديث الصحيح. وهؤلاء يكـذبون في ذلك، وهم كذابون مبتدعون قد أفسدوا من أمـر دين المسـلمين ودنيـاهم مـا الله به عليم. وذكرت تلبيسهم على طوائف من الأمراء، وأنهم لبسوا على الأمـير المعروف بالأيد مري، وعلى قفجق نائب السلطة وعلى غيرها، وقد لبسـوا أيضـاً على الملك العادل كتغا في ملكه، وفي حالة ولاية حماة، وعلى أمير السلاح أجل أمير بديار مصر، وضـاق المجلس عن حكايـة جميـع تلبيسـهم. فـذكرت تلبيسـهم على الأيد مـري، وأنهم كـانوا يرسـلون من النسـاء من يسـتخبر عن أحـوال بيتـه الباطنة، ثم يخبرونه بها على طريق المكاشفة، ووعدوه بالملك، وأنهم وعدوه أن يروه رجال الغيب. فصـنعوا خشـباً طـوالاً وجعلـوا عليهـا من يمشـي كهيئـة الـذي يلعب بأكر الزجاج، فجعلوا يمشـون على جبـل المـزة وذاك يـرى من بعيـد قومـاً يطوفون على الجبل وهم يرتفعون على الأرض وأخذوا منه مالاً كثيراً ثم انكشـف له أمرهم.

قلت للأمير: وولده هو الذي في حلقة الجيش يعلم ذلك، وهـو ممن حـدثني بهـذه القصة. وأما قفجق فإنهم أدخلوا رجلاً في القبر يتكلم وأوهموه أن الموتى تتكلم، وأتوا به في مقابر باب الصغير إلى رجل زعموا أنه الرجل الشعراني الذي بجبـل لبنان، ولم يقربوه منه بل من بعيد لتعود عليه بركته، وقالوا إنه طلب منـه جملـة من المال؛ فقال قفجق: الشيخ يكاشف وهو يعلم أن خزائني ليس فيها هذا كلـه، وتقرب قفجق منه وجذب الشعر فانقلع الجلد الذي ألصقوه على جلـده من جلـد الماعز.

فذكرت للأمير هـذا؛ ولهـذا قيـل لي إنـه لمـا انقضـى المجلس وانكشـف مـا لهم للناس كتب أصحاب قفجق إليه كتاباً وهو نائب السلطنة بحماة يخـبره صـورة مـا جرى.

وذكرت للأمير أنهم مبتدعون بأنواع من البدع، مثل الأغلال ونحوهـا، وأنّـا نهينـاهم عن البدع الخارجة عن الشريعة، فذكر الأمير حديث البدعة وسألني عنه، فذكرت حديث العربـاض بن سـارية، وحـديث جـابر بن عبداللـه، وقـد ذكرتهمـا بعـد ذلـك بالمجلس العام كما سأذكره.

ابن تيمية يتحداهم بدخول النار معهم:

قلت للأمير: أنا ما امتحنت هـؤلاء، لكن هم يزعمـون أن لهم أحـوالاً يـدخلون بهـا النار، وأن أهل الشريعة لا يقدرون على ذلـك، ويقولـون لنـا: هـذه الأحـوال الـتي يعجز عنها أهل الشرع ليس لهم أن يعترضوا علينا، بل يسلم إلينا ما نحن عليــه - سواء وافق الشرع أو خالفه- وأنا قد استخرت الله سـبحانه أنهم إن دخلـوا النـار أدخل أنا وهم ومن احترق منا ومنهم فعليه لعنة الله، وكان مغلوباً، وذلـك بعـد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار.

فقال الأمير: ولم ذاك؟ قلت: لأنهم يطلـون جسـومهم بأدويـة يصـنعونها من دهن الضفادع، وباطن قشر النـارنج، وحجـر الطلـق، وغـير ذلـك من الحيـل المعروفـة لهم، وأنا لا أطلي جلدي بشيء فإذا اغتسلت أنا وهم بالخـل والمـاء الحـار بطلت الحيلة وظهر الحق، فاسـتعظم الأمـير هجـومي على النـار، وقـال: أتفعـل ذلـك؟ فقلت له: نعم! قد اسـتخرت اللـه في ذلـك وألقي في قلـبي أن أفعلـه، ونحن لا نرى هذا وأمثاله ابتداء فإن خوارق العادات إنما تكون لأمة محمد صلى الله عليـه وسـلم المتبعين لـه باطنـاً وظـاهراً لحجـة أو حاجـة، فالحجـة لإقامـة دين اللـه، والحاجة لما لا بـد منـه من النصـر والـرزق الـذي بـه يقـوم دين اللـه، وهـؤلاء إذا أظهروا ما يسمونه إشارتهم وبراهينهم التي يزعمون أنها تبطل دين الله وشـرعه وجب إلينا أن ننصر الله ورسوله صلى الله تعالى عليـه وسـلم، ونقـوم في نصـر دين الله وشريعته بما نقدر عليـه من أرواحنـا وجسـومنا وأموالنـا، فلنـا حينئـذ أن نعارض ما يظهرونه من هذه المخاريق بما يؤيدنا الله به من الآيات.

وليعلم أن هذا مثل معارضة موسى للسحرة لما أظهروا سحرهم أيد الله موسى بالعصا التي ابتلعت سحرهم. فجعل الأمير يخـاطب من حضـره من الأمـراء على السماط بذلك، وفرح بذلك، وكأنهم كانوا قد أوهموه أن هـؤلاء لهم حـال لا يقـدر أحد على رده، وسمعته يخاطب الأمير الكبير الذي قدم من مصر الحاج بهادر وأنا جالس بينهما على رأس السماط بالتركي ما فهمته منه إلا أنـه قـال: اليـوم تـرى حرباً عظيماً، ولعل ذلك كان جواباً لمن كان خاطبه فيهم على ما قيل.

وحضر شيوخهم الأكابر فجعلوا يطلبون من الأمير الإصـلاح وإطفـاء هـذه القضـية ويترفقون، فقال الأمير: إنمـا يكـون الصـلح بعـد ظهـور الحـق، وقمنـا إلى مقعـد الأمير بزاوية القصـر، أنـا وهـو وبهـادر، فسـمعته يـذكر لـه أيـوب الحمـال بمصـر والمولهين ونحو ذلك، فدل ذلك على أنه كان عند هذا الأمير لهم صورة معظمــة، وأن لهم فيهم ظناً حسناً والله أعلم بحقيقة الحال؛ فإنه ذكر لي.

وكان الأمير أحب أن يشهد بهادر هـذه الواقعـة ليتـبين لـه الحـق؛ فإنـه من أكـابر الأمراء وأقدمهم وأعظمهم حرمة عنده، وقد قدم الآن وهو يحب تأليفه وإكرامــه، فأمر ببساط يبسط في الميدان. وقد قدم البطائحيـة وهم جماعـة كثـيرون، وقـد أظهـروا أحـوالهم الشـيطانية من الإزبـاد والإرغـاء وحركـة الـرؤوس والأعضـاء، والظفر والحبو والتقلب، ونحو ذلك من الأصوات المنكـرات، والحركـات الخارجـة عن العادات، المخالفة لما أمـر بـه لقمـان لابنـه في قولـه: {واقصـد في مشـيك واغضض من صوتك}.

فلما جلسنا وقد حضر خلق عظيم من الأمراء والكتاب والعلماء والفقراء والعامة وغيرهم، وحضر شيخهم الأول المشتكي، وشيخ آخر يسمي نفسـه خليفـة سـيده أحمد، ويركب بعلمين، وهم يسمونه: عبدالله الكذاب، ولم أكن أعرف ذلك. وكان من مدة قد قدم علي منهم شيخ بصورة لطيفة وأظهر مـا جـرت بـه عـادتهم من المسألة فأعطيته طلبته ولم أتفطن لكذبه حتى فارقني، فبقي في نفسي أن هذا خفي علي تلبيسه إلى أن غاب، وما يكاد يخفى علي تلـبيس أحـد، بـل أدركـه في

أول الأمر فبقي ذلك في نفسي ولم أره قط إلى حين نظرته، ذكر لي أنه ذاك الذي كان اجتمع بي قديماً فتعجبت من حسن صنع الله أنه هتكه في أعظم مشهد يكون حيث كتم تلبيسه بيني وبينه.

الرفاعية البطائحية ينكلون عن دعاويهم ويقرون بما هم فيه من الباطل:

فلما حضروا تكلم منهم شيخ يقال له حاتم بكلام مضمونه طلب الصلح والعفو عن الماضي والتوبة، وإنا مجيبون إلى ما طلب من ترك هذه الأغلال وغيرها من البدع، ومتبعون للشريعة. (فقلت) أما التوبة فمقبولة. قال الله تعالى: {غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب} وقال تعالى: {نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم* وأن عذابي هو العذاب الأليم}.

فأخذ شيخهم المشتكي ينتصر للبسهم الأطواق وذكر أن وهب بن منبه روى أنه كان في بني إسرائيل عابد وأنه جعل في عنقه طوقاً في حكاية من حكايات بني إسرائيل لا تثبت.

(فقلت) لهم: ليس لنا أن نتعبد في ديننا بشيء من الإسرائيليات المخالفة لشرعنا، وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبدالله أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى بيد عمر بن الخطاب ورقة من التوراة فقال: [أمتهوكون يا ابن الخطاب؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لو كان موسى حياً ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم] وفي مراسيل أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى مع بعض أصحابه شيئاً من كتب أهل الكتاب فقال: [كفى بقوم ضلالة أن يتبعوا كتاباً غير كتابهم أنزل إلى نبي غير نبيهم] وأنزل الله تعالى: {أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم}.

فنحن لا يجوز لنا اتباع موسى ولا عيسى فيما علمنا أنه أنزل عليهما من عند الله إذا خالف شرعنا، وإنما علينا أن نتبع ما أنزل علينا من ربنا ونتبع الشرعة والمنهاج الذي بعث الله به إلينا رسولنا. كما قال تعالى: {فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً}. فكيف يجوز لنا أن نتبع عباد بني إسرائيل في حكاية لا تعلم صحتها؟! وما علينا من عباد بني إسرائيل؟! {تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون} هات ما في القرآن وما في الأحاديث الصحاح كالبخاري ومسلم وذكرت هذا وشبهه بكيفية قوية.

فقال هذا الشيخ منهم يخاطب الأمير: نحن نريد أن تجمع لنا القضاة الأربعة والفقهاء ونحن قوم شافعية.

(فقلت) له هذا غير مستحب ولا مشروع عند أحد من علماء المسلمين؛ بل كلهم ينهى عن التعبد به ويعده بدعة، وهذا الشيخ كمال الدين بن الزملكاني مفتي الشافعية ودعوته وقلت: يا كمال الدين! ما تقول في هذا؟ فقال هذا بدعة غير مستحبة بل مكروهة. أو كما قال. وكان مع بعض الجماعة فتوى فيها خطوط طائفة من العلماء بذلك.

(وقلت) ليس لأحد الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولا الخروج عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأشك هل تكلمت هنا في قصة موسى والخضر؛ فإني تكلمت بكلام بعد عهدي به.

فانتدب ذلك الشيخ (عبدالله) ورفع صوته. وقال: نحن لنا أحوال وأمور باطنة لا يوقف عليها، وذكر كلاماً لم أضبط لفظه: مثل المجالس والمدارس والباطن

والظاهر؛ ومضمونه أن لنا الباطن ولغيره الظاهر، وأن لنا أمراً لا يقف (نسخه: لا يقدر) عليه أهل الظاهر فلا ينكرونه علينا، (فقلت) له -ورفعت صوتي وغضبت- الباطن والظاهر والمجالس والمدارس، والشريعة والحقائق، كل هذا مردود إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ليس لأحد الخروج عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لا من المشايخ والفقراء، ولا من الملوك والأمراء، ولا من العلماء والقضاة وغيرهم، بل جميع الخلق عليهم طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. وذكرت هذا ونحوه.

فقال -رفع صوته-: نحن لنا الأحوال وكذا وكذا. وادعى الأحوال الخارقة كالنار وغيرها، واختصاصهم بها، وأنهم يستحقون تسليم الحال إليهم لأجلها.

ابن تيمية يتحدى البطائحية بالدخول في النار ومن احترق فعليه لعنة الله:

فقلت -ورفعت صوتي وغضبت- أنا أخاطب كل أحمدي من مشرق الأرض إلى مغربها أي شيء فعلوه في النار فأنا أصنع مثل ما تصنعون، ومن احترق فهو مغلوب، وربما قلت فعليه لعنة الله، ولكن بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار؛ فسألني الأمراء والناس عن ذلك؟ فقلت: إن لهم حيلاً في الاتصال بالنار يصنعونها من أشياء: من دهن الضفادع، وقشر النارنج، وحجر الطلق. فضج الناس بذلك، فأخذ يظهر القدرة على ذلك فقال: أنا وأنت نلف في بارية بعد أن تطلى جسومنا بالكبريت. (فقلت) فقم.

وأخذت أكرر عليه في القيام إلى ذلك، فمد يده يظهر خلع القميص، فقلت: لا! حتى تغتسل في الماء الحار والخل، فأظهر الوهم على عادتهم فقال: من كان يحب الأمير فليحضر خشباً أو قال حزمة حطب. فقلت هذا تطويل وتفريق للجمع؛ ولا يحصل به مقصود؛ بل قنديل يوقد وأدخل إصبعي وإصبعك فيه بعد الغسل؛ ومن احترقت إصبعه فعليه لعنة الله؛ أو قلت: فهو مغلوب. فلما قلت ذلك تغير وذل. وذكر لي أن وجهه أصفر.

ثم قلت لهم: ومع هذا فلو دخلتم النار وخرجتم منها سالمين حقيقة، ولو طرتم في الهواء، ومشيتم على الماء، ولو فعلتم ما فعلتم لم يكن في ذلك ما يدل على صحة ما تدعونه من مخالفة الشرع، ولا على إبطال الشرع، فإن الدجال الأكبر يقول للسماء أمطري فتمطر؛ وللأرض أنبتي فتنبت، وللخربة أخرجي كنوزك فتخرج كنوزها تتبعه، ويقتل رجلاً ثم يمشي بين شقيه، ثم يقول له قم فيقوم، ومع هذا فهو دجال كذاب ملعون، لعنه الله، ورفعت صوتي بذلك فكان لذلك وقع عظيم في القلوب.

وذكرت قول أبي يزيد البسطامي: لو رأيتم الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف وقوفه عند الأوامر والنواهي، وذكرت عن يونس بن عبدالأعلى أنه قال للشافعي أتدري ما قال صاحبنا يعني الليث بن سعد؟ قال: لو رأيت صاحب هوى يمشي على الماء فلا تغتر به. فقال الشافعي: لقد قصر الليث لو رأيت صاحب هوى يطير في الهواء فلا تغتر به؛ وتكلمت بهذا ونحوه بكلام بعد عهدي به. ومشايخهم يتضرعون عند الأمير في طلب الصلح وجعلت ألح عليه في إظهار ما ادعوه من النار مرة بعد مرة وهم لا يجيبون، وقد اجتمع عامة مشايخهم الذي في البلد والفقراء المولهون منهم، وهم عدد كثير، والناس يضجون في الميدان، ويتكلمون بأشياء لا أضبطها.

فذكر بعض الحاضرين أن الناس قالوا ما مضمونه: {فوقع الحق وبطل ما كانون يعملون* فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين} وذكروا أيضاً أن هذا الشيخ يسمى

عبدالله الكذاب. وأنه الذي قصدك مرة فأعطيتـه ثلاثين درهمـاً، فقلت: ظهـر لي حين أخذ الدراهم وذهب أنه ملبس، وكان قد حكى حكاية عن نفسه مضمونها أنه أدخل النار في لحيته قدام صاحب حماة، ولمـا فـارقني وقـع في قلـبي أن لحيتـه مدهونة، وأنه دخل الروم واستحوذ عليهم.

رجوع الرفاعية وإقرارهم العمل بالكتاب والسنة:

فلمـا ظهـر للحاضـرين عجـزهم وكـذبهم وتلبيسـهم، وتـبين للأمـراء الـذين كـانوا يشـدون منهم أنهم مبطلـون رجعـوا، وتخـاطب الحـاج بهـادر ونـائب السـلطان وغيرهما بصورة الحال، وعرفـوا حقيقـة المحـال؛ وقمنـا إلى داخـل ودخلنـا، وقـد طلبوا التوبة عما مضى، وسألني الأمير عمـا تطلب منهم، فقلت: متابعـة الكتـاب والسنة مثل أن (لا) يعتقد أنه لا يجب عليه اتباعهما، أو أنـه يسـوغ لأحـد الخـروج من حكمهما ونحو ذلك، لو أنه يجوز اتباع طريقة تخالف بعض حكمهما، ونحو ذلك من وجوه الخروج عن الكتاب والسنة التي توجب الكفـر وقـد تـوجب القتـل دون الكفر، وقد توجب قتال الطائفة الممتنعة دون قتل الواحد المقدور علي.

فقـالوا: نحن ملـتزمون الكتـاب والسـنة؟ نحن نخلعهـا. فقلت: الأطـواق وغـير الأطواق، ليس المقصود شيئاً معيناً، وإنما المقصود أن يكـون جميـع المسـلمين تحت طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. فقـال الأمـير: فـأي شـيء الـذي يلزمهم من الكتاب والسنة؟ فقلت: حكم الكتاب والسنة كثـير لا يمكن ذكـره في هذا المجلس، لكن المقصود أن يلتزموا هذا التزاماً عامـاً، من خـرج عنـه ضـربت عنقه -وكرر ذلك وأشار بيده إلى ناحية الميـدان- وكـان المقصـود أن يكـون هـذا حكماً عاماً في حق جميع الناس؛ فإن هذا مشهد عام مشـهور قـد تـوفرت الهمم عليه، فيتقرر عند المقاتلة، وأهل الديوان، والعلماء والعبـاد، وهـؤلاء وولاة الأمـور أنه من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه.

فظائع الرفاعية في الصلاة:

قلت: ومن ذلك الصلوات الخمس في مواقيتها كما أمـر اللـه ورسـوله؛ فـإن من هـؤلاء من لا يصـلي، ومنهم من يتكلم في صـلاته، حـتى إنهم بـالأمس بعـد أن اشتكوا علي في عصر الجمعة جعل أحـدهم يقـول في صـلب الصـلاة: يـا سـيدي أحمد شيء لله. وهذا مع أنه مبطل للصلاة فهو شرك بالله ودعاء لغيره في حـال مناجاته التي أمرنا أن نقـول فيهـا: {إيـاك نعبـد وإيـاك نسـتعين} وهـذا قـد فعـل بالأمس بحضرة شيخهم فأمر قائل ذلك لما أنكر عليه المسلمون بالاستغفار على عادتهم في صغير الذنوب. ولم يأمره بإعادة الصلاة. وكذلك يصيحون في الصـلاة صياحاً عظيماً وهذا منكر يبطل الصلاة.

فقال: هذا يغلب على أحدهم كما يغلب العطاس.

فقلت: العطاس من الله والله يحب العطـاس ويكـره التثـاؤب ولا يملـك أحـدهم دفعه، وأما هذا الصـياح فهـو من الشـيطان، وهـو باختيـارهم وتكلفهم، ويقـدرون على دفعه، ولقد حدثني بعض الخبيرين بهم بعد المجلس أنهم يفعلون في الصلاة مالا تفعله اليهود والنصارى: مثل قول أحدهم أنا على بطن امـرأة الإمـام، وقـول الآخر كذا وكذا من الإمام، ونحـو ذلـك من الأقـوال الخبيثـة وأنهم إذا أنكـر عليهم المنكر تـرك الصـلاة يصـلون بالنوبـة، وأنـا أعلم أنهم متولـون للشـياطين ليسـوا مغلوبين على ذلك كمـا يغلب الرجـل في بعض الأوقـات على صـيحة أو بكـاء في الصلاة أو غيرها.

فلما أظهروا التزام الكتاب والسنة وجموعهم بالميدان بأصواتهم وحركاتهم الشيطانية يظهرون أحوالهم (قلت له) أهذا موافق للكتاب والسنة؟ فقال: هذا من الله حال يرد عليهم، فقلت: هذا من الشيطان الرجيم لم يأمر الله به ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أحبه الله ولا رسوله، فقال: ما في السماوات والأرض حركة ولا كذا ولا كذا إلا بمشيئته وإرادته، فقلت له: هذا من باب القضاء والقدر، وهكذا كل ما في العالم من كفر وفسوق وعصيان هم بمشيئته وإرادته وليس ذلك بحجة لأحد في فعله؛ بل ذلك مما زينه الشيطان وسخطه الرحمن.

فقال: فبأي شيء تبطل هذه الأحوال؟ فقلت: بهذه السياط الشرعية. فأعجب الأمير وضحك، وقال: أي والله! بالسياط الشرعية، تبطل هذه الأحوال الشيطانية، كما قد جرى مثل ذلك لغير واحد، ومن لم يجب إلى الدين بالسياط الشرعية فبالسيوف المحمدية. وأمسكت سيف الأمير وقلت: هذا نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلامه، وهذا السيف سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمن خرج عن كتاب الله وسنة رسوله ضربناه بسيف الله، وأعاد الأمير هذا الكلام، وأخذ بعضهم يقول: فاليهود والنصارى يقرون ولا نقر نحن؟ فقلت: اليهود والنصارى يقرون بالجزية على دينهم المكتوم في دورهم، والمبتدع لا يقر على بدعته، فأفحموا لذلك.

و(حقيقة الأمر) أن من أظهر منكراً في دار الإسلام لم يقر على ذلك، فمن دعا إلى بدعة وأظهرها لا يقر، ولا يقر من أظهر الفجور، وكذلك أهل الذمة لا يقرون على إظهار منكرات دينهم، ومن سواهم فإن كان مسلماً أخذ بواجبات الإسلام وترك محرماته، وإن لم يكن مسلماً ولا ذمياً فهو إما مرتد، وإما مشرك، وإما زنديق ظاهر الزندقة.

وذكرت ذم المبتدعة فقلت: روى مسلم في صحيحه عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه أبي جعفر الباقر عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته: [إن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة]. وفي السنن عن العرباض بن سارية، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: [أوصيكم بالسمع والطاعة فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة] وفي رواية [وكل ضلالة في النار].

فقال لي: البدعة مثل الزنا، وروى حديثاً في ذم الزنا، فقلت هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والزنا معصية، والبدعة شر من المعصية، كما قال سفيان الثوري: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ فإن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها. وكان قد قال بعضهم: نحن نتوب الناس، فقلت: مما ذا تتوبونهم؟ قال: من قطع الطريق، والسرقة، ونحو ذلك. فقلت: حالهم قبل تتويبكم خير من حالهم بعد تتويبكم؛ فإنهم كانوا فساقاً يعتقدون تحريم ما هم عليه، ويرجون رحمة الله، ويتوبون إليه، أو ينوون التوبة. فجعلتموهم بتتويبكم ضالين مشركين خارجين عن شريعة الإسلام، يحبون ما يبغضه الله ويبغضون ما يحبه الله، وبينت أن هذه البدع التي هم وغيرهم عليها شر من المعاصي.

قلت مخاطباً للأمير والحاضرين: أما المعاصي فمثل ما روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب أن رجلاً يدعى حماراً، وكان يشرب الخمر، وكان يُضحك

النبي صلى الله عليه وسلم، وكان كلما أتي به النبي صلى الله عليه وسلم جلـده الحد فلعنه رجل مرة. وقال: لعنه الله ما أكثر ما يـؤتى بـه إلى النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم؟! فقـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: [لا تلعنـه فإنـه يحب اللـه ورسوله]. قلت: فهـذا الرجـل كثـير الشـرب للخمـر ومـع هـذا فلمـا كـان صـحيح الاعتقاد يحب الله ورسوله شهد له النبي صلى الله عليـه وسـلم بـذلك فنهى عن لعنه.

وأما المبتدع فمثـل مـا أخرجـا في الصـحيحين عن علي بن أبي طـالب وعن أبي سعيد الخدري وغيرهما -دخل حديث بعضهم في بعض- أن النبي صلى اللـه عليـه وسلم كان يقسم، فجاءه رجل ناتئ الجبين كث اللحية، محلوق الرأس، بين عينيه أثر السجود، وقال ما قال. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [يخرج من ضئضئي هذا قوم يحقـر أحـدكم صـلاته مـع صـلاتهم، وصـيامه مـع صـيامهم، وقراءتـه مـع قراءتهم، يقـرأون القـرآن لا يجـاوز حنـاجرهم، يمرقـون من الإسـلام كمـا يمـرق السهم من الرميـة؛ لئن أدركتهم لأقتلنهم قتـل عـاد] وفي روايـة [لـو يعلم الـذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمـد لنكلـوا عن العمـل] وفي روايـة [شـر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوا].

(قلت): فهؤلاء مـع كـثرة صـلاتهم وقيـامهم وقـراءتهم ومـا هم عليـه من العبـادة والزهادة أمر النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم بقتلهم، وقتلهم علي بن أبي طـالب ومن معه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لخروجهم عن سنة النبي وشريعته، وأظن أني ذكرت قـول الشـافعي: لئن يبتلى العبـد بكـل ذنب مـا خلى الشرك بالله خير من أن يبتلى بشيء من هذه الأهواء. فلما ظهـر قبح البـدع في الإسلام، وأنها أظلم من الزنا والسرقة وشرب الخمر وأنهم مبتدعون بدعاً منكرة فيكون حالهم أسوء من حال الزاني والسارق وشارب الخمر أخذ شيخهم عبدالله يقول: يا مولانا لا تتعرض لهـذا الجـانب العزيـز -يعـني أتبـاع أحمـد بن الرفـاعي- فقلت منكراً بكلام غليظ: ويحك؛ أي شيء هو الجانب العزيز، وجنـاب من خالفـه أولى بالعز يـا ذو الزرجنـة (كـذا بالأصـل) تريـدون أن تبطلـوا دين اللـه ورسـوله، فقال: يا مولانا يحرقك الفقراء بقلـوبهم، وقلت: مثـل مـا أحرقـني الرافضـة لمـا قصدت الصـعود إليهم وصـار جميـع النـاس يخوفـوني منهم ومن شـرهم، ويقـول أصحابهم إن لهم سراً مع الله فنصر الله وأعان عليهم. وكان الأمـراء قـد عرفـوه بركة ما يسره الله في أمر غزو الرافضة في الجبل.

وقلت لهم: يا شبه الرافضة يا بيت الكذب، فإن فيهم من الغلو والشرك والمروق عن الشريعة ما شاركوا به الرافضة في بعض صفاتهم. وفيهم من الكذب مـا قـد يقاربون به الرافضة في ذلك، أو يساوونهم. أو يزيـدون عليهم، فـإنهم من أكـذب الطوائف حتى قيل فيهم: لا تقولوا أكذب من اليهود على الله، ولكن قولوا أكـذب من الأحمدية على شيخهم، وقلت لهم: أنا كافر بكم وبأحوالكم {فكيدوني جميعـاً ثم لا تنظرون}.

ولما رددت عليهم الأحاديث المكذوبة أخذوا يطلبون مني كتباً صحيحة ليهتدوا بهـا فبذلت لهم ذلك، وأعيد الكلام: من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقـه، وأعـاد الأمير هذا الكلام واستقر الكلام على ذلك. والحمد لله الذي صدق وعـده، ونصـر عبده، وهزم الأحزاب وحده.

الباب الخامس

الصلة بين التصوف والتشيع

1- أوائل المتصوفة وعلاقتهم بالتشيع:

يذكر الدكتور كامل مصطفى الشيبي في كتابه (الصلة بين التصوف والتشيع) أن أول من تسمى باسم الصوفي في الإسلام ثلاثة، هم جابر بن حيان، وأبو هاشم الكوفي، وعبدك الصوفي.

فأما جابر بن حيان فقد كان تلميذاً لجعفر الصادق أو عبده، والشيعة يرون أن جابراً هذا من كبارهم وأنه أحد الأبواب (الباب عند الشيعة هو المتكلم باسم الإمام) وأنه ألف كتباً في التشيع، وكان له مذهب خاص في الزهد ويذكر القفطي صاحب كتاب (إخْبارُ العلماء بأخبار العلماء) أن جابر بن حيان هذا كان مشرفاً على كثير من علوم الفلسفة ومتقلداً للعلم المعروف بعلم الباطن وهو مذهب المتصوفين من أهل الإسلام كالحارث المحاسبي، وسهل بن عبدالله التستري ونظرائهم، وقد كان جابر هذا بارعاً في الكيمياء ويقول عنه صاحب كتاب روضات الجنات (وأما البارع في هذه الصناعة على الإطلاق -علوم الطلسمات- فهو المقدم فيها الشيخ الآجل أبو موسى جابر بن حيان الصوفي منشئ كتاب المنتخب).

وأما الرجل الثاني الذي تسمى قديماً باسم الصوفي فهو أبو هاشم الكوفي وأنه أول من بنى خانقاه (دار خاصة للمنقطعين إلى التصوف) للصوفية في الرملة، وأنه كان يلبس لباساً طويلاً من الصوف كفعل الرهبان وكان يقول بالحلول والاتحاد مثل النصارى غير أن النصارى أضافوا الحلول والاتحاد إلى عيسى عليه السلام وأضافهما هو لنفسه ويقول الدكتور كامل الشيبي:

"ويظهر من كل ما دار حول أبي هاشم أن أخباره كانت قليلة وهي في اضطرابها تعدل الأخبار الواردة عن جابر بن حيان أو تزيد، ولكن أبا هاشم على كل حال كان معاصراً لجعفر الصادق أي معاصراً لجابر بن حيان ويسميه الشيعة مخترع الصوفية وينقلون عن الصادق أنه قال فيه (إنه فاسد العقيدة جداً، وهو ابتدع مذهباً يقال له التصوف وجعله مقراً لعقيدته الخبيثة) كل ذلك لينفوا أن يكون التصوف من اختراع شيعي وذلك أمر يدل على التنصل من مسؤولية لم تمحص نتائجها ولا أغراضها" أ.هـ (الصلة بين التصوف والتشيع).

* وأما عبدك الصوفي فيذكر الدكتور كامل الشيبي أيضاً أن الدكتور قاسم غني نقل عن ماسنيون أنه كان آخر شيوخ فرقة نصف شيعية ونصف صوفية تأسست في الكوفة، وظهرت كلمة (صوفية) في آثار المحاسبي والحافظ اسما لها، وأن (عبدك) هذا كان رجلاً منزوياً زاهداً توفي ببغداد سنة 210هـ وأنه أول من أطلق عليه اسم الصوفي وكان يطلق في ذلك الحين على بعض زهاد الكوفة من الشيعة، وعلى مجموعة من الثائرين في الإسكندرية، وأن (عبدك) هذا كان من كبار المشايخ وقدمائهم قبل بشر بن الحارث الحافي، والسري بن المغلّس السقطي، و(عبدك) هذا كان رأس فرقة من الزنادقة الذين زعموا أن الدنيا كلها حرام محرم لا يجوز الأخذ منها إلا القوت من حيث ذهب أئمة العدل، ولا تحل الدنيا إلا بأيام عادل، وإلا فهي حرام ومعاملة أهلها حرام. ولا يجوز الأخذ إلا مقدار القوت فقط.

ويضيف كامل الشيبي أن اسم (عبدك) هذا هو عبدالكريم وأن حفيده محمد بن عبدك كان مقدم الشيعة. وهكذا يبدو عبدك هذا جامعاً لاتجاهات عديدة مختلفة

نابعة من التشيع الممتزج بالزهد الذي انتشر في الكوفة وأنه أول كوفي يطلق عليه اسم الصوفي.

ويعلق الدكتور كامل الشيبي على كل هذا قائلاً:

"أما بعد فإن نتيجة هذا كله أن كلمة (صوفي) التي قطع الباحثون المحدثون بصدورها عن الصوف قد صارت كذلك لأن الصوف قد عم زهاد الكوفة نفسها حيث ظهرت هذه الكلمة أولاً. وقد اشتق التصوف من الصوف. وقد رأينا أن لبس الصوف قد نبع من بيئة الكوفة التي عرف تمسكها بالتشيع ومعارضتها وحربها بالسيف أو بالقول أو بالقلب لمن نكل بالأئمة العلويين. وذلك -إذا صح- يقطع بأن التصوف في أصوله الأولى كان متصلاً بالتشيع" (الصلة بين التصوف والتشيع ص272).

2- أوجه التلاقي بين التصوف والتشيع:

المطلع على حقيقة مذاهب الصوفية، وعلى حقيقة مذاهب التشيع يجد أن المذهبين ينبعان من أصل واحد تقريباً ويهدفان في النهاية إلى غاية واحدة ويشتركان في عامة العقائد والشرائع التي ينتحلها كل منهم. وإليك التفصيل لهذا الإجمال.

أ-ادعاء العلوم الخاصة:

أول شيء يحب الشيعة أن ينفردوا به عن سائر فرق المسلمين أن عندهم علوماً خاصة ليست مبذولة لعموم الناس وهم ينسبون هذه العلوم تارة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بزعم أن عنده أسرار الدين، وأنه وصي الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كتم عنده ما لم يطلع عليه باقي المسلمين، وتارة يزعمون أن عندهم علوم الأئمة أولاد علي من فاطمة وأن هؤلاء الأئمة يعلمون الغيب كله ولا يخطئون ولا ينسون، ولا يستطيع أحد أن يفهم الإسلام إلا من طريق الأئمة، فأسرار القرآن وحقيقة الدين عند الأئمة وحدهم، وتارة يزعمون أن عندهم قرآناً خاصاً يسمونه قرآن فاطمة وأنه يعدل هذا القرآن الذي بأيدي المسلمين ثلاث مرات (الدين بين السائل والمجيب للحاج ميرزا الحائري الإحقاقي ص89)، وليس فيه حرف من القرآن الذي بأيدي المسلمين اليوم. وأخرى يزعمون أن عندهم الجفر، وهو جلد قد كتب فيه كل العلوم.

وهكذا يزعمون لأنفسهم علوماً في الدين ليست عند أحد إلا عندهم فقط، ومرة أخرى يزعمون أن عندهم التفسير الحق لآيات القرآن بل يقولون إن الله بعث محمداً بالتنزيل (يعني حروف القرآن) وبعث علياً بالتأويل - (يعنون التفسير) (فرق الشيعة ص38).

ولقد درج المتصوفة أنفسهم على هذا المنوال نفسه فأعظم ما يلوح به المتصوفة ويتفاخرون به على الناس أن لديهم علوماً لدنية لا يطلع عليها إلا هم ولا يصل إليها إلا من سار على طريقهم بل إنهم احتقروا ما عند عامة المسلمين بل والرسل أنفسهم بجوار ما زعموا لأنفسهم من العلم كما قال كبيرهم أبو يزيد البسطامي: "خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله" وقال أيضاً: "أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت يقول أحدكم: حدثنا فلان عن فلان وأين فلان قالوا مات، وأما أحدنا فيقول: قلبي عن ربي". وهكذا زعم المتصوفة أنهم أصحاب الكشف والعلوم اللدنية وأن من سار خلفهم تلقى عنهم

واستفاد منهم، بل إنهم يزعمون ربط قلب المريد بقلب الشيخ ليتلقى العلم اللدني من الشيخ، ثم إن الشيخ أيضاً يربط قلب المريد بالرسول ليتلقى العلوم اللدنية من عند الرسول صلى الله عليه وسلم.

وجعل المتصوفة كذلك مصدر علومهم الخاصة التأويل الباطني للقرآن والحديث حيث يزعمون تارة أنهم تلقوا هذا التأويل من الله، وتارة يزعمون أنه من الملك، وأخرى أنه بالإلهام وكذلك ينسبون علومه الباطنية إلى معرفة أسرار الحروف المقطعة في المصحف، والتلقي عن الخضر عليه السلام، بل والزعم بأن تلقيهم يكون أحياناً عن اللوح المحفوظ بالسماء، وهذا عين ما ادعته الشيعة أيضاً في أئمتهم حيث زعموا لهم أنهم يعلمون الغيب وأنه لا تسقط ورقة إلا يعلمونها، ولا يحدث حدث في الأبد أو الأزل إلا هم على علم منه. وهذا عما ادعته المتصوفة لأنفسهم وأئمتهم.

وهكذا تتطابق عقيدة التشيع مع معتقد المتصوفة في قضية العلم الباطني حتى لكأنهما شيء واحد.

ب- الإمامة الشيعية والولاية الصوفية:

ما زعمه الشيعة في أئمتهم هو عين ما ادعاه المتصوفة فيمن سموهم بالأولياء أيضاً. فقد بني مذهب الرفض على أن الأئمة أناس مختارون من قبل الله سبحانه وتعالى لقيادة الأمة بعد الرسول، وأنهم لذلك يملكون علوماً خاصة لدنية، وهم لذلك لا يخطئون ولا ينسون ولهم منزلتهم من الله التي استحقوها استحقاقاً ووهباً واختصاصاً واجتباءً ثم غلوا في هؤلاء الأئمة فجعلوهم آلهة أرباباً بكل ما تحمله الكلمة من معان فهم متصرفون في كل ذرات الكون، وهم يدخلون الجنة من شاءوا ويدخلون النار من شاءوا، ومن الرافضة من جعل روح الله حالة فيهم كما قالت الإسماعيلية والنصيرية، ومنهم من جعل منزلتهم فوق منازل الأنبياء والرسل والملائكة جميعاً وقال: "إن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل وأنهم يتحكمون في قرارات هذا الكون" (الخميني في الحكومة الإسلامية ص54).

* وهذه العقائد نفسها هي التي أخذها المتصوفة وأطلقوها على من سموهم بالأولياء فكما خلع الرافضة صفات الألوهية والربوبية على الأئمة خلع المتصوفة صفات الربوبية والألوهية على الأولياء المزعومين. فجعلوهم أيضاً متصرفين في الكون أعلاه وأسفله ويعلمون الغيب كله، ولا يغرب عنهم صغير من أمر العالم أو كبير، وأن مقامهم لا يبلغه الأنبياء والملائكة، وأنهم نواب الله في مملكته والمتصرفون في شأن خلقه، وأنهم يدخلون الجنة من شاءوا ويخرجون من النار من شاءوا.

* وإذا كان الرافضة قد جعلوا بعد مقام الإمامة مقامات أقل من ذلك كالنقباء وهم وكلاء الإمام.. وهذه الفكرة نفسها قد أخذها المتصوفة وجعلوا مقام الولي الأعظم وسموه القطب الغوث، ثم يليه الأقطاب الثلاثة ثم يليه الأبدال السبعة ثم النجباء السبعون وهكذا.. مقتبسين كل ذلك من الترتيب الشيعي للولاة والأئمة.. وهكذا يتطابق الفكر والعقيدة الرافضية في الإمامة مع العقيدة الصوفية في الولاية.

يقول ابن خلدون في المقدمة:-

"ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيمـا وراء الحس توغلوا في ذلك، فذهب الكثـير منهم إلى الحلـول وفيمـا وراء الحس، توغلـوا في ذلك، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة.. وملأوا الصحف منه مثـل الهـروي في كتاب المقامات له، وغـيره، وتبعهم ابن العـربي وابن سـبعين وتلميـذهما، ثم ابن العفيـف وابن الفـارض، والنجم الإسـرائيلي في قصـائدهم، وكـان سـلفهم مخـالطين للإسـماعيلية المتـأخرين من الرافضـة الـدائنين أيضـاً بـالحلول وإلهيـة الأئمـة مـذهباً لم يعـرف لأولهم فأشـرب كـل واحـد من الفـريقين مـذهب الآخـر واختلـــط كلامهم وتشـــابهت عقائـــدهم، وظهـــر في كلام المتصـــوفة القـــول بالقطب،ومعناه رأس العارفين يزعمون أنـه لا يمكن أن يسـاويه أحـد في مقامـه في المعرفة حتى يقبضه الله، ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان وقـد أشـار إلى ذلك ابن سينا في كتـاب الإشـارات في فصـول التصـوف منهـا فقـال: "جـل جناب الحق أن يكـون شـرعه لكـل وارد، أو يطلـع عليـه إلا الواحـد بعـد الواحـد" وهكذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليـل شـرعي، وإنمـا هـو نـوع من أنـواع الخطابة، وهو بعينه ما تقولـه الرافضـة في تـوارث الأئمـة عنـدهم، فـانظر كيـف سرقت طباع هؤلاء القوم هـذا الـرأي من الرافضـة ودانـوا بـه، ثم قـالوا بـترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب، كما قال الشيعة في النقباء، حتى إنهم لما أسـندوا لباس خرقة التصـوف ليجلـوه أصـلاً لطـريقتهم ونحلتهم رفعـوه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو من هذا المعنى أيضـاً، وإلا فعلي رضـي اللـه عنـه، لم يختص بين الصحابة بنحلة ولا طريقة في لباس ولا رجال، بل كان أبو بكـر وعمـر رضي الله عنهما أزهد الناس بعد رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، وأكـثرهم عبادة ولم يختص أحد منهم في الدين بشيء يـؤثر عنـه على الخصـوص بـل كـان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة.

تشهد بذلك سيرهم وأخبارهم. نعم إن الشيعة يخيلون بمـا ينقلـون من اختصـاص علي بالفضائل دون سواه من الصـحابة ذهابـاً مـع عقائـد التشـيع المعروفـة لهم، والذي يظهر أن المتصوفة بـالعراق لمـا ظهـرت الإسـماعيلية من الشـيعة وظهـر كلامهم في الإمامة وما يرجع إليها مما هو معروف، فاقتبسـوا من ذلـك الموازنـة بين الظاهر والبـاطن وجعلـوا الإمامـة السـباق والخلـق في الانقيـاد إلى الشـرع، وأفردوه بذلك أن لا يقع اختلاف كما تقرر في الشـرع (يشـير ابن خلـدون رحمـه الله بذلك إلى ما هو معروف عن الرافضة في إثباتهم الإمامة أنـه لا بـد من إمـام معصوم يليه إمام معصوم وهكذا السياسة الدين والدنيا بعد الرسول حـتى لا يقـع خلاف بين الناس، ولا يكون مرد أمـرهم إلى الاجتهـاد الـذي لا يخلـو من الخطـأ.. ومعلوم فساد هذا القول لأنه ما معصوم بعد رسول الله صلى الله عليـه وسـلم.. وهؤلاء الأئمة الذين قال الشيعة بعصمتهم قد وقع منهم، ما ينكره الشيعة أصلاً أو يقولون فعلوه تقيـة وخوفـاً)، ثم جعلـوا القطب لتعليم المعرفـة باللـه لأنـه رأس العارفين، وأفردوه بذلك تشـبيهاً بالإمـام في الظـاهر، وأن يكـون على وزانـه في الباطن.

وسـموه قطبـاً لمـدار المعرفـة عليـه، وجعلـوا الأبـدال كالنقبـاء (الأبـدال عنـد المتصـوفة، والنقبـاء عنـد الشـيعة. انظـر الفصـل الخـامس بالولايـة) مبالغـة في التشبيه. فتأمل ذلك. يشهد بذلك كلام هـؤلاء المتصـوفة في أمـر الفـاطمي، ومـا شحنوا بـه كتبهم في ذلـك ممـا ليس لسـلف المتصـوفة فيـه كلام بنفي أو إثبـات وإنمـا مـأخوذ من كلام الشـيعة والرافضـة ومـذاهبهم في كتبهم واللـه يهـدي إلى الحق" (مقدمة ابن خلدون ص875-877).

وهكذا يقرر ابن خلدون تطابق التصوف مع التشيع في القـول بـالعلوم الباطنيـة، ومراتب الولاية، والقول بالحلول والاتحاد.

ويقول الدكتور كامل الشيبي في كتابه (الصلة بين التصوف والتشيع):

"وقد دخلت في التصوف فكرة إسماعيلية صريحة أخرى هي فكـرة النقبـاء الـتي دارت -في الإسـماعيلية- حـول رجـال عـددهم اثنـا عشـر يسـمون الحجج يبثـون الدعوة في غيبة الإمام أو في حضـرته وهم مقدسـون وعـددهم ثـابت ويسـندهم تكوين العالم الطبيعي كما يسند عدد الأئمة السبعة في السلسـلة الواحـدة، وقـد بين لنـا المقريـزي أن هـؤلاء الحجج متفرقـون في جميـع الأرض، عليهم تقـوم. ويضيف أن عدد هؤلاء الحجج أبداً اثنـا عشـر رجلاً" (خطـط المقريـزي ص489). وهكذا يشارك الحجـة الإمـام في العلم والـدعوة والسـند الإلهي ومن هنـا نفـذت الصوفية إلى منازل القطب والأبدال. وهذا ابن عـربي يـذكر، في الفتوحـات، عن الصوفية ما ذكره المقريزي عن الإسماعيلية فيقول في النقباء: "وهم اثنـا عشـر نقيباً في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصـون على عـدد بـروج الفلـك الاثـني عشـر" (الفتوحات المكية 2/9). وهذه الإشارة تكفي للدلالة على أخـذ المتصـوفة فكـرة هذه المنازل المقدسة عن الإسماعيلية. ويجب أن نشير هنا إلى أن ابن تيمية قـد تنبـه إلى أن هـذه المصـطلحات ليسـت مـأثورة عن النـبي فكأنـه يشـير إلى أن الصوفية قد أخذوها عن الإسماعيلية الذين قالوا بهـا أول من قـال. وقـد تنبـه ابن خلدون أيضـاً إلى أخـذ المتصـوفة -وبخاصـة ابن عـربي- عن الإسـماعيلية القـول (بـالقطب) وكـذلك ابن قصـي وعبـدالحق بن سـبعين وابن أبي واصـل: تلميـذه" (الصلة بين التصوف والتشيع ص209).

ج- القول بأن للدين ظاهراً وباطناً:

اتفقت أيضاً كلمة التصوف مع التشيع في أن للدين ظاهراً وباطنـاً، فالظـاهر هـو المتبادل من خلال النصـوص والـذي يفهمـه العامـة من ذلـك، وأمـا البـاطن فهـو عنـدهم العلم الحقيقي المـراد من النص وهـذا لا يفهمـه ولا يعلمـه إلا الأئمـة والأولياء.. فقوله تعالى مثلاً: {وأقيمـوا الصـلاة، وآتـوا الزكـاة} أي أخرجـوا زكـاة أموالكم المفروضة حسب المقادير والنصاب الشرعي والشروط الشرعية لذلك.

ولكن الشيعة والمتصوفة زعموا أن ظاهر القرآن والحديث الذي يفهم منه العوام مـا يفهمـون لا يلـزم الأئمـة والأوليـاء لأن الأئمـة والأوليـاء تتـنزل عليهم المعـاني المقصودة والمرادة من ذلك.. بل قال الشيعة: إن محمداً جاء بالتنزيل وعلياً جـاء بالتأويل. وزعموا أن الأئمة من بعده هم الذين يعلمون معـاني القـرآن الحقيقيـة، وللقرآن عندهم باطن وظاهر، فالظاهر للعامة، والباطن للخاصة، ولذلك (فأقيموا الصلاة) عنـدهم مثلاً يعـني بـايعوا الإمـام المعصـوم، (وآتـوا الزكـاة)، أي أخلصـوا وانقادوا للإمام.. وهكذا تصبح الألفاظ والعبارات القرآنية لا مدلول لها.

ويمكن تفسيرها حسب الأهواء والأمزجة، لتوافق العقائد الباطنية التي يـدعو بهـا هؤلاء وهؤلاء، وقـد سـمى المتصـوفة تفسـيرهم البـاطن هـذا للنصـوص القرآنيـة (بالحقيقـة) وسـموا التفسـير الظـاهري (بالشـريعة) وقـالوا الحقيقـة للأوليـاء، والشريعة للعامة..

وتصرفوا بعد هذا التقسيم في نصوص القرآن والحديث حسب أهـوائهم، وأدخلـوا في الدين ما شاءوا من مزاعمهم وافتراءاتهم. وأفقدوا النصوص الشرعية جلالهـا واحترامها، لأنهم أبعدوها بهذا التأويل عن المعاني الحقيقية التي سيقت من أجلها تماماً، فما علاقـة مثلاً تفسـير {الـتين} أن يكـون هـو الرسـول، و{الزيتـون} أن

يكون هو علي بن أبي طالب {وطور سينين} أن يكون هو الحسن، و{هـذا البلـد الأمين} أن يكون الحسين، وهكذا وما علاقة قوله تعالى:

{مرج البحرين يلتقيان} أن يكون بالبحرين علياً وفاطمـة و{يخـرج منهمـا اللؤلـؤ والمرجان} الحسن والحسين؟!.

وقد كتب الدكتور كامل الشيبي فصلاً مطولاً حول هذا المعـنى في كتابـه (الصـلة بين التصوف والتشيع) من هذا قوله:

"وقد أورد لنا الخوانساري أمثلة من هذه التأويلات كتأويل الوضوء بموالاة الإمام، والتيمم بالأخذ من المأذون عند غيبة الإمام الذي هو الحجة، والصلاة هي النـاطق الـذي هـو الرسـول بـدليل قولـه تعـالى إن الصـلاة تنهى عن الفحشـاء والمنكـر، والاحتلام بإفشاء السـر إلى غـريب دون قصـد، والغسـل بتجديـد العهـد، والزكـاة بتزكيـة النفس بمعرفـة مـا هم عليـه من الـدين، والكعبـة بـالنبي، والبـاب بعلي، والميقات والتلبية بإجابة المدعو، والطواف بالبيت سـبعاً بمـوالاة الأئمـة السـبعة، والجنة براحة الأبدان عن التكاليف، والنـار بمشـقتها بمزاولـة التكـاليف (روضـات الجنات ص731)، وتلك أحكام تعود بنا إلى الغلو الذي عرفناه أنه قـرر أن الـدين طاعـة رجـل وأن الصـلاة والزكـاة وغيرهمـا إنمـا هي كنايـات عن رجـال. ثم إن الإسماعيلية تجعل النقباء إلهـيين أيضـاً وإن كـانوا من غـير الأئمـة وتسـندهم بـأن عددهم اثنا عشر رجلاً في كل زمان كما أن عدد الأئمة السبعة وأنهم مع كل إمام قائمون متفرقون في جميع الأرض عليهم تقوم (خطط المقريزي 2/231،233)، ثم يعين المقريزي مركز هؤلاء النقبـاء أو الحجج بـأن مقـامهم هـو مقـام الفـاهم المطلع على أسرار المعاني وينص على أن ظهور أمر الإمام (إنما هو ظهور أمره ونهيه على لسان أوليائـه) (خطـط المقريـزي 2/231،233). ويـذكر أبـو يعقـوب السجستاني أن ميراث النبي من العلم يتحول إلى الوصي ومنـه إلى الإمـام ومن الإمام إلى الحجة (كشف المحجوب في شرح قصيدة الجرجاني ص65).

ثم تتضح المسألة أكثر باطلاعنـا على النص الـذي يـورده المقريـزي أيضـاً من أن "الإمام إنما وجوده في العالم الروحـاني إذا صـرنا بالرياضـة في المعـارف إليـه" (خطـط المقريـزي 2/233). المعـنى الـذي يعـبر عنـه السجسـتاني الإسـماعيلي بقوله: "إن هذه العلوم لا تصل إلى مستحقيها بالرياضة ولو كان حبشياً أو سندياً" (كشف المحجوب ص92). وبذلك تتضح لنا فكرة السلوك الإسماعيلي الذي يـتيح للمريد أن يصـل إلى حقيقـة التأويـل عن طريـق الرياضـة العقليـة الـتي بلـغ بهـا النقيب أو الحجة ما بلغه الإمام من علم. ويوضح جولد تسيهر ذلك بأن "الحقـائق لا توجـد إلا في المعـاني الباطنـة. أمـا المعـاني الظـاهرة فهي حجب مضـطربة وأقنعة متناقضة. ومريدو الاندماج في الفرقة الإسماعيلية تزاح عنهم هذه الحجب والأقنعة بالقدر الذي يناسب استعداداتهم، ويتدرجون في هذا المضمار حتى تتهيـأ لهم القدرة على مواجهة الحقائق وهي سافرة" (العقيدة والشـريعة في الإسـلام ص216). ولا بد أننا لاحظنا موازاة هذه المعاني للمثـل والمبـادئ الصـوفية. وقـد لاحظ ذلك جولد تسيهر فأورد لنا قصيدة لجلال الدين الـرومي الشـاعر الصـوفي يفصح بها عن فكرتي الجانبين المعبرة عن حقيقة واحـدة بقولـه: "اعلم أن آيـات القـرآن سـهلة يسـيره، ولكنهـا على سـهولتها تخفي وراء ظاهرهـا معـنى خفيـاً مسـتتراً. ويتصـل بهـذا المعـنى الخفي ثـالث يحـير ذوي الأفهـام الثاقبـة ويعييهـا والمعنى الرابع ما من أحد يحيط بـه سـوى اللـه واسـع الكفايـة من لا شـبيه لـه. وهكذا نصل إلى معان سبعة الواحد تلو الآخر، ولذا لا تتقيد يـا بـني بفهم المعـنى الظـاهري كمـا لم تـر الشـياطين في آدم إلا أنـه مخلـوق من الطين. فـالمعنى

الظاهري في القرآن شبيه بجسد آدم، فما نراه منه هو هيئته الظاهرة وليس روحه الخفية المستترة" (العقيدة والشريعة في الإسلام ص216)، وهذا السلوك يصف الإنسان بالعلم الإلهي إلى حد أن الإسماعيلية رأوه -كالمتصوفة- "أن الأنبياء النطقاء أصحاب الشرائع إنما هم لسياسة العامة وأن الفلاسفة أنبياء حكمة الخاصة" (خطط المقريزي 2/223)، وذلك أن الفاطميين كانوا "يتدرجون في دعوتهم فإذا تمكن المدعو من التعاليم الأولى أحالوه على ما تقرر في كتب الفلسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة والعلم الإلهي وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية، حتى إذا تمكن المدعو من معرفة ذلك كشف الداعي قناعه وقال: إن ما ذكر من الحدوث والأصول رموز إلى معاني المبادئ وتقلب الجواهر.." (خطط المقريزي 2/232) والظاهر أن هذه الدرجات متأخرة جدت في بدء دولة الفاطميين وليست من أوائل عقائد الإسماعيلية. ويورد عبدالله عنان المراتب التسع في دار الحكمة التي أسسها الحاكم بأمر الله الفاطمي، ويذكر أن الطالب يلقن تعاليم الثنوية في المرتبة السابعة، وفي الثامنة تنقض كل صفات الألوهية والنبوة ويعلم الطالب أن الرسل الحقيقيين هم رسل العمل الذين يعنون بالشؤون الدنيوية كالنظم السياسية وإنشاء الحكومات المثلى، وفي التاسعة والأخيرة يدخل إلى حظيرة الأسرار ويعلم أن كل التعاليم الدينية أوهام محضة وأنه يجب ألا يتبع منها إلا ما هو لازم لحفظ النظام.. "وأن إبراهيم وموسى والمسيح وغيرهم من الأنبياء ليسوا إلا رجالاً مستنيرين تفقهوا في المسائل الفلسفية" (الجمعيات السرية في الإسلام ص42). والواقع أن هذه النظرة المادية إلى المذهب الإسماعيلي تسلبه كل ما فيه من غنوصية وروحانية، فليس الأمر كذلك وإلا ما قامت له خلافة ولا حدثت في دولتهم طاعة، بل لقد وجدنا الفاطميين أخلص من غيرهم في عقيدتهم وأسرع إلى بذل النفس، ولا يكون البذل إلا بالعاطفة الفياضة والإيمان الذي لا يتزعزع، وكذلك يرى الأستاذ محمد كرد علي أن "العقل عندهم هو حقيقة معبودهم" (الإسلام والحضارة العربية، دار الكتب 1936،ـ 2/63)، ولكن أي عمل؟ إنه العقل الإلهي لا المادي وهذا ما يورده (فيليب حتي) من أن "المريد يتدرج بتأن وهدوء في مراق بطيئة دقيقة حتى يعلو ذروة العقائد الباطنية الخفية بعد أن يكون قد أقسم على الكتمان، ومن هذه التعاليم والعقائد الباطنية فكرة نشوء الكون متجلياً عن الجوهر الإلهي وتناسخ الأرواح وحلول الألوهية في إسماعيل وانتظار رجعته مهدياً. والمراتب التي يتدرج فيها المريد سبع وقد تكون تسعاً، وهي تذكرنا بدرجات الماسونية اليوم" (تاريخ العرب 2/533). ومع تناول الباحثين لهذه الدرجات بالبحث على أنها قضية مسلمة فإن آدم متز يشكك في كل ما يقال عن درجات الإسماعيلية إلا ما يذكره ابن النديم من أنه "كان عندهم سبع درجات من الأتباع خلافاً لما ذكره أخو محسن من درجات تسع" (الحضارة العربية في القرن الرابع 2/51). والمهم في الأمر أن كلاً من هذه الدرجات له كتاب خاص يلقى على الواصلين إليها، وكل كتاب يسمى البلاغ. والبلاغ السابع هو الذي فيه نتيجة المذهب والكشف الأكبر ويقول ابن النديم: "إنه قرأه فوجد فيه أمراً عظيماً من إباحة المحظورات والوضع من الشرائع وأصحابها" (الفهرست ص282). وما دام الوضع من الشرائع وإباحة المحظورات مقصورة على الدرجة السابعة فإنها تعني -إن صح قول ابن النديم- أن المريد قد بلغ درجة الحلول وأن العقل الأول قد اتصل به فلم يعد ثمة مجال لإفهامه لماذا حرم كذا وأحل كذا لأنه صار بنفسه للتشريع، وتلك عقيدة وجدناها من قبل عند فرق الغلاة وليست هي جديدة على الإسماعيلية. ومن أهم ما يرد في هذا المقام تقرير محمد بن سرخ النيسابوري الإسماعيلي (المتوفي في القرن الخامس) "أن ذلك اليوم هو يوم قوة العقل

ودولته، فيه يتعلق بالنفس آثار القائم الذي يعيد للعقل إشراقه، وتعود إلى النفوس الفيوض الإلهية التي حجبت عنها من قبل" (شرح قصيدة ابن الهيثم الجرجاني، طهران 1955). وهذه المكانة في الإسماعيلية تقابلها في التصوف درجة المحو والاتحاد بحيث يقول الصوفي في صراحة: أنا الله، وقد رأينا أنها آتية من الغلاة أولاً ثم نظمتها الإسماعيلية وأصلتها وأسست فأخذتها الصوفية جاهزة، وقد رأينا في رسائل جابر بن حيان الإسماعيلي قوله: "إن حدّ علم الباطن أنه العلم بعلل السنن وأغراضها الخاصة اللائقة بالعقول الإلهية" وقد وجدنا هذا التفاوت في العلم -من قبل- في هذه الرسائل أيضاً ووجدنا أن طبقات الناس الإلهيين تعد خمساً وخمسين طبقة للواصلين لا سبعاً ولا تسعاً كما قال الفاطميون بعدئذ. وتبدأ هذه الدرجات بالنبي الإمام فالحجاب فالبسيط فالسابق فالتالي فالأساس.. حتى تنتهي بالناسك فالحياة فالناهي فذي الأمر الذي إذا ظهر فلا بدل منه إذ كان كل واحد منهم مندوباً لأمر لا يخالطه فيه غيره" (الصلة بين التصوف والتشيع لكامل الشيبي ص205-209) أ.هـ منه بلفظه.

ويقول أيضاً الدكتور أبوالعلاء العفيفي:

"وترجع المقابلة بين الشريعة والحقيقة -في أصل نشأتها- إلى المقابلة بين ظاهر الشرع وباطنه. ولم يكن المسلمون في أول عهدهم بالإسلام ليقروا هذه التفرقة أو يكفروا فيها. ولكنها بدأت بالشيعة الذين قالوا إن لكل شيء ظاهراً وباطناً، وإن للقرآن ظاهراً وباطناً، بل لكل آية فيه وكل كلمة ظاهر وباطن. وينكشف الباطن للخواص من عباد الله الذين اختصهم بهذا الفضل وكشف لهم عن أسرار القرآن. ولهذا كانت لهم طريقتهم الخاصة في تأويل القرآن وتفسيره. ويتألف من مجموع التأويلات الباطنية لنصوص القرآن ورسوم الدين وما ينكشف للسالكين من معاني الغيب عن طرق أخرى مما أطلق عليه الشيعة اسم (علم الباطن) الذي ورثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب -في زعمهم- وورثه علي أهل العلم الباطن الذين سموا أنفسهم بالورثة.

وقد اتبع الصوفية طريقة التأويل هذه واستعملوا فيها أساليب ومصطلحات الشيعة إلى حد كبير. ومما سبق تدرك مبلغ الصلة الوثيقة بين التصوف والتشيع الباطني" (التصوف والصورة الروحية في الإسلام).

د- تقديس القبور وزيارة المشاهد:

تقديس القبور وزيارة المشاهد تقديس شيعي في نشأته، فالشيعة هم أول من بنى المشاهد على القبور والمساجد عليها في الإسلام بعد أن جاء النبي صلى الله عليه وسلم بهدم ذلك حتى لا تكون ذريعة إلى الشرك كما قال صلى الله عليه وسلم: [لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد] (متفق عليه).

وفي صحيح مسلم أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أرسل أبا الهياج الأسدي إلى اليمن وقال له: ألا أبعثك على ما بعثني به رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن لا تدع قبراً مشرفاً (أي ظاهراً بارزاً عالياً عن الأرض) إلا سويته ولا تمثالاً إلا طمسته.

ولكن الشيعة تتبعوا قبور من مات قديماً ممن يعظمونهم من آل البيت كعلي بن أبي طالب والحسين ومن سموهم بالأئمة من أهل البيت وراحوا يبنون على قبورهم.. ويجعلونها مشاهد ومزارات، وجعلوا ذلك أيضاً وسيلة للتكسب والعيش.. كما جاء في رسائل إخوان الصفا أن من الشيعة من جعل التشيع

مكسباً، مثل الفاتحة والقصاص، وجعلوا شعارهم لـزوم المشـاهد وزيـارة القبـور (رسائل إخوان الصفا ج4 ص199).

وكان هذا البناء وإظهار هذه الشعائر منذ بداية القرن الثالث الهجري، ولكن بعض خلفاء بني العباس شرعوا يهدمون ما افتروه وبنوه من هذه القبور. كما ذكـر ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية أن الخليفـة العباسـي المتوكـل أمـر في سـنة 236هـ بهدم القبر المنسوب إلى الحسين بن علي رضـي اللـه عنهمـا ومـا حولـه من المنازل والدور ونودي في الناس أن من وجد هنا بعد ثلاثة أيـام ذهب بـه إلى المطبق، فلم يبق هناك بشر، واتخذ ذلك الموضع مزرعة تحرث وتستغل (البدايـة والنهاية ص315 ج1).. وكـان هـذا القبـر مـزاراً لفرقـة الإسـماعيلية من الشـيعة الذين كانوا يزورون هذا القبـر ثم يـذهبون إلى (سـلمية) (قريـة من قـرى سـوريا كانت وما زالت مأوى للفرق الباطنية. وهي قاعدة الإسماعيلية في هذا الــوقت)، لزيارة أئمتهم هناك (العبر ج3 ص361).

وجاء الصوفية فنسجوا على هـذا المنـوال فجعلـوا أهم مشـاعرهم زيـارة القبـور وبناء الأضرحة، والطواف بها والتبرك بأحجارها، والاستغاثة بالأموات، فقـد جعلـوا قبر معروف الكرخي، وهو رائـد من رواد التصـوف، مكانـاً لزيـارتهم وقـالوا: قـبر معروف ترياق مجرب (طبقات الصوفية للسلمي ص85).

بل جعل المتصوفة جـل همهم بنـاء هـذه القبـور وتعظيمهـا ودعـوة النـاس إليهـا، وجعلوا أعظم مشاعرهم الطـواف بهـا، والتـبرك بهـا ودعاءهـا من دون اللـه عـز وجل.. بل لا يوجد شيخ متبع إلا وبنى لنفسه قبة كبيرة ومقاماً.. وهكذا أعادوا من جديد شرك الجاهلية الأولى.

هـ- العمل على هدم الدولة الإسلامية:

الحلاج والتشيع:

قال الدكتور كامل الشيبي: لم يكن أمر الصلة بين الحلاج والتشـيع مقصـوراً على التداخل بين كلامه وكلام الأئمة، وإنما كان مطلقاً على مذاهب التشيع كلهـا، وقـد استخدمها كلها في بناء مذهبه الحلولي الجديد الذي يشير إلى ظهـور حركـة غلـو جديدة في مطلع القرن الرابع الهجري. والحلاج هو القائل:

"ما تمذهبت بمذهب أحد من الأئمـة جملـة وإنمـا أخـذت من كـل مـذهب أصـعبه وأشـده وأنـا الآن على ذلـك" وسـتجد.. أن الحلاج كـان صـورة من أبي الخطـاب الزعيم الغالي الذي قتل في الكوفة سـنة 138هــ، وأمـا علاقتـه بـالاثني عشـرية فتنعكس مما رواه الطوسي من أن الحلاج صار إلى قم البلـد الشـيعي القـديم، وكانت قرابة أبو الحسن النوبختي الشيعي تستدعيه ويستدعي أبو الحسـن أيضـاً ويقول:

"أنا رسول الإمام ووكيله" أ.هـ (الصلة بين التصوف والتشيع ص368).

وقال أيضاً:

"وكانت إحدى التهم الـتي قتـل الحلاج من أجلهـا تتضـمن إنكـار الحلاج للحج إلى مكة بالذات، ودعوته إلى الحج القائم على النية الخالصة والتوجـه القلـبي. وكـان من أهم ما أخذ على الحلاج أنه يقول ببديل للحج يمكن إتمامـه في بيت المسـلم دون حاجـة إلى تجشـم مصـاعب السـفر والطـواف حـول الكعبـة. وقـد تطـرق القاضي التنوخي إلى ذلك فذكر أن (هذا شيء معروف عند الحلاجية وقد اعترف

لي (به) رجل منهم يقال: إنه عالم لهم) (الصلة بين التصوف والتشيع ص369) وقد برر هذا (العالم) ذلك بأن (هذا رواه الحلاج عن أهل البيت صلوات الله عليهم) (الصلة بين التصوف والتشيع ص396) (وصلوات الله عليهم) هذه من لوازم الإسماعيلية بالذات إلى ما عرف عنهم من أخذ بالتأويل على أوسع الحدود، وذلك يبين حداً آخر لاتصال الحلاج بالإسماعيلية.

وقد كان مصداق هذا الاتصال منبعثاً من أنه (أغار القرامطة على مكة ونهبوها بعد موت الحلاج بتسع سنوات واختطفوا الحجر الأسود منها)، وحققوا مذهب الحلاج، ولعله كان مذهباً من مذاهبهم أسرع هو بالتعبير عنه من عند نفسه. أ.هـ.

وقد ذكر القاضي التنوخي أن الحلاج أرسل إلى بعض دعاته يقول: "وقد آن الآن أذانك للدول الغراء الفاطمية الزهراء المحفوفة بأهل الأرض والسماء وأذن للفئة الظاهرة وقوة ضعفها في الخروج إلى خراسان ليكشف الحق قناعه ويبسط العدل باعه" (نشوار المحاضرة ص86).

الحلاج داعية الإسماعيلية في المشرق:

قال الدكتور الشيبي أيضاً:

"ويذكر الخطيب البغدادي وابن كثير أن أهل فارس كانوا يكاتبون الحلاج بأبي عبدالله الزاهد.. هذه الكتبة أطلعت على الداعية الإسماعيلي المشهور أبي عبدالله الشيعي الذي ساعد على قيام دولة العبيديين قبل تحولها إلى مصر. فكأن الإسماعيليين كانوا يعتمدون على داعيتين يحملان كنية واحدة أحدهما بالمشرق وهو الحلاج، والآخر بالمغرب وهو أبو عبدالله الشيعي الذي يروي الإسماعيلية أنفسهم سبق صوفيته على إسماعيليته) (ص73).

شهادة العمار الحنبلي أن الحلاج قرمطي:

ذكر العمار الحنبلي أن الحلاج رحل إلى بغداد سنة 301هـ "مشهوراً على جمل وعلق مصلوباً ونودي عليه: هذا أحد القرامطة فاعرفوه".

وعلى الرغم من أن الحلاج قد قتل سنة 309هـ فإن الدعوة الفاطمية التي حمل لواءها قد استفحل خطرها وشرها؛ فقد استطاع أبو طاهر الجنابي القرمطي الإسماعيلي حليف الدولة الفاطمية والداعي إليها أن يدخل البصرة سنة 311هـ، والكوفة بعد ذلك بعامين. وكذلك استطاع القرامطة دخول مكة بعد مقتل الحلاج بتسع سنوات فقط، وقتل المسلمين حول الكعبة، وانتزاع الحجر الأسود، وكانوا بقيادة أبو سعيد القرمطي، وكان أبو سعيد هذا زميلاً للحلاج الحسين بن منصور (تذكرة الأولياء ج2 ص109).

ولذلك قال ابن النديم إن الحلاج كان يظهر مذاهب الشيعة للملوك، ومذاهب الصوفية للعامة، ويدعي أن الألوهية قد حلت فيه (الفهرست لابن النديم ص 269).

ومع ذلك رأينا من يقول من شيوخ التصوف، وهو محمد بن حفيف المتوفي سنة 371هـ: "الحسين بن منصور عالم رباني"!!.

ووجدنا كذلك من يجعل العبارات الباطنية التي أطلقها الحلاج على أنها نهاية علوم التصوف كقوله: "في القرآن علم كل شيء، وعلم القرآن في الأحرف التي في أوائل السور وعلم الأحرف في لام ألف".

الحلول عند الحلاج الصوفي وعند أبي الخطاب الشيعي:

وقضية الحلول تكاد تكون متطابقة عند الحلاج الصوفي وغلاة الشيعة، فقد كان الحلاج يقول في دعائه: "يا إله الآلهة ويا رب الأرباب، ويا من لا تأخذه سنة ولا نوم رد إلي نفسي لئلا يفتن بي عبادك، يا من هوأنا، وأنا هو لا فرق بين إنيتي وهويتك، إلا الحدث والقدم" (طبقات الصوفية).

والحلاج هو الذي وجد عنده ورقة مكتوب فيها "من الرحمن الرحيم إلى فلان ابن فلان".. إذا قارنا ذلك بمذهب أبي الخطاب الرافضي الذي زعم أن الله خلق روح علي وأولاده وتوجه إليهم أمر العالم فخلقوا هم السماوات والأرض. ومن هنا قلنا في الركوع سبحان ربي العظيم، وفي السجود: سبحان ربي الأعلى لأنه لا إله إلا علي وأولاده، وأما الإله الأعظم فهو الذي فوض إليهم العالم (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص57).

لا شك أن مثل هذا الكلام وكلام الحلاج ينبعثان من مصدر واحد ويصدران عن عقيدة واحدة، ويهدفان بالتالي إلى هدف واحد هو تحويل المسلمين عن عقيدتهم الحقة وتضليل سعيهم، وإذهاب دولتهم، وتمزيق وحدتهم وجماعتهم.

ومما مضى يتبين لنا أن منهج الصوفية وغلاة الشيعة في القرن الثالث كان منهجاً واحداً وعقيدة واحدة، فالحلاج كان زميلاً وصاحباً لكبار رجال التصوف المشهورين في القرن الثالث كالجنيد البغدادي والشبلي.

فالجنيد نفسه قد أرسل إليه عندما حكم عليه بالقتل والصلب يقول: "أنك أفشيت أسرار الربوبية فأذاقك طعم الحديد"! وأما الشبلي فيقول: "كنت أنا والحسن بن منصور (الحلاج) شيئاً واحداً غير أنه تكلم وسكت أنا" فالصوفية كانوا مع غلاة الشيعة شيئاً واحداً عقيدة وهدفاً.. عقيدة في الحلول، وإنما اختلفوا فيمن حلت فيه روح لله، وهدفاً واحداً في العمل على إسقاط دولة الإسلام، وتمزيق وحدة المسلمين، وتشتيت الأمة، عقائد ومللاً وغلاة.

و-الطرق الصوفية والتشيع:

كانت الطرق الصوفية هي البداية العظيمة التي دخل عن طريقها الفكر الشيعي والمذهب الشيعي إلى العالم الإسلامي السنّي. وستقرأ فيما يلي إن شاء الله تعالى عن طريقتين مشهورتين تأسست الأولى في منتصف القرن السابع الهجري وما زال لها أتباع إلى اليوم وهي الطريقة البكتاشية، وتأسست الثانية في منتصف القرن السادس الهجري وما زال لها أتباع إلى اليوم وهي الطريقة الرفاعية.

والطريقة الأولى أعني البكتاشية شيعية قلباً وقالباً ومع ذلك نشأت في تركية عاصمة الخلافة الإسلامية واستطاعت التسلل حتى وصلت إلى الجيش الجديد (الانكشارية) بل وإلى بيت السلطان العثماني نفسه وأسهمت إسهاماً فعالاً في تحويل العقيدة السنية.

وسيعجب القارئ عندما يطلع على حقيقة هذه الطريقة كيف وجدت مكاناً ورداداً عند أهل السنة والجماعة ولكن عجبه سيزول عندما يعرف كيف التدرج بالمريد إلى ذلك المعتقد الباطني.

الطريقة البكتاشية:

الطريقة البكتاشية طريقة صوفية شيعية الحقيقة والمنشأ، ولكنها مع ذلك تــربت وترعرعت في بلاد أهل السنة في تركية ومصر.

* تنسب هذه الطريقة إلى خنكار الحاج محمد بكتــاش الخراســاني النيســابوري - المولود في نيسابور سنة 646هـ - 1248م وينسب خنكار هذا نفسه إلى أنــه من أولاد إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفــر الصــادق بن محمــد البــاقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ويقال إنه تلقى العلم عن الشيخ لقمان الخراساني ولا يعــرف من لقمــان هــذا،.. ولكن يقال إنــه هــو الــذي أمــره أن يســافر إلى تركيــة لنشــر طريقتــه الصــوفية، فســافر أولاً إلى النجــف في العــراق، ثم حج الــبيت وزار وســافر بعــد ذلــك إلى تركية، وكان هذا في زمان السلطان أورخان العثماني المتوفي سنة 761هـ.

* ويذكر أحمد سري البكتاش (دده بابا) شيخ مشايخ الطريقة البكتاشية في مصر الحالي.. في كتابه (الرسالة الأحمدية في تاريخ الطريقة البكتاشية) أن خنكار هذا نزل في قرية (صوليجية فترة أويوك) والتي قسمت بعد ذلك بناحية الحاج بكتاش وما زالت تحمل هذا الاسم إلى اليوم. وأنه استضاف هنــاك رجــل يســمى الشــيخ إدريس وزوجته (فاطمة قوتلو ملك) وأنهما أنفقا أموالهما في ســبيل نشــر دعــوة الشيخ خنكار الخراساني ولكن جاء وفــد من خراســان لزيــارة الشــيخ خنكــار فلم تجد المرأة ما تضيفهم به إلا أن بــاعت ثيابهــا.. واشــترت طعامــاً لضــيوف الشــيخ خنكار الخراسانيين. ولما كان من عادة المــرأة فاطمــة هــذه أن تــرحب بضــيوف الشيخ فإنها لم تخرج إليهم لأنها لا تملك ثياباً.. فعلم الشيخ خنكار بهــذا من الغيب فمد يده فأخرج صرة ملابس لها، ثم مد يده أيضاً تحت البساط الذي يجلس عليه فــأخرج كيســين من الــذهب وأعطاهمــا للمــرأة الــتي جــاءت وقبلت يــدي الشــيخ ورحبت بضيوفه، وآمنت بكراماته (الرسالة الأحمدية ص11 ولا يخفى ما في هذه القصة من الخدعة فخنكار هذا لم يخلق ثياباً. وإنما جاء بــذلك الوفــد الخراســاني الذي تجرد بعد ذلك للدعوة الصوفية في تركية، وصنع الشيخ هذا على أنها كرامة ليسهل ذلك له طريق دعوته في أوساط العامة).

وكانت هذه القصة هي البداية لنشر الطريقة البكتاشية وكذلك مجيء هــذا الوفــد الخراساني الذي راح يــروج للشــيخ خنكــار الــذي كــان قــد مهــد الطريــق للــدعوة الصوفية ولهذه الطريقة الشيعية الباطنية.

ثم انتحل الشيخ خنكار كرامة أخرى فادعى (أن فاطمة قوتلو) هذه زوجة الشـــيخ إدريس قد حملت عندما شربت قطرات من دم الشيخ.. وذلك أن فاطمة هذه لم تحمل من زوجها إدريس التركي مدة عشرين عاماً فلمــا جــاء خنكــار الخراســاني وكانت تصب الماء لــه ليتوضــأ فــوقعت قطــرات من دمــه في الطشــت فشــربتها المرأة فحملت وتكرر حملها فولدت حبيباً، ومحموداً، وخضراً.

وهؤلاء الأولاد أصروا على أن أباهم هو الشيخ خنكار.. فيما يذكر أحمد سري شيخ مشايخ الطريقة البكتاشية في مصر أن الشيخ خنكار هو أبوهم الروحي فقط وأن أمهم حملت من شربها دم الشيخ وأن الشيخ خنكار لم يتزوج قط طيلة حياته.

* أسس الشيخ خنكار أول (تكية) صوفية للطريقة وابتدأ الأتباع والــرواد يكــثرون، ويسكنون في هذه القرية التي لم تكن إلا سبعة بيوت فقط ثم اكتشــفوا جبلاً من جبال الملح. سموه جبل ملح الحاج بكتاش، واشتهر هــذا الملح حــتى كــان يمــون ويزود مطابخ السلطان العثماني الذي كان يحصل منه على مليونين (أقة) (الأقــة وزن يكبر من الكيلو بقليل) كل عام..

ولما ذاع صيت الشيخ خنكار بكتاش ووصل الأمر إلى السلطان أورخان العثماني المتوفي سنة 761هـ عمد هذا السلطان إلى الشيخ خنكار ليعلم أولاد الأسرى من أهل الذمة، وممن لا أب لهم.. ينشئهم على طريقة الدارسين البكتاشية.

وكانت هذه الفرصة الذهبية لانتشار الطريقة وذلك أن هذا الجيش الذي عرف بعد ذلك بالجيش الإنكشاري -أي الجيش الجديد- وهو الذي كان عماد الحروب التركية بعد ذلك، ثم كان هو الجيش المتسلط على مرافق الحياة كافة في تركية.. وهكذا استطاعت الطريقة البكتاشية أن تنتشر وأقيمت المقامات على قبور من مات من مشايخها، وبعض هذه القبور غطيت بالذهب الخالص. تنافس السلاطين العثمانيون في بناء التكايا والزوايا والقبور البكتاشية.

مر على الطريقة البكتاشية أيام مد وجزر في تركية فبينما ناصرها بعض السلاطين، عارضها آخرون مفضلين طريقة أخرى غيرها فقد أمر السلطان محمود الثاني بإلغاء الإنكشارية بعد أن عاثت في الأرض فساداً، وأغلق كذلك الزوايا البكتاشية ولكن السلطان عبد المجيد المتوفي سنة 1255هـ عاد وأمر بفتح الزوايا البكتاشية مرة أخرى.

* وفي سنة 1925م صدر مرسوم الحكومة التركية بإلغاء جميع الطرق الصوفية ومن ضمنها الطريقة البكتاشية، وكان آخر مشايخها هو صالح نيازي الذي سافر إلى ألبانية وانتخبه الدراويش البكتاشيون ليكون (رده بابا) وهي أعلى منزلة في الطريقة أي شيخ مشايخ الطريقة. وبعد اغتيال صالح نيازي هذا سنة 1942م تولى بعده ابنه عباس دده بابا الذي قتل نفسه سنة 1949م بعد دخول البلاشفة إلى ألبانية. ومنذ ذلك الوقت انتقل المركز الرئيسي للطريقة ليتحول إلى مصر وتكون القاهرة هي المقر الحالي والأخير لهذه الطريقة.. فكيف دخلت هذه الطريقة إلى مصر وكيف استقرت فيها ثم أصبحت هي مكانها الرئيسي بعد تركية وألبانية؟.

الطريقة البكتاشية تنتشر في مصر:

* استطاع مؤسس الطريقة البكتاشية وهو خنكار محمد بكتاش أن يربي مجموعة من المريدين وكان منهم (أبدال موسى سلطان) الذي كان خليفة بعده، وربى أبدال هذا رجلاً يسمى (قبوغوسز) وهذا القبوغوسز لا يعرف من أبوه ولا أمه، وإنما تسمى بغيبي (الرسالة الأحمدية ص34)، واستطاع هذا الرجل أن يرتحل مع مجموعة من الدراويش من تركية إلى مصر واختار لمن يصحبه في هذه الرحلة دراويش من النوع الذين يطيعون في كل صغيرة وكبيرة حتى إنه كان يقول لهم عن الشجرة الباسقة الطويلة.. هذه شجرة قثاء فيقولون نعم هي قثاء (الرسالة الأحمدية ص38). ولما دخل بهم مصر. أمرهم أن يضع كل منهم على عينه قطعة قطن؛ فلما سألهم الشرط والجنود عن ذلك قالوا: إننا نغمض عين الظاهر، وننظر بعين الباطن.. والناس على دين ملوكهم.. وكان قد علم قبوغوسز أن الأمير يشتكي من وجع عينه!! وأراد الملك أن يختبرهم فعمل لهم وليمة كبرى ووضع لهم ملاعق طويلة جداً وأحضر وجهاء الناس ليأكلوا، وأمرهم ألا يأكلوا إلا بهذه الملاعق، فعجز الجميع عن الأكل إلا قبوغوسز ودراويشه فإنهم تناولوا الملاعق الطويلة، وكان كل منهم يطعم من أمامه وهكذا. وسر بهم الأمير الذي أعطاهم مكاناً يبنون فيه (تكية) أي زاوية ورباطاً لهم. ومنذ ذلك الوقت وهو

سنة 800هـ بدأ انتشار الطريقة البكتاشية في مصر في بداية القرن التاسع الهجري وسمى قبوغوسز نفسه عبدالله المغاوري، وسموا أول تكية لهم تكية القصر العيني.. وظل هذا الحال قائماً في مصر إلى سنة 1242هـ - 1826م حتى جاء السلطان محمود الثاني العثماني فأمر بإلغاء الإنكشارية والطريقة البكتاشية، وأعطيت أملاكهم للطريقة القادرية.. ولكن في عهد السلطان عبد المجيد عادت الطريقة البكتاشية مرة ثانية إلى مصر بعد أن سمح لهم هذا السلطان بالعمل والنشاط وذلك منذ عام 1525م حيث حصل الشيخ علي الساعاتي على لقب (دده بابا) أي شيخ المشايخ، فجمع الدراويش حوله مرة ثانية وبنى تكية جديدة في باب اللوق، وأخذ يعطي العهود ويقيم حلقات الذكر.

وفي سنة 1276هـ – 1859م صدرت أوامر الحكومة المصرية بتخصيص المغاره التي دفن فيها عبدالله المغاوري (قبوغوسز) للطريقة البكتاشية، فبنوا تكية عظيمة هناك بعد أن طردوا الرعاة والبدو الذين يلجأون إليها بأغنامهم وإبلهم وبنوا قبة عظيمة لمؤسس طريقتهم في مصر. وأصبحت هذه التكية فيما بعد قبلة الشعب المصري حيث يؤمونها لزيارة (ولي الله المغاوري)!! الذي تخصص (بتحبيل النسوان) وشفاء الأمراض وتلبية الحاجات فكانت تقصده كل امرأة لا تلد، وكانت المرأة تدخل في المغارة ضمن كهوف مظلمة طويلة.. وبقيت تكية المغاوري هذه تابعة للمركز الرئيسي للطريقة في تركية، ثم أصبحت تابعة للمركز الرئيسي في ألبانية، ثم بعد أن قتل صالح نيازي بابا نفسه سنة 1949، اجتمع أتباع الطريقة واختاروا أحمد سري شيخ تكية قبوغوسز (عبدالله المغاوري) شيخاً لمشايخ علوم الطريقة وكان ذلك في 30 يناير سنة 1949م (الرسالة الأحمدية ص31) ومنذ ذلك الوقت أصبحت مصر هي المقر الرئيسي لهذه الطريقة، وأصبح أحمد سري (دده بابا) هو شيخ مشايخها. وفي يناير سنة 1957م أمرت الحكومة المصرية بإخلاء تكية المقطم لوقوعها ضمن المناطق العسكرية، وأعطت الحكومة أرباب الطريقة مكاناً آخر في ضاحية المعادي. حيث أسس المقر الجديد على غرار التكايا البكتاشية ثم نشط البكتاشيون، وجددوا التكايا القديمة التي لهم.

* هذه لمحة سريعة عن تاريخ هذه الطريقة التي نشأت وترعرعت في أوساط أهل السنة في تركية ومصر، وسيعجب القارئ أشد العجب عندما يعلم أن هذه الطريقة شيعية خالصة في المعتقد والأذكار والمشاعر، وأنها لا تمت إلى أهل السنة بصلة مطلقاً.. سيعجب كيف خفي مثل ذلك على علماء الإسلام ورجال السنة في تركية ومصر، ولكن يزول العجب عندما نعلم أن الظاهر الصوفي كان دائماً خداعاً يخفي تحته ما يخفي من العقائد الباطنية.

أصول الطريقة البكتاشية:

الطريقة البكتاشية مزيج كامل من عقيدة وحدة الوجود، وعبادة المشايخ وتأليههم، وعقيدة الشيعة في الأئمة.

يقول أحمد سري (دده بابا) شيخ مشايخ الطريقة:

"الطريقة العلية البكتاشية هي طريقة أهل البيت الطاهر رضوان الله عليهم أجمعين" (الرسالة الأحمدية ص67) ويقول أيضاً:

"وجميع الصوفية على اختلاف طرقهم يقدسون النبي وأهل بيته ويغالون في هذه المحبة لدرجة اتهامهم بالباطنية والاثني عشرية" (الرسالة الأحمدية ص68).

ويقول أيضاً:

"والطريقة العلية البكتاشية قد انحدرت أصولها من سيدنا ومولانا أمير المؤمـنين علي بن أبي طـالب كـرم اللـه وجهـه وعن أولاده وأحفـاده إلى أن وصـلت إلى مشـايخنا الكـرام يـداً بيـد، وكـابر عن كـابر، وعنهم أخـذنا مبـادئ هـذه الطريقـة الجليلة" (الرسالة الأحمدية ص69).

مراتب الطريقة البكتاشية:

وقد قسم أرباب هذه الطريقة المنتسبين إلى طريقهم على النحو التـالي حسـب درجاتهم:

1- العاشـق: وهـو الـذي يحب الطريـق ويعتنـق مبادئهـا وتسـيطر عليـه الـروح البكتاشية، وله رغبة في الانضمام إلى الطريقـة، ويكـثر من الحضـور إلى التكيـة ويسـمع مـا يـدور بهـا. ويرشـحه الشـيخ ليكـون في المنزلـة التـالي وهي درجـة الطالب.

2- الطالب: وهو الذي يعلن رغبتـه في الانضـمام ويرشـحه الشـيخ لـذلك ليتقبـل الإقرار، ويعطي العهد. وتقام له حفلة بذلك.

3- المحب: وهـو الطـالب الـذي انتسـب إلى هـذه الطريقـة بعـد حفلـة الإقـرار والبيعة.

4- الـدرويش: الـذي يتبحـر في آداب الطريقـة وعلومهـا ويلم بأركانهـا ومبادئهـا. ويهب نفسه للخدمة العامة فيها.

5- البابا: وهي درجة المشيخة ولا يصل إليها الـدرويش إلا بعـد مـدة طويلـة حيث يكون قد عرف الرموز الصوفية وأحاط بها..

6- الددة: وهو الخليفة، ولا يمنح هذه المنزلة إلا شيخ المشايخ ويكون هذا رئيسـاً لفرع من فروع الطريقة في مصر.

7- الددة بابا: شيخ المشايخ وينتخب من بين الخلفـاء وهـو المـدير العـام لشـئون الطريقة في العالم وهو الذي يعين البابوات وله حق عزل المشايخ..

التكية البكتاشية:

التكية البكتاشية في الغالب عبارة عن ضيعة كبيرة بها قصر فخم وقبور مزخرفـة مبنيـة، ويقيم بهـا الـدراويش أبـداً منقطعين للخدمـة، وقـد تضـم التكيـة آلاف المواشي والأنعام من البقر والغنم، وتأتيها الإتاوات والأرزاق من منتسـبي التكيـة في القطر. إذ لا يجوز للزائر الدخول إليها إلا وهو يحمل شيئاً مـا يقدمـه قربانـاً.. ونسـتطيع أن نقـول إنهـا مملكـة أو إمـارة خاصـة.. ولـذلك فالمنتسـب إلى هـذه الطريقة لا بد أن يكون خادماً في هذه المملكة الخاصة لأسـياده المشـايخ الـذين يتربعون على عرش الولاية البكتاشية. يقول أحد سري (دد بابا): "والمنتسب إلى الطريقة العلية تنتظره واجبات كثيرة يؤديهـا في منزلـه وفي التكيـة عنـد زيارتـه لها. فالواجبات المنزليـة هي إقامـة الصـلوات في أوقاتهـا وتلاوة الأوراد والأذكـار المـأذون بتلاوتهـا وحفـظ الأدعيـة المـأثورة، وفي التكيـة يكلـف بالخدمـة مـع الدراويش ثم يخصـص لخدمـة مثـل سـقاية القهـوة أو خدمـة الضـيوف أو إعـداد الطعام وتجهيز المائدة وغسل الأواني أو خدمة الحديقة، فإذا حذق التعاليم كلفـه

الشيخ بخدمة أرقى فيعين نقيباً أو دليلاً أو ميدانجياً. وهكذا.." أ.هـ (الرسالة الأحمدية ص72).

العهد ودخول الطريقة:

لتعميد المريد أو الطالب نظام خاص في الطريق البكتاشي فعند دخوله إلى ميدان التكية يقرأ الدليل أبياتاً معينة من الشعر ثم يقول:

اللهم صل على جمال محمد، وكمال علي والحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ثم يقول:

جئت بباب الحق بالشوق سائلاً

مقراً به محمداً وحيدراً (حيدر هو علي بن أبي طالب)

وطالب بالسر والفيض منهما

ومن الزهراء وشبير (وشبير المقصود علي بن أبي طالب أيضاً ويعنون بهذا القصير) شبراً

ثم يقرأ الشيخ على الطالب آية البيعة:

{إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً} (الفتح:10).

ثم يقول الطالب أبياتاً من الشعر يعلن بها دخول الطريق ومن هذه الأبيات:

وبالحب أسلمت الحشا خادماً لآل العبا (آل العبا يعنون بهم أهل الكساء وهم علي وفاطمة والحسن والحسين والعباس، وبعد دخول الطالب وإقامة الحفل على هذا النحو يسلم الطالب خدمة ما في التكية كأن يكون ساقياً للقهوة أو فلاحاً، أو خادماً للضيوف أو طباخاً.. الخ)

وملاذي هو الحاج بكتاش قطب الأوليا!!

آداب الطريقة البكتاشية:

1- آداب زيارة التكية:

فرض أرباب الطريقة على المريد أن يغتسل قبل زيارة التكية وأن يأخذ معه هدية ولا بد ولو كان ملحاً. فإذا وصل الباب سمى ولا يجوز له أن يطأ العتبة برجله لأنها مقدسة ثم يلتحق بالخدمة التي تطلب منه، وفي وقت المجلس يجلس حسب مرتبته، ولكل شخص مرتبة خاصة، والمراتب بالأقدمية.

* ثم يذهب المريد بعد دخول التكية والاستراحة فيها إلى القبر الموجود في التكية، ولزيارة القبرة آداب خاصة منها السلام المخصوص، ثم العودة بظهره إلى خارج الضريح.

والشيخ في العادة لا يجلس مع المريدين، ولا يزار إلا إذا صدر الإذن بذلك من الشيخ، ولا يزوره المريد إلا بصحبة الدرويش المختص، وعلى المريد أن يخلع حذاءه ويدخل مطأطئ الرأس ويقف على بعد خطوات من الشيخ ويقرأ:

وجهك مشكاة وللهدى منارة

وجهك لصورة الحق إشارة!!

وجهك الحج والعمرة والزيارة

وجهك للطائعين قبلة الإمارة

وجهك القرآن الموجز العبارة (الرسالة الأحمدية ص74)!!

ولا يخفى أن هذا هو عين الفكر الباطني في جعل الدين هو طاعة رجل كما تقول الإسماعيلية "الدين طاعة رجل"، وهذه العبودية الكاملة هي عين ما تهدف إليه هذه الطريقة حيث تجعل معاني الحج والعمرة والزيارة والقرآن بل والله سبحانه وتعالى هو هذا الشيخ الصوفي الباطني.

وبعد ذلك يتقدم المريد فيقبل يد الشيخ ثم يعود بظهره بضع خطوات ولا يجلس حتى يأذن له الشيخ بالجلوس وعند الوقوف أمام الشيخ لا بد من مراعاة ما يلي:

1- أن يضع إبهام القدم اليمنى فوق اليسرى.

2- وضع اليدين على الصدر فوق السرة!!.

الأوراد البكتاشية:

والناظر في الأوراد البكتاشية يرى كيف أسست هذه الأوراد على عقيدة الشيعة الإمامية الاثني عشرية، فالورد البكتاشي يبدأ بذكر لله ثم للرسول ثم لعلي ثم لفاطمة ثم للحسن ثم للحسين ثم لعلي زين العابدين ثم الباقر، وهكذا إلى الإمام الثاني عشر عند الشيعة ثم الإعلان أن الذاكر بهذا الذكر متول للشيعة، بريء من جميع أهل السنة، ثم بعد ذلك ورد خاص في لعن الصديق أبي بكر رضي الله عنه، وكل من رضي وتابع له، ثم في النهاية إشهاد الله أن الخلفاء بعد الرسول هم الأئمة الأثنا عشر دون غيرهم. وإليك بعض نصوص هذه الأوراد البكتاشية.

1- اللهم صل وسلم وزد وبارك على السيد المطهر، والإمام المظفر والشجاع الغضنفر إلى شبير وشبر -قاسم طوبى وسقر- (شبير: هو لقب يطلقونه على علي لأنه كان قصيراً دون الربعة. ومعنى أنه قاسم طوبي وسقر أن له الجنة والنار وهو يدخل من يشاء كيف يشاء فالقسمة إليه).

2- اللهم صل وسلم وزد وبارك على السيدة الجليلة الجميلة الكريمة النبيلة المكروبة العليلة ذات الأحزان الطويلة!! في المدة القليلة المعصومة المظلومة، الرضية الحليمة، العفيفة السليمة، المدفونة سراً، والمغصوبة جهراً، المجهولة قدراً، والمخفية قبراً، سيدة النساء الأنسية، الحوراء البتول العذراء، أم الأئمة النقباء النجباء فاطمة التقية الزهراء عليها السلام.

ولا يخفى ما في هذا الكلام من الدس والطعن واتهام الصحابة رضوان الله عليهم بظلم فاطمة رضي الله عنها وغصبها، وادعاء العصمة المطلقة لها.

3- اللهم صل وسلم وزد وبارك على السيد المجتبى والإمام المرتجى سبط المصطفى وابن المرتضى علم الهدى.. الشفيع ابن الشفيع المقتول بالسم النقيع - المدفون بأرض البقيع.. الإمام المؤتمن.. والمسموم الممتحن.. الإمام بالحق أبي محمد الحسن.. (الرسالة الأحمدية ص83).

ولا يخفى ما في هذا أيضاً من الدس وأن الحسن بن علي رضي الله عنه مات مسموماً.

4- وأما في الصلاة على الحسين فيقول الورد البكتاشي:

اللهم صل وسلم وزد وبارك على السيد الزاهد والإمام العابد الراكع الساجد.. قتيل الكافر الجاحد.. الإمام بالحق عبدالله الحسين..

5- وهكذا تستمر هذه الأوراد على هذا النحو ذاكرة إماماً من أئمة الشيعة الاثني عشرية إلى أن يأتي الورد الخاص بمهدي الشيعة المنتظر الذي يسمونه محمد بن الحسن العسكري فيقول الورد بالنص:

اللهم صل وزد وبارك على صاحب الدعوة النبوية، والصولة الحيدرية، والعصمة الفاطمية، والحلم الحسينية والشجاعة الحسينية، والعبادة السجادية، والمآثر الباقرية، والآثار الجعفرية، والعلوم الكاظمية، والحجج الرضوية، والجود التقوية والنقاوة والنقوبة والهيبة العسكرية، والغيبة الإلهية، القائم بالحق والداعي إلى الصدق المطلق، كلمة الله، وأمان الله، وحجة الله، القائم لأمر الله، المقسط لدين الله، الذابّ عن حرم الله، إمام السر والعلن، دافع الكرب والمحن، صاحب الجود والمنن، الإمام بالحق أبي القاسم محمد بن الحسن، صاحب العصر والزمان، وخليفة الرحمن، ومظهر الإيمان وقاطع البرهان وسيد الإنس والجان، المولى الولي، وسمي النبي والوصي، والصراط السوي، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، الصلاة والسلام عليك يا وصي الحسن، والخلف الصالح، يا إمام زماننا، أيها القائم المنتظر المهدي، يا ابن رسول الله، يا ابن أمير المؤمنين، يا إمام المسلمين، يا حجة الله على خلقه، يا سيدنا ومولانا إنا توجهنا واستشفعنا وتوسلنا بك إلى الله، وقدمناك بين يدي حاجتنا في الدنيا والآخرة يا وجيهاً عند الله اشفع لنا عند الله بحقك وبحق جدك وبحق آبائك الطاهرين (الرسالة الأحمدية ص88،89).

6- وأما في ورد التولي والتبري فإنهم يقولون:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وما توفيقي واعتصامي إلا بالله. إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً. والصلاة والسلام على رسولنا محمد الذي أرسله بالهدى. قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى. وعلى آله وأصحابه وأزواجه الهدى. يا سادتي ويا موالي إني توجهت بكم أنتم أئمتي وعدتي ليوم فقري وفاقتي وحاجتي إلى الله. وتوسلت بكم إلى الله واستشفعت بكم إلى الله. وبحبكم وبقربكم أرجو النجاة من الله. تكونوا عند الله. رجائي يا سادتي يا أولياء الله. صلى الله عليكم أجمعين. اللهم إن هؤلاء أئمتنا وساداتنا وقاداتنا وكبراؤنا وشفعاؤنا بهم نتولى ومن أعدائهم نتبرأ في الدنيا والآخرة. والعن من ظلمهم. وانصر شيعتهم واغضب على من جحدهم. وعجل فرجهم. وأهلك عدوهم من الجن والإنس أجمعين من الأولين والآخرين إلى يوم الدين. اللهم ارزقنا في الدنيا زيارتهم وفي الآخرة شفاعتهم. وزدنا محبتهم. واحشرنا معهم. وفي زمرتهم. وتحت لوائهم. بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين.. ويا أرحم الراحمين. والحمد لله رب العالمين. اللهم صل على محمد وآل محمد.

ولا يخفى أيضاً ما في هذا الورد من التبري من أهل السنة جميعاً بادعاء أنهم ظلموا أهل البيت وجحدوهم حقهم. وفي الورد الذي يلي هذا القول:

"اللهم العن أول ظـالم ظلم حـق محمـد وآل محمـد وآخـر تـابع لـه على ذلـك" (الأحمدية ص90)، ولا يخفى أنهم يعنون بذلك الصـديق أبـا بكـر رضـي اللـه عنـه وكل مسلم رضي بولايته إلى يوم القيامة!!

وفي ختام الأوراد على المريد البكتاشي والسالك أن يشهد هذه الشهادة ويقول:

"وأشهد أن الأئمـة الأبـرار. والخلفـاء الأخيـار. بعـد الرسـول المختـار: على قـامع الكفار. ومن بعده سيد أولاده الحسن بن علي. ثم أخوه السـبط التـابع لمرضـات اللـه الحسـين. ثم العابـد علي ثم البـاقر محمـد. ثم الصـادق جعفـر. ثم الكـاظم موسـى. ثم الرضـا علي ثم التقي محمـد. ثم النقي علي. ثم الـذكي العسـكري الحسن. ثم الحجة الخلف الصالح القائم، المنتظر المهدي المـرجى، الـذي ببقائـه بقيت الدنيا، وبيمنه رزق الورى، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء، بــه يملأ الأرض قسـطاً وعـدلاً، بعـدما ملئت ظلمـاً وجـوراً، وأشـهد أن أقـوالهم حجـة وامتثـالهم فريضـة، وطـاعتهم مفروضـة، ومـودتهم لازمـة مقضـية، والاقتـداء بهم منجيـة، ومخالفتهم مردية، وهم سادات أهل الجنة أجمعين، وشفاء يوم الدين، وأئمة أهل الأرض على اليقين وأفضل الأوصياء المرضيين" (الرسالة الأحمدية ص92).

ولا شك بعد ذلك أن هذه عقيدة شيعية كاملة حملتها هـذه الأوراد، والعجيب حقـاً أن هذه العقيدة الشيعية قد انتشرت في تركية الدولة السنية، وفي مصر كـذلك، واستمرت هذه العقيدة الباطنيـة تنتشـر وتنمـو طيلـة هـذه القـرون الطويلـة من أواسط القرن الثامن تقريباً إلي يومنا هذا في القرن الخامس عشر الهجري وكل ذلك تحت جنـاح التصـوف.. فـأي تلازم أبلـغ بعـد ذلـك وأي تطـابق بين التصـوف والتشيع.. وهل كان التصوف إلا المعـبرة الـتي عـبر عن طريقهـا الفكـر الشـيعي الباطني إلى ديار الإسلام.. بل هل كان التصوف إلا المعبرة التي عـبرت بهـا كـل الفلسفات وكل أشكال الإلحاد والزندقة والتخريف إلى العالم الإسلامي؟!!.

دور الفرس في التشيع والتصوف:

لقد كان للفرس والجنس الإيراني الـدور المميـز الخـاص في التصـوف والتشـيع. فأئمة التصوف ورواده الأول بلا استثناء قد كـانوا من الفـرس والمـوالي ولم يكن منهم عربي قط. وقد ارتبط التشيع أيضاً قـديماً باسـم الفـرس حـتى إنـه لا يكـاد يذكر التشيع إلا ويقترن ذكره بذكر الفـرس.. وقـد كـان لـذلك أسـبابه الخفيـة بلا شك. وقد كتب الدكتور كامل الشـيبي في كتابـه (الصـلة بين التصـوف والتشـيع) فصلاً خاصاً بذلك حيث يقول:

أثر الشعب الإيراني في التشيع والتصوف:

"ويهمنـا في هـذا المجـال أن نـورد رأيـاً لـبراون رواه البـاحث الإيـراني المعاصـر الدكتور قاسم غني -ومر بنا أصله- مـؤداه أن (الإيرانـيين -بعـد رضـوخهم لسـيف العرب إثر حروب القادسية وجلولاء وحلوان ونهاوند- بـذلوا اسـتقلالهم وشـوكتهم عن يـد وهم صـاغرون، وسـواء أشـاءوا أم أبـوا دخلـوا الإسـلام بحكم غريـزة المحافظة، غير أن العرب -الذين نظر إليهم الإيرانيـون بعين الاحتقـار من قـديم- لم يسـتطيعوا مـع غلبتهم أن يحملـوا الإيرانـيين على مشـاركتهم طـراز التفكـير والعقيـدة والسـلفية والمنطـق والآمـال والمطـالب الروحيـة، لأن التبـاين -شـكلاً ومعنى- كان عظيماً في العنصر وطريقـة المعيشـة والأوضـاع الاجتماعيـة. وعلى ذلك فإن انتهاء الصراع بهزيمة إيران أوجد انفعالات روحيـة وتـأثرات معنويـة في الإيرانيين على شكل صراع فكري ظهر في التاريخ الأدبي والمذهبي والاجتمـاعي والسياسي، وأثر العرب في الإسلام، وكان التشيع وكذلك التصـوف من أهم ردود

الفعل التي أورثها هذا الصراع الفكري) (تاريخ تصوف در إسلام 3 -ترجمة-). وقد أوضح الدكتور قاسم غني هذه الفكرة وبين جوهرها بقولـه: (ويجب أن نـبين هنـا أن رد الفعل هذا لم يأت عن عمد واختيـار وإرادة على خطـة مرسـومة يـراد بهـا الانتقـام بـل كـان أكـثره متأنيـاً بحكم الانفعـال النفسـي وتحت تـأثير العواطـف والأحاسيس الخفية التي يعرفها علم النفس، أي أن ذلك قد حدث غالباً دون أن يجد له الناس علـة واقعيـة ودون أن يحللـوه، ولكن ذهنهم كـان مسـوقاً إلى هـذا العمل بهـذه الطريقـة) (تـاريخ تصـوف در إسـلام 3-ترجمـة) ولقـد نطـق إيـراني معاصر -في صراحة وجلاء- بهـذه الحقيقـة واعـترف بـأن التصـوف قـد ظهـر في إيران (في عصر تسلط على وطننا فيه عدو قوي، فلما لم يجـد الإيرانيـون قـدرة على المخالفة والمبارزة سلكوا سبيل الهزيمة واتخذوا القوى الغيبية معتقـداً لهم وألقوا سلاحهم في ميـدان تنـازع البقـاء... وعلى هـذا فقـد كـان التصـوف حينئـذ ضرورة من الضرورات وليس اليوم كـالأمس، ويجب ألا نحمـل الأفكـار الصـوفية محمل الجد) (تصوف للبرفسـور عبـاس مهـرين: المقدمـة -ترجمـة- الواقـع أن هذه المعاني متضمنة في صورة واضحة في عبارة ابن حزم الـواردة في كتابـه -الفصل- طبع مصر 1321م 2/115. وقد عبر عنها براون وغيره بألفاظهم).

على أن هذا كله لا يقدح في أن التصوف قـد ظهـر في سـائر الأقطـار الإسـلامية حينئذ، ولكن الواضح أيضاً أن التطور لم يخالط الزهـد إلا في خراسـان وعلى يـد الفرس في البصـرة والكوفـة بـل حـتى في الشـام حين دخلهـا إبـراهيم بن أدهم وصحبه. وينبغي أن نذكر الدور الذي قـام بـه الفـرس من إدخـالهم مثلهم الدينيـة في التشـيع الغـالي الأول حين نصـروا المختـار، وعاضـدوا حركـة الغلـو العجليـة، وانضــموا إلى حركــة أبي هاشــم حــتى أدى بهم الأمــر إلى تأليــه أبي مســلم الخراساني، كما فعلوا مع أئمة الشيعة من العلويين. يضاف إلى ذلك أنهم نصـروا حركة عبدالله بن معاوية في فارس أيضاً وأسبغوا عليه النور الإلهي الذي سنجده في التصوف واضحاً جلياً. وهذا كله يعني أن الفـرس قـد بـدؤوا إضـافة القداسـة إلى البيت النبوي باعتبارها أساساً موازياً لأسسهم السياسية والدينية السابقة من تأليههم الملوك، وقولهم بالنور الذي ينتقل من ملك إلى آخر، فثبتت الولايـة لعلي بن أبي طالب على نحو مبـالغ فيـه، وانتقلت هـذه الولايـة المقدسـة مـع زيـادات وإضافات وحواش إلى الأئمـة من بعـده حـتى بلـغ الأمـر حـد التألـه" (الصـلة بين التصوف والتشيع ص341-343).

وهذه الشهادات تعني في الجملة أن التصوف والتشيع عند الإيرانـيين كـان دائمـاً وسيلة إلى غاية ولم يكن عقيدة وانتحالاً خالصاً، وهـذا يصـل إليـه الـدكتور كامـل الشيبي في خلاصة بحثه حيث يقول:

"وقد استعان المختار بالوالي لأول مرة في تاريخ التشيع وكـان ذلـك من أسـباب فشل حركته، وانفضاض العـرب عنـه، ويجب أن نلاحـظ هنـا أن دور الفـرس في التشيع المبكر كان مؤقتاً فقـد انصـرفوا من بعـد المختـار إلى مـوالاة العباسـيين وعادوا إلى التشيع من جديد بعد أن نزلت بهم ضربة السفاح أولاً. ثم المنصور ثم الرشيد. بل لقد وجدناهم يمنعـون العلـويين الخلافـة حين تسـلم البويهيـون أزمـة الحكم من العباسيين. وبهذا يتبين لنا أن دور الفرس في التشيع بـل في الإسـلام كان مجرد وسيلة لاستعادة المجد القديم، وإلغاء التسـلط العـربي عن كـواهلهم" (الصلة بين التصوف، لكامل الشيبي ص101).

الباب السادس

أئمة الإسلام والتصوف

في هذا الباب نجمع طائفة من كلام علماء المسلمين قديماً وحديثاً لبيان مواقفهم من التصوف:

1- لم تعرف كلمة التصوف قط في عصر الصحابة ولا التابعين ولم يكن هناك بتاتاً من يسمى بالمتصوف، ولذلك فالتصوف بدعة منكرة لم تظهر إلا في أواخر القرن الثاني الهجري، ولذلك لم يدركها الإمامان أبو حنيفة ومالك رضي الله عنهما.

الإمام الشافعي:

وأما الإمام الشافعي فقد أدرك بدايات التصوف وكان من أكثر العلماء والأئمة إنكاراً عليهم. وقد كان مما قاله في هذا الصدد: "لو أن رجلاً تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يصير أحمق".

وقال أيضاً: "ما لزم أحد الصوفيين أربعين يوماً فعاد عقله أبداً، وأنشد:

ودعوا الذين إذا أتوك تنسكو   وإذا خلوا كانوا ذئاب خفاف

(تلبيس إبليس ص371)

وقال أيضاً عندما سافر إلى مصر: "تركت ببغداد وقد أحدث الزنادقة شيئاً يسمونه السماع" (يعني الغناء والرقص الذي ابتدعه الصوفية في القرن الثاني وما زال مسلكهم إلى اليوم).

الإمام أحمد بن حنبل:

وأما الإمام أحمد بن حنبل فقد كان لهم بالمرصاد فقد قال فيما بدأ الحارث المحاسبي يتكلم فيه وهو الوساوس والخطرات. قال أحمد: "ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون". وحذر من مجالسة الحارث المحاسبي وقال لصاحب له: "لا أرى لك أن تجالسهم". وذكر أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال:

"حذروا من الحارث أشد التحذير!! الحارث أصل البلبلة -يعني في حوادث كلام جهم- ذاك جالسه فلان وفلان وأخرجهم إلى رأي جهم ما زال مأوى أصحاب الكلام. حارث بمنزلة الأسد المرابط انظر أي يوم يثب على الناس!!" (تلبيس إبليس 166-167).

وهذا الكلام من الإمام أحمد يكشف فيه القناع أيضاً عن أن الحارث المحاسبي الذي تسربل ظاهراً بالزهد والورع والكلام في محاسبة النفس على الخطرات والوساوس كان هو المأوى والملاذ لأتباع جهم بن صفوان المنحرفين في مسائل الأسماء والصفات والنافين لها، وهكذا كان التصوف دائماً هو الظاهر الخادع للحركات والأفكار الباطنية. ولذلك وقف الإمام أحمد لهؤلاء الأشرار الظاهرين منهم والمتخفين بالزهد والورع وأمر بهجر الحارث المحاسبي وشدد النكير عليه فاختفى الحارث إلى أن مات. (تلبيس إبليس 167).

الإمام أبو زرعة الدمشقي:

وجاء بعد الإمام أحمد بن حنبل الإمام أبو زرعة رحمه الله فقال أيضاً عن كتب الحارث المحاسبي وقد سأله سائل عنها: "إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع

وضلالات. عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب. قيـل لـه: في هـذه الكتب عــبرة. بلغكم أن مالــك بن أنس وســفيان الثــوري والأوزاعي والأئمــة المتقـدمين صـنفوا هـذه الكتب في الخطـرات والوسـاوس وهـذه الأشـياء هـؤلاء (يعني الصوفية) قوم خالفوا أهل العلم يأتوننـا مـرة بالحـارث المحاسـبي، ومـرة بعبدالرحيم الدبيلي ومرة بحاتم الأصم ومرة بشـقيق البلخي ثم قـال: مـا أسـرع الناس إلى البدع" أ.هـ (تلبيس إبليس ص166-167).

الإمام أبو اليسر محمد بن محمـد بن عبـدالكريم الـبزودي المتـوفي سـنة 478هـ ببخارى:

قال في كتابه (أصول الدين) عند التعريف بالتصوف: "وأمـا (الصـوفية) فـأكثرهم من (أهل السنة والجماعة). وفيهم من يكـون صـاحب الكرامـة، إلا أنـه قـد ظهـر فيهم مذاهب ردية أكثرها ضلال وبدعة. منهم (الحبية) يقولون: إن اللـه تعـالى إذا أحب عبداً رفع عنه الخطاب فيحل له كل النعم ويسـقط عنـه العبـادات ولا يبقى في حقه حظر فلا يصلون ولا يصومون ولا يسترون العورة، ولا يمنعـون عن الزنـا وشرب الخمر، ولا عن اللواطة ولا عن محظور ما.

ومنهم (الأوليائيـة) يقولـون: إن الـولي أفضـل من النـبي والرسـول من الآدمـيين والملائكة جميعاً. ويقولون: إن الرسول دون المرسـل إليـه ودون المرسـل، على هذا رأينا عادات الأكابر. وهؤلاء يقولون أيضاً: إذا بلغ الإنسان في العبـادة الدرجـة القصوى وفي الولاية الرتبة العليـا لا يبقى في حقـه خطـاب الإيجـاب ولا خطـاب الحظر ويحل له كل شيء.

ومنهم (الإباحتية) يقولون: الأموال كلها على الإباحة، وكـذا الفـروج وليس للملاك إلا مجرد الاكتساب، ويستبيحون أموال الناس وفروج نسائهم.

ومنهم (الحلولية) وهم قوم يستبيحون الرقص والغناء والنظر إلى الشـاب الأمـرد المليح الصبيح، ويقولون قد حلت بهـذا الأمـرد الصـبيح صـفة من صـفات البـارئ، فنحن نحبه ونعانقه لأجل تلك الصفة.

ومنهم (الحورية) يقولون باسـتباحة الـرقص والغنـاء والمبالغـة في الـرقص حـتى يسـقطون على الأرض من كـثرة الإتعـاب في الـرقص، ثم يقومـون ويغتسـلون ويقولون إن الحور العين يحضرن (الحق أنهم كانوا ينسـبون في هـذا الـوقت إلى أهل السنة والجماعة وكان هـذا ظـاهرهم ولكنهم في الحقيقـة كـانوا زنادقـة في الباطن يضمرون عقائد الباطنية كما شرح الـبزدوي نفسـه أحـوالهم)، ونجـامعهن وكأن إبليس جامعهم لشر صنيعتهم.

ومنهم (الواقفية) يقولون: إنه لا يمكن معرفة الله تعالى، وتوقفوا في معرفة الله تعالى، وقالوا أبياتاً في الفارسية والعربية فيها:

تراكه داندكي   تراتو داني تو

تراندناد كس   تراتو داني بس

وقال آخر:

تاتوتوي زعلت خالي ني   يا باعلل ومحك ويرا مجوي

وقال آخر:

جه خبر فهم وه، را ازتو   بحقيقت تراتو داني تو

روح وقلب وخردبتوا محدث محدثات تراجه علم ازتو

وللآخر بالعربية:

لا يعرف الحق إلا من يعرفه لا يعرف القديم المحدث الفاني

(الشطر الثاني من البيت جاء مكسور الوزن)

وقالوا: إن العجز عن المعرفة هو المعرفة.

ومنهم (المتجاهلة) وهم قوم يضربون المزامير ويشربون الخمر ويأتون ببعض الفواحش ويلبسون ثياب الفسقة ويقولون: ترك الإرادة واجب فبمثل هذا تترك الإرادة.

ومنهم (المتكاسلة) رضوا بملء البطن من الطعام حراماً كان أو حلالاً يأكلون ما يجدون حراماً أو حلالاً، ويسكنون في الحانات لا يكسبون بل ينامون في غالب الأزمان ويصلون قليلاً قليلاً، ويأكلون كثيراً إن وجدوه ويرقصون إن وجدوا قارياً (أي مضيفاً من القرى بمعنى الضيافة)، واختاروا الكسل ولا يتعلمون شيئاً ولا يتزوجون إلا أنهم لا يعتقدون مذهباً ردياً ولا ينازعون مع أحد فهؤلاء لا بأس بهم. ومنهم العامة الأتقياء البررة، وأصحاب الكرامات يكونون أبداً على الطهارة ويتبعون سنن النبي صلى الله عليه وسلم في المشرب والمأكل واللباس والكلام والنيام والعبادة إلا أنهم تركوا سنته في تبليغ الوحي، وفوضوا ذلك إلى العلماء. وينبغي أن يترك الإنسان الطعن في الصوفية ويقطع لسانه عنهم (قلت كيف يجب ذلك وهذه هي أحوالهم بل يجب الإنكار عليهم)، فإن فيهم خيار الأمة، وإنما ذكرت هؤلاء لأنه ظهر في بلادنا بعض هؤلاء خصوصاً بديار فرغانة قد يحضرون بخاراً أحياناً ثم يخرجون إذا علمناهم فهؤلاء (الأوليائية) و(الحبية) شر عباد الله مال مذهبهم إلى الزندقة.

وفي (الصوفية) قوم يدعون الإلهام يقولون: حدثني قلبي عن ربي، ثم يذكرون بعض ما وضعه (القرامطة) من الإشارات الفاسدة بالألفاظ الهائلة يغرون بهم العامة، وجعلوا ذلك مكسبة لأنفسهم وأنكروا الشرائع أجمع، شر خليقة الله تعالى، وواحد من هؤلاء الصوفية حضر بلدة بخارى سنة ثمان وسبعين وأربع مائة، وجمع (الصوفية) وبعض (أصحاب الشافعي) على نفسه، وكنت خرجت من بلدة بخارى إلى بعض قراها فلما حضرت أخبروني بحضوره، وكان قبل ذلك يعتقد مذهب (أبي حنيفة) ويميل إلى الاعتزال، فبعثت إليه اثنين من أصحابي قلت لهما: قولا له لم تركت مذهب (أبي حنيفة) وأخرجت هذه البدع. فقال: ما تركته؛ فقلت لهما: قولا له لماذا ترفع اليدين عند الركوع وعند رفع الرأس من الركوع فاضطر إلى كشف سريرته الخبيثة فقال: ظهر لي ما لو ظهر لكم ترفعون أيديكم فقلت لهما: قولا له ماذا ظهر لك هل تقدر على إظهاره أو لا تقدر فإن كنت تقدر على إظهاره فأظهر وإن كنت لا تقدر على إظهاره فذلك بدعة عجزت عن إظهارها، ثم قلت لهما: قولا له إنا على الطريقة التي كان عليها الرسل والأنبياء والصالحون من الفقهاء من جميع الأعصار وأتقياؤهم وأولياؤهم وقراؤهم وأنت أيها التلبيس (هكذا بالأصل) الضال الغاوي المغوي أعرضت عن طريقة هؤلاء وسلكت طريقة إبليس وهو طريقة (الروافض) و(القرامطة) فعند ذلك فر من بلدة بخارى ونواحيها فرار القرود من الأسود والهنود والقيود. وقد أخبرني واحد من فقهائنا أنه سأل هذا المبتدع لم تركت مذهب (أبي حنيفة) وترفع اليدين عند الركوع وعند رفع الرأس من الركوع، فقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه صلى الله عليه وسلم وغيرهم

ويرفعون أيديهم عند الركوع وعند رفع الرأس من الركوع (بالرغم من أن السـنة هي رفع اليدين عند الركوع والرفع منه إلا أن احتجاج الصوفي بأنه يرى الرسـول يفعل ذلك يقظة تلبيس وزندقة وكذب على الرسول وقد زعمـوا أيضاً أنـه أعـني الرسول يحضر مجالس سماعهم وموالدهم، بل وديوانهم في حراء الذي يزعمون أنه تقدر فيه المقـادير) فقـال: قلت لـه رأيت في المنـام قـال: بـل في اليقظـة" انتهى بلفظه.

الإمام ابن الجوزي:

وأما الإمام أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي البغدادي المتوفي سنة 597هـ فقـد كتب كتاباً فريداً سماه (تلبيس إبليس) خص الصوفية بمعظم فصوله وبين تلبيس الشيطان عليه وكان مما ذكره هذه الصفحات:

"وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمـل فلمـا أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات. فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبـدانهم. وشـبهوا المـال بالعقـارب، ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا في الحمل على النفوس حتى إنه كـان فيهم من لا يضطجع. وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غـير الجـادة. وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يـدري. ثم جـاء أقوام يتكلمون لهم في الجـوع والفقـر الوسـاوس والخطـوات وصـنفوا في ذلـك مثل الحارث المحاسبي. وجاء آخرون فهذبوا مـذهب التصـوف وأفـردوه بصـفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيف وتمـيزوا بزيادة النظافة والطهـارة. ثم مـازال الأمـر ينمى والأشـياخ يضـعون لهم أوضـاعاً ويتكلمون بواقعاتهم. ويتفق بعـدهم عن العلمـاء لا بـل رؤيتهم مـا هم فيـه أو في العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر.

ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسـدة فـادعى عشـق الحـق والهيمـان فيـه كـأنهم تخـايلوا شخصـاً مستحسـن الصـورة فهـاموا بـه، وهـؤلاء بين الكفـر والبدعة، ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق، ففسدت عقائدهم، فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد. وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سنناً، وجاء أبو عبدالرحمن السـلمي فصـنف لهم كتـاب السـنن، وجمـع لهم حقائق التفسير، فذكر عنهم فيه العجب في تفسـيرهم القـرآن بمـا يقـع لهم من غـير إسـناد ذلـك إلى أصـل من أصـول العلم. وإنمـا حملـوه على مـذاهبهم. والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن. وقد أخبرنـا أبـو منصـور عبدالرحمن القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: قال لي محمـد بن يوسـف القطان النيسابوري، قال: كان أبو عبدالرحمن السلمي غير ثقـة، ولم يكن سـمع من الأصم إلا شيئاً يسيراً فلما مات الحاكم أبو عبدالله بن البيع حدث عن الأصـم بتاريخ يحيى بن معين وبأشياء كثيرة سواه. وكان يضع للصوفية الأحاديث.

قال المصنف: وصنف لهم أبو نصر السراج كتاباً سماه لمع الصوفية ذكر فيـه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ما سنذكر منه جملة إن شاء الله تعـالى. وصـنف لهم أبو طالب المكي قوت القلوب فذكر فيه الأحاديث الباطلة ومـالا يسـتند فيـه إلى أصل من صلوات الأيام والليالي وغير ذلك من الموضوع وذكـر فيـه الاعتقـاد الفاسد. وردد فيه قول - قال بعض المكاشـفين- وهـذا كلام فـارغ وذكـر فيـه عن بعض الصوفية أن الله عز وجل يتجلى في الدنيا لأوليائه. أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: قـال أبـو طـاهر محمـد بن العلاف. قـال: دخـل أبـو طالب المكي إلى البصرة بعـد وفـاة أبي الحسـين بن سـالم فـانتمى إلى مقالتـه

وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعاظ فخلط كلامه فحفظ عنـه أنـه قال: ليس على المخلوق أضـر من الخـالق. فبدعـة النـاس وهجـروه فـامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك، قال الخطيب: وصنف أبو طـالب المكي كتابـاً سـماه قـوت القلـوب على لسـان الصـوفية وذكـر فيـه أشـياء منكـرة مستشـبعة في الصفات.

قال المصنف: وجاء أبو نعيم الأصبهاني فصنف لهم كتاب الحلية. وذكر في حـدود التصوف أشـياء منكـرة قبيحـة ولم يسـتح أن يـذكر في الصـوفية أبـا بكـر وعمـر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة رضي اللـه عنهم. فـذكر عنهم فيـه العجب وذكـر منهم شريحاً القاضي والحسن البصري وسفيان الثوري وأحمـد بن حنبـل وكـذلك ذكر السلمي في طبقات الصوفية وإبـراهيم بن أدهم ومعروفـاً الكـرخي وجعلهم من الصوفية بأن أشار إلى أنهم من الزهاد.

فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهمـا أن الزهـد لم يذمه أحد وقد ذمـوا التصـوف على مـا سـيأتي ذكـره وصـنف لهم عبـدالكريم بن هوازن القشيري كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء والبقـاء، والقبض، والبسط، والوقت، والحال والوجد والوجود، والجمع، والتفرقة، والصحو، والسكر، والذوق، والشرب، والمحو، والإثبات، والتجلي، والمحاضرة، والمكاشفة، واللوائح، والطوالع، واللوامع، والتكوين، والتمكين والشريعة، والحقيقـة، إلى غـير ذلك من التخليط الذي ليس بشيء وتفسيره أعجب منه، وجـاء محمـد بن طـاهر المقدسي فصنف لهم صفة التصوف فذكر فيه أشياء يستحي العاقـل من ذكرهـا سنذكر منها ما يصلح ذكره في مواضعه إن شاء الله تعالى.

وكان شيخنا أبو الفضل بن ناصر الحافـظ يقـول: كـان ابن طـاهر يـذهب مـذهب الإباحة، قال: وصنف كتاباً في جواز النظر إلى المراد أورد فيـه حكايـة عن يحـيى بن معين، قال: رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها. فقيل له تصـلي عليهـا، فقال صلى الله عليها وعلى كـل مليح، قـال شـيخنا ابن ناصـر: وليس ابن طـاهر بمن يحتج به، وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم كتاب الإحياء على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلـة وهـو لا يعلم بطلانهـا، وتكلم في علم المكاشـفة وخـرج عن قـانون الفقـه. وقـال: إن المـراد بـالكوكب والشـمس والقمـر اللـواتي رآهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوار هي حجب الله عز وجل ولم يرد هذه المعروفات. وهذا من جنس كلام الباطنية. وقال في كتابه المفصح بالأحوال: إن الصـوفية في يقظتهم يشـاهدون الملائكـة وأرواح الأنبيـاء ويسـمعون منهم أصـواتاً ويقتبسـون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطـاق النطق.

قال المصـنف: وكـان السـبب في تصـنيف هـؤلاء مثـل هـذه الأشـياء قلـة علمهم بالسنن والإسلام والآثار وإقبـالهم على مـا استحسـنوه من طريقـة القـوم. وإنمـا استحسنوها لأنه قد ثبت في النفوس مدح الزهد وما رأوا حالـة أحسـن من حالـة هـؤلاء القـوم في الصـورة ولا كلامـا أرق من كلامهم. وفي سـير السـلف نـوع خشونة، ثم إن ميل النـاس إلى هـؤلاء القـوم شـديد لمـا ذكرنـا من أنهـا طريقـة ظاهرها النظافة والتعبد وفي ضمنها الراحة والسـماع والطبـاع تميـل إليهـا. وقـد كان أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والأمراء فصـاروا أصـدقاء (أي بعـد أن صار التصوف حرفة وتكسباً صاحبوا الأمراء والسلاطين).

وجمهور هذه التصانيف الـتي صـنفت لهم لا تسـتند إلى أصـل وإنمـا هي واقعـات تلقفها بعضهم عن بعض ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن. والحديث بإسناد إلى

أبي يعقوب إسحق بن حية قال سمعت أحمد بن حنبل وقد سئل عن الوساوس والخطرات. فقال: ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون.

قال المصنف: وقد روينا في أول كتابنا هذا عن ذي النون نحو هذا، وروينا عن أحمد بن حنبل أن سمع كلام الحارث المحاسبي. فقال لصاحب له. لا أرى لك أن تجالسهم. وعن سعيد بن عمرو البردعي، قال شهدت أبا زرعة، وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه، فقال للسائل: إياك وهذه الكتب. هذه الكتب كتب بدع وضلالات، عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب. وقيل له. في هذه الكتب عبرة. قال: من لم يكن له في كتاب الله عز وجل عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة. بلغكم أن مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والأئمة المتقدمة، صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتوننا مرة بالحارث المحاسبي ومرة بعبدالرحيم الديبلي ومرة بحاتم الأصم ومرة بشقيق، ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ثنا أبو محمد رزق الله بن عبدالوهاب التميمي عن أبي عبدالرحمن السلمي قال: أول من تكلم في بلدته في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ذو النون المصري فأنكر عليه ذلك عبدالله بن عبدالحكم وكان رئيس مصر وكان يذهب مذهب مالك وهجره لذلك علماء مصر لما شاع خبره أنه أحدث علماً لم يتكلم فيه السلف حتى رموه بالزندقة. قال السلمي: وأخرج أبو سليمان الداراني من دمشق. وقالوا إنه يزعم أنه يرى الملائكة وأنهم يكلمونه، وشهد قوم على أحمد بن أبي الحواري: إنه يفضل الأولياء على الأنبياء فهرب من دمشق إلى مكة، وأنكر أهل بسطام على أبي يزيد البسطامي ما كان يقول حتى إنه ذكر للحسين بن عيسى أنه يقول: لي معراج كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم معراج فأخرجوه من بسطام، وأقام بمكة سنتين ثم رجع إلى جرجان فأقام بها إلى أن مات الحسين بن عيسى ثم رجع إلى بسطام، قال السلمي: وحكى رجل عن سهلي بن عبدالله التستري أنه يقول: إن الملائكة والجن والشياطين يحضرونه وإنه يتكلم عليهم فأنكر ذلك عليه العوام حتى نسبوه إلى القبائح فخرج إلى البصرة فمات بها، قال السلمي: وتكلم الحارث المحاسبي في شيء من الكلام والصفات فهجره أحمد بن حنبل فاختفى إلى أن مات.

قال المصنف: وقد ذكر أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال: حذروا من الحارث أشد التحذير، الحارث أصل البلية يعني في حوادث كلام جهم ذاك جالسه فلان وفلان وأخرجهم إلى رأي جهم ما زال مأوى أصحاب الكلام، حارث بمنزلة الأسد المرابط انظر أي يوم يثب على الناس" (تلبيس إبليس 167/163). انتهى منه بلفظه.

الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية:

وأما الإمام ابن تيمية رحمه الله فقد كان من أعظم الناس بياناً لحقيقة التصوف، وتتبعاً لأقوال الزنادقة والملحدين منهم وخاصة ابن عربي، والتلمساني، وابن سبعين.

فتعقب أقوالهم وفضح باطنهم وحذر الأمة من شرورهم وذلك في كتبه ومؤلفاته الكثيرة وفي فتاويه، وكذلك تتبع أقوال المخلطين منهم الذين خلطوا بين القول الطيب والقول الخبيث كالترمذي صاحب كتاب (ختم الولاية) والغزالي صاحب إحياء علوم الدين. ولا شك أن من أعظم ما ألف الإمام ابن تيمية في هذا الصدد

هو كتابة (الفرقان بين أولياء الرحمة وأولياء الشيطان) فقد فصل فيه القـول في الولاية الرحمانية وبيان صفاتها من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح، وفـرق بين ذلـك والولايـة الشـيطانية الصـوفية الـتي تعتمـد على الشـعبذات والـدجل، والكذب، وأكل أموال الناس بالباطل، والسماع والغناء والـرقص والبـدع المنكـرة في الدين، والتظاهر بالصلاح والتقوى، ولقد أجاد الإمام ابن تيمية رحمه الله أيمـا إجادة في بيان الكرامة الرحمانية التي هي حق لولي اللـه، والكرامـة الشـيطانية التي تجري أحياناً على أيدي هؤلاء كتظاهرهم بالدخول في النـيران وزعمهم أنهـا لا تضرهم، وحملهم الحيات والثعابين، وضربهم أنفسهم بالسيوف والسـهام وغـير ذلك من أنواع المخاريق التي يزعمـون أنهـا من كرامـاتهم، وقـد قـام الإمـام ابن تيمية نفسه بتحدي هؤلاء الصوفية الذي يزعمون هذه الكرامات وأنه يدخل معهم النار التي يزعمون دخولهـا وأنهـا تحـرقهم إن شـاء اللـه ولا تحرقـه، شـريطة أن يغسلوا أنفسهم أولاً بالخل لإزالة دهن الضفادع الذي يدهنون به أنفسـهم حـتى لا تؤثر فيهم النار. فلما كشف حيلهم وتحداهم وكان ذلك بمحضر السلطان تراجعوا عن ذلـك وظهـر كـذبهم ومخـاريقهم، وكـان هـؤلاء الصـوفية من أتبـاع الرفـاعي البطائحي (انظر مناظرة ابن تيمية لدجاجلـة البطائحيـة الفتـاوي الكـبرى من ص 445-476).

والمهم أن الإمام ابن تيمية كان من أعظم الرجال الـذي كشـفوا عـوار التصـوف وتتبعوا ترهاته، وما كتبه ودونه وقام به في هذا الصدد شيء يطول وصفه جداً.

الإمام برهان الدين البقاعي المتوفي سنة 885هـ:

ألف هذا الإمام الجليل كتاباً فذاً فريداً سماه (تنبيه الغبي بتكفير عمر بن الفارض وابن عربي) قال في خطبة هذا الكتاب:

"وبعد: فإني لما رأيت الناس مضطربين في ابن عربي المنسـوب إلى التصـوف، الموسوم عنـد أهـل الحـق بالوحـدة، ولم أر من شـفى القلب في ترجمتـه وكـان كفره في كتابه الفصوص أظهر منه في غيره، أحببت أن أذكر منه ما كان ظاهراً، حتى يعلم حاله، فيهجر مقاله، ويعتقد انحلاله، وكفـره وضـلاله، وأنـه إلى الهاويـة مآله ومآبه، امتثالاً لما رواه مسـلم عن أبي سـعيد الخـدري رضـي اللـه عنـه: أن النبي صلى الله عليه وسـلم قـال: [من رأى منكم منكـراً فليغـيره بيـده، فـإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلـك أضـعف الإيمـان] وفي روايـة عن عبدالله بن مسعود: [وليس وراء ذلك من الإيمـان مثقـال حبـة من خـردل]، ومـا أحضر من النسخة التي نقلت ما تراه منها إلا شخص من كبـار معتقديـه، وأتباعـه ومحبيه.

عقيدة ابن عربي وكيده للإسلام:

وينبغي أن يعلم أولاً أن كلامـه دائـر على الوحـدة المطلقـة، وهي: أنـه لا شـيء سوى هذا العالم، وأن الإلـه أمـر كلي لا وجـود لـه إلا في ضـمن جزئياتـه. ثم إنـه يسعى في إبطال الدين من أصله، بما يحـل بـه عقائـد أهلـه، بـأن كـل أحـد على صراط مستقيم، وأن الوعيـد لا يقـع منـه شـيء، وعلى تقـدير وقوعـه، فالعـذاب المتوعد به إنما هو نعيم وعذوبة، ونحو ذلك!!. وإن حصل لأهله ألم، فهو لا ينـافي السعادة والرضى، كما لم ينافها ما يحصل من الآلام في الـدنيا، وهـذا يحـط عنـد من له وعلى اعتقاد: أنه لا إله أصلاً، وأنه ما ثم إلا أرحام تـدفع، وأرض تبلـع، ومـا وراء ذلك شيء.

منهاج الصوفية في الكيد بدعوتهم:

وكل ما في كلامه من غير هذا المهيع فهو تستر وتلبيس على من ينتقد عليـه، ولا يلقي زمام انقياده إليه، فإنه علم أنه إن صرح بالتعطيل ابتداء بعد كل من قبولـه فأظهر لأهل الدين أنه منهم، وقف لهم في أودية اعتقـادهم، ثم اسـتدرجهم عنـد المضائق، واستغواهم في أماكن الاشتباه، وهـو أصـنع النـاس في التلـبيس، فإنـه يذكر أحاديث صحاحاً، ويحرفها على أوجه غريبة، ومنـاح عجيبـة، فـإذا تـدرج معـه من أراد الله -والعياذ بالله- ضلاله، وصل -ولا بد- إلى مراده من الانحلال من كـل شرعة، والمباعدة لكل ملة. وخواص أهل هـذه النحلـة يتسـترون بإظهـار شـعائر الإسلام، وإقامة الصلاة والصيام، وتمويه الإلحاد بزي التنسك والتقشـف، وتزويـق الزندقة بتسميتها: بعلم التصوف، فهو ممن أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: [يحقر أحدكم صلاته مع صـلاته، وصـيامه مـع صـيامه، يقـرؤون القـرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية].

وقد أصل لهم غويهم هذا كما صـرح بـه في الفص النـوحي: أن الـدعوة إلى اللـه مكر!! ونسب ذلك إلى الأنبياء عليهم السـلام، فقـال: أدعـو إلى اللـه. فهـذا عين المنكر.. إلى آخر كلامه.

وهذا هو السر في تنسكهم. على أنهم قد استغنوا في هـذا الزمـان عن التنسـك، لانقياد أهله بغير ذلك، وقد يستدرجهم اللـه وأمثـالهم -ممن يريـد ضـلاله- بإظهـار شيء من الخوارق على أيديهم، كما يظهـره اللـه على يـد الـدجال، وأيـدي بعض الرهبان، ليتبين الموقن من المرتاب.

مثالهم في الزندقة:

وقد ضربوا -لتصحيح زندقتهم- مثالاً مكروا فيه بمن لم ترسخ قدمه في الإسـلام، ولا خالط أنفاس النبوة، حتى صار يدفع الشبه.

حاصل ذلك المثال: أنهم يصلون إلى الله بغير وساطة المبعوث بالشرع، فتم لهم المكر، وتبعهم في ذلك أكثر الرعاع، ولم يبالوا بخرق الإجماع، وذلـك المثـال: أن ملكاً أقام على بابه سيفاً، وقال لـه: من دخـل بغـير إذنـك فاقتلـه، وقـال لغـيره: أذنت لك في الدخول متى شئت، فإذا دخل الغير ، فقـد أصـاب، وعنـوا بالسـياف الشارع. فما أفـادهم مثـالهم مـع زنـدقتهم بـه شـيئاً، فـإنهم اعـترفوا فيـه بإباحـة دمائهم، وهو قصد أهل الشريعة، ومن يعتقد أن لأحد من الخلـق طريقـاً إلى اللـه من غير متابعة محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم، فهـو كـافر من أوليـاء الشـيطان بالإجماع، فإن رسالته صلى الله عليه وسلم عامة ودعوتـه شـاملة" (تنبيـه الغـبي إلى كفـر الفـارض وابن عـربي لبرهـان الـدين البقـاعي ص18-21). انتهى منـه بلفظه.

ثم شرع المؤلف رحمه الله بعد ذلك يورد كلام أئمة الـدين والعلم في بيـان كفـر هؤلاء وزندقتهم، وشـرح مـا جـاء في الفصـوص لابن عـربي وبين كفـره وزندقتـه وكذبه على الله ورسوله واستهزاءه بالأنبياء والمرسلين وادعـاءه أن كـل موجـود هو الله. وكذلك استعرض قصيدة ابن الفارض المشهورة التائية وبين ما فيهـا من كفر وزندقة وأنها والفصوص وجهان لعملـة واحـدة وصـورتان لكتـاب واحـد وهي وحدة الوجود التي ينادي بها هؤلاء الزنادقة.

وعلى كـل حـال لـو تتبعنـا كلام علمـاء المسـلمين قـديماً في شـأن التحـذير من التصوف فإنه أمر يطول شرحه.

وأما في العصر الحديث فإن التصوف على الرغم من انتشاره في غفلة من المسلمين عن علوم الكتاب والسنة، فإن الله سبحانه وتعالى قيض للمسلمين في العصر الحديث الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب الذي كان لدعوته المباركة في الجزيرة العربية الفضل في إيقاظ الأمة من سباتها العميق، واطلاعها على حقيقة التصوف الضال فانتشرت دعوة التوحيد شرقاً وغرباً، وقام الرجال المخلصون بملاحقة فلول التصوف في كل صقع من أصقاع الأرض حتى انزاحت الغمة أو كادت بفضل الله ورحمته بعد أن كان الظلام والشر قد عم الأرض كلها إلا القليل القليل من أهل الدين الحق والتوحيد. وأحب في هذا الباب من هذا الكتاب المبارك إن شاء الله تعالى أن أسوق شهادتين لرجلين مشهورين من رجال العصر الحاضر ممن أكرمهم الله بالنجاة من التصوف الخاسر إلى رحاب التوحيد والإيمان وهما الدكتور تقي الدين الهلالي شيخ التوحيد والسنة في بلاد المغرب، بل في العالم الإسلامي كله، والذي كان صوفياً (تجانياً) فأكرمه الله بدعوة التوحيد فلما رأى النور والخير كتب كتابه (الهدية الهادية إلى الطريقة التجانية). وأما الرجل الآخر الذي ننقل شهادته فهو الشيخ عبدالرحمن الوكيل رحمه الله، وكيل جماعة أنصار السنة بمصر، والذي جرّد قلمه السيال لبيان فرية التصوف الكبرى فكتب كتابه المشهور (هذه هي الصوفية).

شهادة الدكتور الشيخ تقي الدين الهلالي:

"الحمد لله الذي أرسل خاتم النبيين وإمام المرسلين، محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين بشيراً لمن آمن به، واهتدى بهديه، بالفوز المبين ونذيراً لمن كفر به وخالف سنته بالعذاب المهين، وصل اللهم على محمد وأزواجه وذرياته كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذرياته كما باركت على إبراهيم، صلاة تشمل آله ومن تمسك بسنته إلى يوم الدين.

فيقول أفقر العباد إلى الغني الكبير المتعال، محمد تقي الدين بن عبدالقادر الحسيني الهلالي غفر الله ذنبه وستر عيبه:

نشأت في بلاد سجلمانة، وحفظت القرآن وأنا ابن اثنتي عشرة سنة، ورأيت أهل بلادنا مولعين بطرائق المتصوفة لا تكاد تجد واحداً منهم لا عالماً ولا جاهلاً إلا وقد انخرط في سلك إحدى الطرق، وتعلق بشيخها تعلق الهائم الوامق، يستغيث به في الشدائد ويستنجد به في المصائب، ويلهج دائماً بشكره والثناء عليه فإن وجد نعمة شكره عليها، وإن أصابته مصيبة اتهم نفسه بالتقصير في محبة شيخه والتمسك بطريقته، ولا يخطر بباله أن شيخه يعجز عن شيء في السماوات ولا في الأرض فهو على كل شيء قدير، وسمعت الناس يقولون: من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه. وينشدون قول ابن عاشور في أرجوزته التي نظمها في عقيدة الأشعرية، وفي فروع المالكية، وفي مبادئ التصوف:

يصحب شيخاً عارف المسالك	يقيه في طريقه المهالك
يذكره الله إذا رآه	ويوصل العبد إلى مولاه

ورأيت الطرق المنتشرة في بلادنا قسمين:

1- قسم ينتمي إليه العلماء وعلية القوم.

2- وقسم ينتمي إليه السوقة وعامة الناس.

فمالت نفسي إلى القسم الأول، وسمعت أبي وهو من علماء بلدنا مـراراً يقـول: لولا أن الطريقة التجانية تمنع صاحبها من زيـارة قبـور الأوليـاء والاسـتمداد منهم وطلب الحاجات إلا قبر النبي صلى الله عليـه وسـلم والصـحابة، وإلا قـبر الشـيخ التجاني، وقبور من ينتمي إلى طريقته من الأوليـاء، قـال أبي: لـولا ذلـك لأخـذت ورد الطريقة التجانية، لأني لا أستطيع أن أتـرك زيـارة جـدنا عبـدالقادر بن هلال، وجدنا كان مشهوراً بالصلاح وله قبر يزار وهو معدود من جملة الأولياء في ناحيــة الغرفة من القسم الشرقي الجنوبي في بلاد المغرب.

والطريقة التجانية، والدرقاوية، والكتانيـة، وإن كـان أهلهـا في بلادنـا قليلاً، تؤلـف القسم الأول، فاشتاقت نفسـي إلى أخـذ ورد الطريقـة التجانيـة وأنـا قـد نـاهزت البلوغ فذهبت إلى المقدم وقلت له: يا سيدي أريد منك أن تعطيني ورد الطريقـة التجانية، ففرح كثيراً، وقال لي: تأخذ الورد على صـغر سـنك؟ قلت: نعم، فقـال: بخ بخ أفلحت ونجحت، فأعطاني الورد وهو:

ذكر لا إله إلا الله مائة مرة، والاستغفار مائة مرة، والصلاة على النبي صـلى اللـه عليه وسلم بأي صيغة مائة مرة، لكن صيغة الفاتح لمـا أغلـق هي أفضـل الصـيغ، وسيأتي إن شاء الله ذكر فضلها (الفضل المزعوم عندهم) في هذا الكتاب بعــون الله وتوفيقه، وأعطاني كذلك الوظيفة وهي أستغفر اللـه العظيم الـذي لا إلـه إلا هو الحي القيوم ثلاثين مرة، وصلاة الفاتح لما أغلق خمسين مرة، ولا إله إلا اللــه مائة مرة، وجوهره الكمال وهي: اللهم صـل وسـلم على عين الرحمـة الربانيـة.. الخ، وسيأتي ذكر ألفاظها اثنتي عشر مرة، وهذه الصلاة لا تذكر إلا بطهارة مائية، فمن كان فرضه التيمم فعليه أن يذكر بدلها صلاة الفاتح عشرين مرة، قال: وإنما اشترطت الطهارة المائية على ذاكرها لأن النبي صلى الله عليه وسـلم والخلفـاء الراشدين يحضرون مجلس كل من يذكرها ولا يزالون معه ما دام يذكرها.

ويجب ذكر الورد مرة في الصباح ومرة في المساء بطهارة تامة كما يشترط في الصـلاة، ويكـون الـذاكر جالسـاً كجلسـة التشـهد على الأفضـل مغمضـاً عينيـه مستحضراً صورة الشيخ أحمد التجاني وهو رجـل أبيض مشـرب بحمـرة ذو لحيـة بيضاء، ويتصور في قلبه أن عموداً من النـور يخـرج من قلب الشـيخ ويـدخل في قلب المريد.

أما الوظيفة فيجب أن تذكر جماعة بصوت واحد، إن كان للمريد إخوان في بلده، فإن لم يكن له إخوان تجانيون في بلاده جاز لـه أن يـذكرها وحـده مـرة في كـل يوم.

وأخبرني المقدم الشيخ عبدالكريم المنصوري ببعض فضائل هذا الورد وسـأذكرها فيما بعد إن شاء الله واسـتمررت على ذكـر الـورد والوظيفـة بـإخلاص ملتزمـاً الشروط مدة تسع سـنين، وهنـاك ذكـر آخـر يكـون يـوم الجمعـة متصـلاً بغـروب الشمس وهو: لا إله إلا الله ألـف مـرة، والأفضـل أن يكـون معـه سـماع قبلـه أو بعده، وهو إنشاد شيء من الشعر بالغناء والترنم جماعة ثم يقولون جميعـاً: اللـه حي، والمنشد ينشدهم وهم قيام حتى يخلص عند تواجـدهم إلى لفـظ آه، آه، آه، ويسمون هذه الحالـة العمـارة، وقـد تركوهـا منـذ زمـان طويـل لأن أبنـاء الشـيخ التجاني لا يسـتعملون هـذه العمـارة، وهم يـأتون من الجزائـر إلى المغـرب وقـد أشـاروا على المغاربـة أن يـتركوا العمـارة لأنهم لا يستحسـنونها، ولكن في كتب الطريقة أنها فعلت أمام الشيخ أحمد التجاني وبرضاه وإقراره.

وكنت كلما أصابتني مصيبة أستغيث بالشـيخ فلا يغيثـني، فمن ذلـك أني كنت في الجزائر مسافراً من ناحية (بركنت) بقرب حدود المغـرب إلى (المشـرية)، وكـان لي رفيق له جمل فعلقـه وأوصـاني بحراسـته وتركـني في خيمـة وقلنـا فيهـا من خيام أهل البادية، فانحل عقال الجمل وانطلق في البريـة فتبعتـه فأخـذ يسـتهزئ بي، وذلك أنه يبقى وقفاً إلى أن أكاد أضع يدي على عنقه ثم يجفـل مـرج واحـدة ويجري مسافة طويلة ثم يقف ينتظرني إلى أن أكاد أقبضه ثم يهرب مـرة أخـرى وذلـك في نحـر الظهـيرة وشـدة الحـر، فقلت في نفسـي: هـذا وقت الاسـتغاثة بالشيخ فتضرعت إليه وبالغت في الاستغاثة أن يمكنني في قبض الجمل وإناختــه فلم يستجب، فعـدت على نفسـي بـاللوم واتهمتهـا بعـدم الإخلاص والتقصـير في خدمة الطريقـة ولم أتهم الشـيخ البتـة بعجـز عن قضـاء حـاجتي، ومـع أن شـيوخ الطريقة يوصـون المريـد أن لا يطـالع شـيئاً من كتب التصـوف إلا كتب الطريقـة التجانية وقع في يدي مجلد من كتاب (الإحياء) للغزالي فطالعته فـأثر في نفسـي واجتهدت في العبادة والتزمت قيـام الليـل في شـدة الـبرد، فبينمـا أن ذات ليلـة أصلي قيام الليل أمام خيمتي الصغيرة التي كنت جالسـاً فيهـا يكـاد رأسـي يمس سقفها إذ رأيت غماماً أبيض سد الأفـق كالجبـل المرتفـع من الأرض إلى السـماء وأخذ ذلك الغمام يدنو مني آتياً من جهة الشرق -وهي قبلة المصلي في المغـرب والجزائر- حتى وقف بعيداً مني وخـرج منـه شـخص وتقـدم حـتى قـرب مـني ثم شرع يصلي بصلاتي مؤتماً بي، وثيابه تشبه ثياب جارية بنت خمس عشـرة سـنة، ولم أستطع أن أميز وجهه بسبب الظلام.

ولما شرع يصلي معي كنت أقرأ في سـورة ألم السـجدة ففـزعت وخفت خوفـاً شديداً، فخرجت منها إلى سـورة أخـرى أظنهـا سـورة سـبأ، ولم أسـتطع قـراءة القرآن مع شدة حفظي له بسبب الرعب الذي أصابني، فـتركت السـور الطـوال وأخذت أقرأ بالسور القصار التي لا تحتاج قراءاتها إلى رباطـة جـأش واستحضـار فكـر. فصـلى معي سـت ركعـات، ولم أرد أن أكلمـه، لأن كتب الطريقـة توصـي المريـد أن لا يشـتغل بشـيء ممـا يعـرض لـه في سـلوكه حـتى يصـل إلى اللـه، وتنكشف له الحجب فيشاهد العرش والفرش، ولا يبقى شيء من المغيبات خافياً عليه، ولما طال علي زمان الاضطراب دعوت الله في سـجود الركعـة السادسـة فقلت: يا رب إن كان في كلام هذا الشخص خير فاجعله هو يكلمني، وإن لم يكن في كلامه خير فاصرفه عني، فلما سلمت من التشهد بعد الركعة السادسة سـلم هو أيضاً، ولم أسمع له صوتاً ولكني رأيته التفت عند السلام إلى جهة اليمين كمـا يفعل المصلي المنفرد على مذهب المالكية، فإنه يسـلم مـرة واحـدة عن يمينـه، السلام عليكم دون أن يضيف إليهـا رحمـة اللـه وبركاتـه، وإن كـان مؤتمـاً بإمـام يسـلم ثلاث تسـليمات إن كـان بيسـاره مصـل تسـليمة عن يمينـه وهي تسـليمة التحليل وتسليمة أمامه للإمام، وتسليمة ثالثة عن شـماله للمصـلي الـذي يجلس عن شماله وقد ثبت في الحديث الذي رواه أبـو داود وصـححه الحافـظ أن النـبي صلى الله عليه وسلم كان يسلم عن يمينـه السـلام عليكم ورحمـة اللـه وبركاتـه وعن يساره السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وهذا هو الذي ينبغي لكـل مصـل أن يعتمد عليه سواء أكان إماماً أو مأموماً أو منفرداً.

وبعد السلام انصرف ومشى على مهل حتى دخـل في الغمـام الأبيض الـذي كـان قائماً في مكانه الـذي كـان ينتظـره، وبعـد دخولـه في الغمـام فـوراً أخـذ الغمـام يتقهقر إلى جهة الشرق حتى اختفى عن بصـري وكـان في قبيلـة (حميـان) شـيخ شنقيطي صالح ما رأيت مثله في الزهد والـورع ومكـارم الأخلاق وسـأذكره فيمـا

بعد، فسافرت إليه وحكيت له تلك الحادثة فقال لي: يمكن أن يكون ذلك شيطاناً لو كان ملكاً ما أصابك فزع ولا رعب، فظهر لي أن رأيه صواب.

وبعد ذلك بزمن طويل أخذت أدرس علم الحديث، فرأيت كتاب (صحيح البخاري) ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم حين جاءه جبريل وهو في غـار حـراء، فظهـر لي أن رأي ذلك الشيخ رحمه الله غـير صـحيح وبقيت المشـكلة بلا حـل إلى الآن وكنت حينئذ مشركاً أستغيث بغير الله وأخاف غير الله. ومن هـذا تعلم أن ظهـور الخوارق وما في عالم الغيب ليس دليلاً على صلاح ما ظهرت له تلك الخوارق ولا على ولايته لله البتة فإن كل مرتاض رياضـة روحيـة تظهـر لـه الخـوارق على أي دين كان وقد سـمعنا وقرأنـا أن العبـاد الوثنـيين من أهـل الهنـد تقـع لهم خـوارق عظام.

وبعد ذلك بأيام رأيت في المنـام رجلاً نبهـني وأشـار إلى الأفـق فقـال لي: انظـر فرأيت ثلاثة رجال فقال لي إن الأوسط منهم هـو النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم فذهبت إليه فلما وصلت إليه انصرف الرجلان اللذان كانا معه فأخذت يــده وقلت يا رسول الله خذ بيدي إلى الله فقال لي اقرأ العلم ففكرت وعلمت أني في بلاد الجزائر وكان الفرنسـيون مسـؤولين عليهـا وكـان فقهـاء بلـدنا يكفـرون كـل من سافر إلى الجزائر وإذا رجع من سفره يأمرونه بالاغتسـال والـدخول في الإسـلام من جديد ويعقدون له عقداً جديداً على زوجته فقلت في نفسي هـذا مـع رسـول الله صلى الله عليه وسلم يـأمرني بطلب العلم، وأنـا في بلاد يحكمهـا النصـارى، فإما أن أكون عاصياً أو كافراً فكيف يجوز لي أن أطلب فيها العلم. هذا كلـه وقـع في لحظة وأنا لا أزال واقفـاً أمـام النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم فقلت في بلاد المسلمين أم في بلاد النصارى، فقال لي البلاد كلها لله، فقلت يا رسول الله ادع الله أن يختم لي بالإيمان فرفع اصبعه السبابة إلى السماء وقال لي عند الله.

وبعدما خرجت من الطريقة التجانية على أثر المناظرة الـتي سـأذكرها فيمـا بعـد إن شاء الله بزمان رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مرة أخرى في المنــام على صورة تخالف الصورة الـتي رأيتـه عليهـا في المـرة المـذكورة، ففي الأولى كـان طويلاً أبيض نحيفاً مشرباً بحمرة، لحيته بيضاء، أما في هذه المرة فكان ربعـة من الرجال إلى الطول أقرب ولم يكن نحيفاً، ولحيته سوداء، وبيـاض وجهـه وحمرتـه أقرب إلى ألوان العرب من المرة الأولى، وكـانت رؤيـتي لـه في فلاة من الأرض وكنت بعدما خرجت من الطريقة التجانية توسـوس نفسـي أحيانـاً بمـا في كتـاب جواهر المعاني مما ينسـب إلى الشـيخ التجـاني أنـه قـال: (من تـرك ورده وأخـذ وردنا وتمسك بطريقتنا هذه الأحمدية المحمديـة الإبراهيميـة الحنفيـة التجانيـة فلا خـوف عليـه من اللـه ولا من رسـوله ولا من شـيخه أيـاً كـان من الأحيـاء أو من الأموات أما من أخذ وردنا وتركه فإنه يحل بـه البلاء وأخـرى ولا يمـوت إلا كـافراً قطعاً وبذلك أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظـة ومنامـاً) وقـال لي سيد الوجـود صـلى اللـه عليـه وسـلم فقـراؤك فقـرائي وتلاميـذك تلاميـذي وأنـا مربيهم. وسـيأتي من هـذه الأخبـار وأمثالهـا إن شـاء اللـه كثـير في ذكـر فضـائل الأوراد والأصـحاب فكنت أدفــع هـذا الوسـواس بأدلـة الكتـاب والسـنة، وأرجم شيطانه بأحجارها فيخنس ثم يخسأ ويدبر فاراً منهزماً فلما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المرة خطر ببالي ذلك فعزمت على أن أبدأ الكلام مع النـبي صلى الله عليه وسلم بأن أسـأله أن يـدعو اللـه لي أن يختم لي بالإيمـان، وأظن القـارئ لم ينس أني سـألته في المـرة الأولى فلم يـدع لي ولكنـه رفـع إصـبعه السبابة إلى السماء وقال عند الله، فقلت يـا رسـول اللـه، ادع اللـه أن يختم لي بالإيمان، فقال لي ادع أنت وأنا أؤمن على دعائك، فرفعت يدي وقلت اللهم اختم

لي بالإيمان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين وكان رافعاً يديه فـزال عـني ذلك الوسواس ولكني لم آمن مكر الله تعالى فإنـه لا يـأمن مكـر اللـه إلا القـوم الخاسرون، والرؤيا تبشر ولا تغر، وبين هذه الرؤيا التي دعا لي فيهـا رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم أن يختم الله لي بالإيمان بتأمينه على دعائي والرؤيـا الـتي قدمت ذكرها ولم يدع لي فيهـا، عشـرون سـنة، وتـأولت اختلاف الصـورة وعـدم الدعاء في الرؤيا الأولى والدعاء في الرؤيا الثانية بما كنت عليـه من الشـرك في العبادة وبما صرت إليه من توحيد الله تعالى واتباع سـنة رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم والله أعلم.

سبب خروجي من الطريقة التجانية:

لقد كنت في غمرة عظيمة، وضلال مبين، وكنت أرى خروجي من الطريقة التجانية كالخروج من الإسلام. ولم يكن يخطر لي ببال أن أتزحزح عنها قيد شعرة، وكان الشيخ عبدالحي الكتاني عدواً للطريقة التجانية لأنه كان شيخاً رسمياً للطريقة الكتانية، وإنما قلت رسمياً لأن أهل (سلا) أعني الكتانيين أنصار الشيخ محمد بن عبدالكبير الكتاني، مؤسس الطريقة الكتانية، لا يعترفون به أي بالشيخ عبد الحي ويقولون إن الاستعمار الفرنسي هو الذي فرضه على الكتانيين فرضاً، والذي حدثني بذلك هو العالم الأديب النبيل الشيخ عبدالله بن سعيد السلوي فإنه كان حامل لواء نصرة الشيخ محمد بن عبدالكبير الكتاني، وكان يعادي أخاه عبدالحي عداوة شديدة ويرميه بالعظائم والكبائر التي لا يسوغ ذكرها هنا والاستطراد بذكر أسباب العداوة بين الشيخين الكتانيين الأخوين يخرج بنا عن الموضوع، أقول مر بنا الشيخ عبد الحي في (وجدة) وأنا عند العالم الأديب الشاعر المتفنن في علوم كثيرة الشيخ أحمد سكيرج، قاضي القضاة بناحية (وجدة)، معلماً لولده الأديب السيد عبدالكريم وابن أخيه السيد عبدالسلام، كنت أعلمهما الأدب العربي بدعوة من الشيخ أحمد سكيرج، فمدحت عبدالحي بقصيدة ضاعت مني ولا أذكر شيئاً منها، ولكنه أعجب بها أيما إعجاب، حتى قال لي عاهدني أنك إذا قدمت (فاساً) تنزل عندي ضيفاً فعاهدته على ذلك. ففي ربيع الأول من سنة أربعين من هذا القرن الهجري سافرت إلى فاس ونزلت عنده. وولد له في تلك الأيام سماه عبدالأحد فالتمس مني نظم أبيات في التهنئة وتاريخ مولده فنظمتها ولا أذكر منها شيئاً، وفي اليوم السابع من مولده عمل مأدبة عظيمة دعا لها خلقاً كثيراً وبعد ما أكلوا وشربوا قاموا (للعمارة) (ذكر بالرقص والتمايل) التي تقدم ذكرها ودعوني أشاركهم في باطلهم فامتنعت لأن من شروط التجاني المخلص أن لا يذكر مع طريقة أخرى ذكرهم وأن لا يرقص معهم. وفي كتاب البغية للشيخ العربي ابن السايح وهو شرح المنية للتجاني ابن بابا الشنقيطي حكاية في وعيد شديد لمن يشارك أصحاب الطرائق الأخرى في أورادهم وأذكارهم وحاصلها أن شخصاً تجانياً ذهب إلى زاوية طريقة أخرى لغرض دنيوي فاستحى أن يبقى منفرداً عنه وهم يذكرون وظيفتهم فشاركهم في الذكر فلما فتح فاه ليذكر معهم أصابه الشلل في فكيه فبقي فاه مفغوراً ولم يستطع سده حتى مات. ولكن الجماعة ألحوا علي وجروني جراً حتى أوقفوني في حلقتهم فرأيت أفواهاً مفغورة من وجوه بعضها فيه لحية سوداء، وبعضها فيه لحيةخطها الشيب، وبعضها أمرد ليس له لحية من الغلمان الذين لم يلتحوا بعد، أما حلق اللحى فلم يكن موجوداً في ذلك الزمن إلا عند الفرنسيين المستعمرين وقليل جداً من حواشيهم وسمعت أصواتاً تنبعث من تلك الأفواه ليس لها معنى في أي لغة بعضها آآآ وبعضها آه آه آه، وبعضها أحن أح أح فاستنكرت تلك الهيئة وقلت في نفسي إن الله لا يرضى بهذه الحالة أن تكون عبادة له لبشاعتها ثم ندمت على ذلك ندامة الكسعي أو الفرزدق حين طلق نوار فقال:

ندمت ندامة الكسعي لما عدت مني مطلقة نوار

وكانت جنتي فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار

وقلت في نفسي كيف يسوغ لي أن أنكر شيئاً حضر مثله خاتم الأولياء القطب سيدي أحمد التجاني فتبت من ذلك الخاطر ولكن جاءني امتحان آخر وذلك أن الشيخ عبد الحي الكتاني قال لي منتقداً: إن الطريقة التجانية مبنية على شفا جرف، وأنه لا ينبغي لعاقل أن يتمسك بها فقلت له: (والطريقة الكتانية التي أنت

شيخها)؟ فقال لي كل الطرائق باطلة، وإنما هي صناعة للاحتيال على أكل أموال الناس بالباطل وتسخيرهم واستعبادهم، فقلت إذن أنت تستحل أموال الناس بالباطل وتسخرهم وتستعبدهم، قال: أنا لم أؤسس الطريقة وإنما أسسها غيري، وهذه الأموال التي آخذها منهم أنفقتها في مصالح لا ينفقونها هم فيها. ثم قلت له: ومن الذي حملك على الطعن في الطرائق وما دليلك على بطلانها؟ قال لي: ادعاء كل من الشيخين أن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر بذاته وظيفة أصحابه حين يذكرونها وهذه قلة حياء منهما، وعدم تعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم كيف تكلفونه أن يخرج من قبره ويقطع هذه المسافات من البر والبحر ليجلس أمامكم فأنتم تبسطون له ثوباً أبيض ليجلس عليه وأصحابنا يقومون ويذهبون إلى الباب ليتلقوه، فقلت: إذاً أنت لا تعتقد صحة طريقك؟ فقال: لا أعتقدها أبداً وقد أخبرتك أنها صناعة لأكل أموال الناس بالباطل. وأزيدك على ذلك اعتماد طريقتكم على كتاب (جواهر المعاني) الذي تزعمون أن شيخكم أحمد التجاني أملاه على علي حرازم نصفه مسروق، فأحد المجلدين وهو الأول مسروق بالحرف وهو تأليف لمحمد عبدالله المدفون بكذا وكذا بفاس، وسمى ناحية نسيتها الآن، قال وأنا قابلت الكتابين من أولهما إلى آخرهما فوجدت المجلد الأول من (جواهر المعاني) مسروقاً كله من كلام الشيخ المذكور ففارقته. وبعد أيام كنت جالساً عند الشيخ عمر بن الخياط بائع الكتب بقرب القرويين فقال لي: هل اجتمعت بالأستاذ الشيخ محمد بن العربي العلوي، فقلت :لا، فقال لي: هذا الرجل من أفضل علماء فاس وعنده خزانة كتب لا يوجد مثلها في فاس وأثنى عليه بالعلم والأدب فقلت له أنا لا أجالس هذا الرجل ولا أجتمع به لأنه يبغض الشيخ أحمد التجاني ويطعن في طريقته فقال لي: إن طالب العلم يجب أن يتسع فكره وخلقه لمجالسة جميع الناس وبذلك يتسع علمه وأدبه ولا يجب عليه أن يقلدهم في كل ما يدعون، يأخذ ما صفا ويدع ما كدر، وإن لم تجتمع بهذا الرجل يفوتك علم وأدب كثير فذهبت إليه لأجتمع به، وكان قاضياً في محكمة فاس الجديدة فنظمت أربعة أبيات لا أحفظ منها إلا شطر البيت الرابع وهو (وهذا مدى قصدي وما أنا مستجد).. أعني أن غرضي بالاجتماع بك المذاكرة العلمية فهي غاية قصدي وإن اعتبرنا ما موصولة يكون المعنى والذي أستجديه أي أطلبه وإن اعتبرناها نافية تميمية يكون المعنى ولست مستجدياً أي طالباً مالاً، فلما خرج من المحكمة وأراد أن يركب بغلته التي كانت على باب المحكمة ولجامها بيد خادمه تقدمت إليه وأعطيته الصحيفة التي فيها الأبيات فلما قرأها رحب بي، وقال لطالب كان يرافقني وهو الحاج محمد بن الشيخ الأراري: أنت تعرف بيتنا، فقال: نعم، قال: فأتى به على الساعة التاسعة صباحاً، فخرجت مع الرفيق المذكور من مدرسة الشراطين، وكان يسكن فيها على الساعة الثامنة والنصف، لنصل إلى الشيخ على الساعة التاسعة، وكان ذلك اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، وهو عيد عند المغاربة وكثير من البلدان الإسلامية وفي المغرب طائفة يسمون (العيساويين) أتباع الشيخ بن عيسى المكناسي، وهؤلاء لهم موسم في كل سنة يجتمعون فيه في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول ويأتون من جميع أنحاء المغرب، فيضربون طبولهم ومزاميرهم، ويترنمون بأناشيدهم إلى أن يظهر للناس أنهم أصيبوا بالجنون وحينئذ يفترسون الغنم والدجاج بدون زكاة بل يقطعونه بأظافرهم ويأكلون لحمه نيئاً والدم يسيل منه وقد ملأوا أزقة فاس وهي ضيقة في ذلك الزمن، وحتى في هذا الزمن، فلم نستطع أن نصل إلى بيت الشيخ إلا بعد مضي ساعتين ونصف من شدة الزحام فلما وصلنا وأخبرنا بوابه ذهب ثم رجع إلينا وقال: إنكما لم تجيئا في الموعد المضروب والشيخ مشغول عنده حكام

فرنسيون فارجعا إليه بعد صلاة العصر فرجعنا وقلت لصاحبي: لا نرجع إليـه فقـد كفانا الله شر لقائه لأنه مبغض لشيخنا وطريقته فالخير في ما اختاره الله تعالى. فقال لي ليس الشيخ بملوم وقد اعتذر بعذر قائم والصواب أن نرجع إليه، فرجعنا إليه بعد العصر، ووجدت عنده من الترحيب والبشاشة والإكـرام والتواضـع مـا لم أجده عند الشيخ الكتاني ولا عند أحد من علماء فاس.

وأخذنا في أحاديث أدبية وكان يقوم ويأتي بالكتب ويضـعها أمـامي. ووجدتـه كمـا قال السيد عمر بن الخياط. ولما كادت الشـمس تغـرب اسـتأذنته في الانصـراف فقال لي: أين تـذهب، أنت غـريب في هـذا البلـد وهـذا المكـان معـد للضـيوف لا نحتاج إليه فامكث، وبت هنا؛ وقبلت دعوته، وبعد أن صلينا المغرب جاء أصــحابه، أذكر منهم الشيخ عبدالسلام الصرغيني، والشيخ المهدي العلوي، وهو لا يزال في قيد الحياة؛ أما الأول فقد مات فأخذ بعضهم يلعب الشطرنج وهو يراهم ولا ينكــر عليهم فقلت في نفسي هذا دليل على أنه من العلمـاء الـذين لا يعملـون بعلمهم فهـو جـدير أن ينكـر على أوليـاء اللـه مـا خصـهم اللـه بـه من كرامـة. ثم تركـوا الشطرنج وأخذوا ينتقدون الطريق الكتانية ويستهزئون بهـا ويسـخرون من أهلهـا وكـل منهم يحكي حكايـة. فقـال الشـيخ عنـدي حكايـة هي أعجب وأغـرب ممـا عندكم؛ جاءني شاب كان متمسكاً بالطريقة الكتانية تمسـكاً عظيمـاً فقـال لي: أريد أن أتوب على يدك من الطرائـق كلهـا وتعلمـني التمسـك بالكتـاب والسـنة، فقلت له: وما الذي دعاك إلى الخروج من طريقتك التي كنت مغتبطاً بهـا. فقـال لي: إنه أمس شـرب الخمـر وزنـا وتـرك صـلاة العصـر والمغـرب والعشـاء فمـر بالزاوية الكتانية وسمع المريـدين يرقصـون ويصـيحون بأصـوات عاليـة والمنشـد ينشـدهم، وكـانت بقيـة سـكر لا تـزال مسـيطرة عليـه، فهم أن يـدخل الزاويـة، ويرقص معهم، ولكنه أحجم عن ذلك لأنه جنب ولم يصل شـيئاً من الصـلوات في ذلك النهار، إلا أن سكره غلب على عقله فدخل الزاويـة ووجـد الشـيخ محمـد بن عبـدالكبير في صـدر الحلقـة، والمريـدون يرقصـون فاشـتغل معهم في الـرقص، وكان أنشطهم فلما فرغوا من رقصهم دعاه الشيخ وقبلـه في فمـه وقـال (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قبلـك فاقتـديت بـه)! قـال ولمـا دعـاني خفت خوفـاً شديداً وظننت أنه انكشف له حالي وهو يريد أن يوبخـني على ذنـوبي فلمـا قـال لي أيقنت أنه كاذب في كل ما يدعيـه ويـدعو إليـه وإلا كيـف يرضـى عـني النـبي صلى الله عليه وسلم ويقبلني في فمي مع تلـك الكبـائر الـتي ارتكبتهـا في ذلـك اليوم. قال: فهـذا سـبب مجيـئي إليـك لأتـوب إلى اللـه من الطرائـق كلهـا وأتبـع طريقة الكتاب والسنة.

ولما رأيتهم أنا يعيبـون الطريقـة الكتانيـة ويسـتهزئون بهـا أصـابني خـوف شـديد وندمت على زيارتي للشيخ فقلت لنفسي هذا الذي كنت أخافـه وقـد وقعت فيـه فكيف الخلاص؟

وذكرت قول التجاني ابن بابا في منيته:

ومن يجالس مبغض الشيخ هلك	وضل في مهامة وفي حلك
وشدد النهى لنا الرسول	في ذاك فلتعمل بما أقول
والشيخ قال هو سم يسري	يحل من فعله في خسر

ومعنى ذلك أن الشيخ أحمد التجاني قال قـال لي سـيد الوجـود صـلى اللـه عليـه وسلم يقظة لا مناماً قل لأصـحابك لا يجالسـوا المبغضـين لـك فـإن ذلـك يؤذيـني فصـممت على أن أخـرج من ذلـك المجلس. فقمت فقـال لي الشـيخ إلى أين؟

فقلت: إلى بيت الخلاء، كذبت عليه، فلما وصلت إلى الباب منعني البواب من الخروج، وقال لي: وهل أذن لك الشيخ في الخروج، فقلت: نعم، فقال لي: هذا محال لأنك غريب والقانون الفرنسي يقضي بأن التجول بعد الساعة العاشرة ليلاً فيه خطر، فإنك لا تمشي خطوات حتى يقبضوا عليك وتؤخذ إلى السجن، وتبقى فيه إلى ضحى الغد وحينئذ ينظر في إطلاق سراحك. وقال لي: أنا لا أفتح لك الباب إلا إذا سمعت الإذن من الشيخ، فقلت له: إذا أرجع. ورجعت وجلست في مكاني، ولم تخفى حالي عن الشيخ فقال لي أراك منقبضاً؛ فما سبب انقباضك؟ فقلت سببه أنكم انتقلت من الطعن في الطريقة الكتانية إلى الطريقة التجانية، وأنا تجاني لا يجوز لي أن أجلس في مجلس أسمع فيه طعن في شيخي وطريقته. فقال لي: لا بأس عليك، أنا أيضاً كنت تجانياً وخرجت من الطريقة التجانية لما ظهر لي بطلانها، فإن كنت تريد أن تتمسك بهذه الطريقة على جهل وتقليد فلك علي ألا تسمع بعد الآن في مجلس انتقاداً لها أو طعناً فيها. وإن كنت تريد أن تسلك مسلك أهل العلم فهلم إلى المناظرة، فإن ظهرت علي رجعت إلى الطريقة، وإن ظهرت عليك خرجت منها كما فعلت أنا. فأخذتني النخوة ولم أرض أن أعترف أني أتمسك بها على جهل فقلت قبلت المناظرة.

مناظرة حول ادعاء الشيخ التجاني في أنه رأى النبي في اليقظة:

قال الشيخ أريد أن أناظرك في مسألة واحدة إن ثبتت ثبتت الطريقة كلها، وإن بطلت بطلت الطريقة كلها، قلت ما هي؟ قال: ادعاء التجاني أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناماً، وأعطاه هذه الطريقة بما فيها من الفضائل فإن ثبتت رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم يقظة وأخذه منه الطريقة فأنت على حق وأنا على باطل والرجوع إلى الحق، وإن بطل ادعاؤه فأنا على حق وأنت على باطل فيجب عليك أن تترك وتتمسك بالحق. ثم قال: تبدأ أنت أو أبدأ أنا؟ فقلت: ابدأ أنت، فقال: عندي أدلة كل واحد منها كاف في إبطال دعوى التجاني. قلت: هات ما عندك وعلي الجواب، فقال:

الأول: إن أول خلاف وقع بين الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كان بسبب الخلافة؛ قالت الأنصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير، وقال المهاجرون: إن العرب لا تذعن إلا لهذا الحي من قريش. ووقع نزاع شديد بين الفريقين حتى شغلهم عن دفن النبي صلى الله عليه وسلم فبقي ثلاثة أيام بلا دفن صلاة الله وسلامه عليه فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصل النزاع بينهم ويقول الخليفة فلان فينهي النزاع؟ كيف يترك هذا الأمر العظيم لو كان يكلم أحداً يقظة بعد موته لكلم أصحابه وأصبح بينهم، وذلك أهم من ظهوره للشيخ التجاني ألف ومائتي سنة، ولماذا ظهر؟ ليقول له أنت من الآمنين، ومن أحبك من الآمنين، ومن أخذ وردك يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب هو ووالده وأزواجه لا الحفدة، فكيف يترك النبي صلى الله عليه وسلم الظهور يقظة والكلام لأفضل الناس بعده في أهم الأمور ويظهر لرجل لا يساويهم في الفضل ولا يقاربهم لأمر غير مهم فقلت له:

إن الشيخ رضي الله عنه قد أجاب عن هذا الاعتراض في حياته فقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلقى الخاص للخاص والعام للعام في حياته، أما بعد وفاته فقد انقطع إلقاء العام للعام وبقي إلقاء الخاص للخاص لم ينقطع بوفاته وهذا الذي ألقاه إلى شيخنا من إعطاء الورد والفضائل هو من الخاص للخاص. فقال أنا لا أسلم في أن الشريعة خاصاً وعاماً لأن أحكام الشرع خمسة وهذا الورد وفضائله إن كان من الدين فلا بد أن يدخل في الأحكام الخمسة لأنه عمل

أعد الله لعامله ثواباً؛ فهو إما واجب أو مستحب ولم ينتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى حتى بين لأمته جميع الواجبات والمستحبات. وفي صحيح البخاري عن علي بن أبي طالب أنه قيل له هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم معشر أهل البيت بشيء فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما خصنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء إلا فهماً يعطاه الرجل في كتاب الله، وإلا ما في هذه الصحيفة ففتحوها فإذا فيها العقل وفكاك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر فكيف لا يخص النبي صلى الله عليه وسلم أهل بيته وخلفاءه بشيء ثم يخص رجلاً في آخر الزمان بما يتنافى مع أحكام الكتاب والسنة. فقلت: إن الشيخ عالم بالكتاب والسنة وفي جوابه مقنع لمن أراد أن يقنع. قال احفظ هذا.

الثاني: اختلاف أبي بكر مع فاطمة الزهراء رضي الله عنهما على الميراث فلا يخفى أن فاطمة طلبت من أبي بكر الصديق رضي الله عنه حقها من ميراث أبيها واحتجت عليه بأن إذا مات هو يرثه أبناؤه، فلماذا يمنعها من ميراث أبيها، فأجابها أبو بكر الصديق بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة. وقد حضر ذلك جماعة من الصحابة فبقيت فاطمة الزهراء مغاضبة لأبي بكر حتى ماتت بعد ستة أشهر بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم. فهذا حبيبان لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه قال: فاطمة بضعة مني يسؤني ما ساءها، أو كما قال عليه الصلاة والسلام وصرح بأن أبا بكر الصديق أحب الناس إليه، وقال ما أحد أمنّ علي في نفس ولا مال من أبي بكر الصديق رواه البخاري. وهذه المغاضبة التي وقعت بين أبي بكر وفاطمة، تسوء النبي صلى الله عليه وسلم، فلو كان يظهر لأحد بعد وفاته لغرض من الأغراض لظهر لأبي بكر الصديق وقال له: إني رجعت عما قلته في حياتي فأعطها حقها من الميراث، أو لظهر لفاطمة وقال لها يا ابنتي لا تغضبي على أبي بكر فإنه لم يفعل إلا ما أمرته به فقلت له ليس عندي من الجواب إلا ما سمعت قال احفظ هذا.

الثالث: الذي وقع بين طلحة والزبير وعائشة من جهة، وعلي بين أبي طالب من جهة أخرى واشتد النزاع بينهما حتى وقعت حرب الجمل، في البصرة فقتل فيها خلق كثير من الصحابة والتابعين وعقر جمل عائشة فكيف يهون على النبي صلى الله عليه وسلم سفك هذه الدماء ووقوع هذا الشر بين المسلمين بل بين أخص الناس به، وهو يستطيع أن يحقن هذه الدماء بكلمة واحدة، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى في آخر سورة التوبة برأفته ورحمته بالمؤمنين وأنه يشق عليه كل ما يصيبهم من العنت، وذلك في قوله تعالى: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم} فقلت له ليس عندي من الجواب إلا ما سمعت وظهوره وكلامه للشيخ التجاني فضل من الله، والله يؤتي فضله من يشاء. قال احفظ هذا وفكر فيه.

الرابع: خلاف علي مع الخوارج وقد سفكت فيه دماء كثيرة، ولو ظهر النبي صلى الله عليه وسلم لرئيس الخوارج وأمره بطاعة إمامه لحقنت تلك الدماء، فقلت الجواب هو ما سمعت، فقال لي: احفظ هذا وفكر فيه، فإني أرجو أنك بعد التفكير ترجع إلى الحق.

الخامس: النزاع الذي وقع بين معاوية وعلي، وقد قتل في الحرب التي وقعت بينهما خلق كثير، منهم عمار بن ياسر، فكيف يترك النبي صلى الله عليه وسلم الظهور لأفضل الناس بعده وفي ظهوره هذه المصالح المهمة من جمع كلمة المسلمين وإصلاح ذات بينهم وحقن دمائهم، وهو خير المصلحين بقوله تعالى:

{وأصـلحوا ذات بينكم} وقولـه تعـالى: {إنمـا المؤمنـون إخـوة فأصـلحوا بين أخويكم} ثم يظهـر للشـيخ التجـاني في آخـر الزمـان لغـرض غـير مهم وهـو في نفسه غير معقول لأنه مضاد لنصوص الكتاب والسنة.

فلم يجد عندي جواباً غير ما تقدم ولكني لم أسلم له فقـال فكـر في هـذه الأدلـة وسنتباحث في المجلس الآخر، فعقدنا بعد هذا المجلس سبعة مجـالس كـل منهـا كان يستمر من بعد صلاة المغرب إلى ما بعد العشاء بكثـير. وحينئـذ أيقنت أنـني كنت ضلال، ولكن أردت أن أزداد يقينـاً فقلت لـه (من معـك من العلمـاء هنـا في المغرب على هـذه العقيـدة وهي أن مسـألة في العقائـد أو في الفـروع يجب أن نعرضها مع قصر باعنا وقلة اطلاعنا على كتاب الله وسنة رسول الله صـلى اللـه عليه وسلم فما ظهر لنا أنه موافق لهما قبلناه وما ظهر لنـا أنـه مخـالف رددنـاه) فقال لي يوافقني على هذا أكبر مقدم للطريقـة التجانيـة في المغـرب كلـه وهـو الشيخ الفاطمي الشرادي، فكدت أكذبه لأن المشـهور في جميـع أنحـاء المغـرب أن هذا الرجل من كبار العلماء، وهو أكبر مقدم للطريقة التجانية، ولم أقـل أكـبر شيخ لأن الشيخ التجاني لا يبيح أن يكون شيخاً للطريقة سواه، لأن تلقيبه بالشيخ قد يفهم منه أنه يجوز لغيره أن يتصـرف في أوراد الطريقـة وفضـائلها وعقائـدها وذلك ممنوع لأن الذي أعطى هذه الطريقة هو النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناماً كما تقدم والمتلقي الأول لها هو الشيخ أحمد التجاني والنـبي صـلى اللـه عليه وسلم سـماه شـيخاً لهـذه الطريقـة، وكـل ناشـر للطريقـة وملقن لأورادهـا يسمى مقدماً فقط فالطريقة لها مصدر واحد وشيخ واحد ولا يجوز تعدد المصـدر ولا تعدد الشيخ حسبما في كتب الطريقة.

مع الشيخ الفاطمي الشرادي:

فتوجهت إلى الشيخ الفاطمي رحمه الله وكان الوقت ضحى وقد أوصاني شـيخنا محمد بن العربي ألا أسأله إلا في خلوة فوجدت عنـده جماعـة فانصـرف بعضـهم وجاء آخرون وبقيت عنده أنتظر أن أخلو به حتى صـلينا الظهـر وجـاء الغـداء فلم أستطع أن أخلـو بـه وكـان ثلاثـة ممن كـانوا في مجلسـه حاضـرين فقلت لـه إن الشيخ محمد بن العربي العلوي يقول يجب علينا أن نعرض جميع المسائل أصولاً وفروعاً على كتاب الله وسنة رسـوله فمـا وافـق في نظرنـا القاصـر قبلنـاه ومـا خالف رددنا ولو قال به الإمـام مالـك أو الشـيخ أحمـد التجـاني، فأشـار إلي بيـده يستمهلني، وكان جلوسي عنده قد طال فانصرفت إلى مدرسة الشـراطين حيث كنت نازلاً قبل لقائي بالشيخ العلوي، وفي ذلك اليـوم بعـد صـلاة العشـاء جـاءني بواب المدرسة وقال لي إن الشيخ الفاطمي الشرادي أرسل إليـك عبـده وبغلتـه يطلب أن تـزوره فتعجبت كثـيراً لأمـرين، أحـدهما أن الـوقت ليس وقت زيـارة، وثانيهما أنه لم تجر العادة أن كبـار العلمـاء الطـاعنين في السـن، يبعثـون الدابـة للركوب إلا لمن هو مثلهم في السن والعلم وأنا شاب فركبت البغلة وسـار العبـد أمامي حتى وصلت إليه وسلمت عليه فرد أحسن رد ورحب بي وقال لي يا ولدي أنا رجل كبير طاعن في السن ليس لي قدرة على القتال، أمـا سـيدي محمـد بن العربي العلوي فهو شاب مستعد للقتـال وأنت سـألتني أمـام النـاس عن مسـألة مهمة لا يسعني أن أكتم جوابها، ولا أستطيع أن أصرح به أمام النـاس، فـأعلم أن ما قال لك سيدي محمد بن العربي العلوي هو الحق الذي لا شك فيه، وقد أخذت الطريقة القادرية وبقيت فيها زماناً، ثم أخذت الطريقة الوزانية وبقيت فيها زماناً، ثم أخذت الطريقة التجانية والتزمتها حتى صـرت مقـدماً فيهـا فلم أجـد في هـذه الطرائق فائدة، وتركتها كلها ولم يبق عندي من التصوف إلا طلب الشيخ المـربي على الكتاب والسنة علماً وعملاً، ولـو وجدتـه لصـاحبته وصـرت تلميـذاً لـه، وأنت

تريـد أن تسـافر إلى الشـرق فـإن ظفـرت بشـيخ مـرب متخلـق بـأخلاق الكتـاب والسنة علماً وعملاً فاكتب إلي وأخبرني به حتى أشد الرحال إليـه فـازددت يقينـاً بالنتيجة التي وصلت إليها في مناظرتي مع الشـيخ العلـوي. ولـو كـان عنـدي من العلم مثل ما عندي الآن لقلت له إن ضالتك المنشـودة هي أقـرب إليـك من كـل قريب فإن هذا الشيخ الذي تطلبه وتريد أن تشـد الرحـال إليـه ولـو بعـدت الـدار وشط المزار هو أنت نفسـك. بشـرط أن يكـون عنـدك العـزم التـام على العمـل بالكتاب والسنة وطرح التقليد جانباً كيفما كان الأمر فجزاهم الله خيراً وتغمـدهما برحمته.

مع الشيخ عبدالعزيز بن إدريس:

وبعـد ذلـك بعشـرين سـنة اجتمعت مـع الشـيخ عبـدالعزيز بن إدريس من علمـاء تطوان وهو أحد تلامذة الشيخ الفاطمي فذكرت له الحكاية السالفة فقال لي وأنا أيضاً وقع لي ما يشبه هذا فإني بعد إتمام دراستي في جامع القرويين ذهبت إليـه وهو أفضل شيوخي فقلت له أيها الشيخ أريد أن أرجـع إلى وطـني تطـوان فأريـد أن تزودني بدعائك الصالح وأن تلقنني ورد الطريقة التجانية، فقال لي يـا أسـفي عليك، أنت تحفظ كتاب الله وقد درست العلوم الإلهية التي تمكنك من فهم كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يكفك ذلـك كلـه حـتى تطلب الهـدى في غيره، والطريقة لا شيء فعليك بكتاب الله وسنة رسوله صلى اللـه عليـه وسـلم فكشف الله عني بفضله ظلام الشـرك والبدعـة، وفتح لي بـاب التوحيـد والاتبـاع فله الحمد والمنة نسأله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخـرة إنـه الهادي إلى الصراط المستقيم (الهدية الهادية من ص7-21) انتهى منه بلفظه.

شهادة الشيخ عبدالرحمن الوكيل:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، والصلاة والسلام على عبدالله ورسوله محمد خاتم النبيين وسيد ولد آدم أجمعين، وبعد: فإنه كانت لي بالتصوف صلة هي صلة العبر بالمأساة، فهنالك -حيث يدرج بي الصبا في مدارجه السحرية، وتستقبل النفس كل صروف الأقدار بالفرحة الطرب، وتستثني الروح ربا الجمال والحب من كل معاني الحياة- هنالك تحت شفوف الأسحار الوردية من ليالي القرية الوادعة الحالمة، وفي هيكل عبق بغيوم البخار، جثم على صدره صنم صغير يعبده كثير من شيوخ القرية، هنالك في مطاف هذه الذكريات الولهى: كان يجلس الصبي بين شيوخ تغضضت منهم الجباه، وتهدلت الجفون، ومشى الهرم في أيديهم خفقات حزينة راعشة، وفي أجسادهم الهضمية تحولاً ذابلاً، يتراءون تحت وصوصة السراج الخافت أوهام ضيعته الخيبة، وبقايا آمال عصف بها اليأس.

وتتهدج ترانيم الشيوخ تحت السحر -نواحاً بينها صوت الصبي- بالتراتيل الوثنية، وما زال الصبي يذكر أن صلوات ابن بشيش، ومنظومة الدردير كانتا أحب التراتيل إلى أولئك الشيوخ، وما زال يذكر أن أصوات الشيوخ كانت تشرق بالدموع، وتئن فيها الآهات حين كانوا ينطقون من الأولى: "اللهم انشلني من أوحال التوحيد!!" ومن الثانية "وجدلي بجمع الجمع منك تفضلاً" يا للصبي الغرير التعس المسكين!! فما كان يدري أنه بهذه الصلوات المجوسية يطلب أن يكون هو الله هوية وماهية وذاتاً وصفة!! ما كان يدري ما التوحيد الذي يضرع إلى الله أن ينشله من أوحاله!! ولا ما جمع الجمع الذي يبتهل إلى الله أن يمن به عليه.

ويشب الصبي، فيذهب إلى طنطا ليتعلم، وليتفقه في الدين. وثمة يسمع الكبار من شيوخه يقسمون له، ولصحابه: أن "البدوي" قطب الأقطاب، يصرف من شئون الكون، ويدبر من أقداره وغيوبه الخفية!! ويجرؤ الشاب مرة فيسأل خائفاً مرتعداً: وماذا يفعل الله؟! ويهدر الشيخ غضباً، ويزمجر حنقاً، فيلوذ الشاب بالرعب الصامت، وقد استشعر من سؤاله، وغضب الشيخ، أنه لطخ لسانه بجريمة لم تكتب لها مغفرة!! ولم لا؟ والشيخ هذا كبير جليل الشأن والخطر، وما كان يستطيع الشاب أبداً أن يفهم أن مثل هذا الخبر الأشيب –الذي يسائل عنه الموت- يرضى بالكفر، أو يتهوك مع الضلال والكذب. فصدق الشاب شيخه وكذب ما كان يتلو قبل من آيات الله {10:3 ثم استوى على العرش، يدبر الأمر، ما من شفيع إلا من بعد إذنه}! ثم يقرأ الشاب في الكتب التي يدرسها: أن الصوفي فلاناً غسلته الملائكة، وأن فلاناً كان يصلي كل أوقاته في الكعبة، في حين كان يسكن جبل قاف، أو جزائر واق الواق!! وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مد يده من القبر وسلم على الرفاعي!! وأن فلاناً عذبته الملائكة، لأنه حفظ القرآن والسنة وعمل بما فيهما، ولكنه لم يحفظ كتاب الجوهرة في التوحيد!!! وأن مذهبنا في الفقه هو الحق وحده، لأنه أحاديث حذفت أسانيدها!! ويصدق الشاب بكل هذا، ويؤمن، وما كان يمكن إلا أن يفعل هذا.

إذ قال في نفسه: لو لم تكن هذه الكتب حقاً، ما درست في الأزهر، ولا درسها هؤلاء الهرمون من الأحبار ولا أخرجتها المطبعة!! وهل كان يمكن أن يسأل نفسه مثلاً مثل هذا السؤال: أين من الحق البين من كتاب الله، هذا الباطل العربيد في هذه الكتب؟! لا، فلقد جيء به إلى طنطا ليتفقه في الدين على هؤلاء الشيوخ، وهاهو فقه الدين يسمعه من الشيوخ، ويقرؤه في الكتب، وحسبه هذا!!

وتموج طنطا بالوفود، وتعج بالآمين بين الطاغوت الأكـبر من كـل حـدب، ويجلس الشاب في حلقة يذكر فيها الصوفية اسم اللـه بخنـات الأنـوف، ورجـات الأرداف ووثنية الدفوف، وثمة يسمع منشد القوم يصيح راقصاً: "ولي صنم في الدير أعبد ذاته" فتتعالى أصوات الـدراويش طروبـة الصـيحات: "إيـوه كـده اكفـر، اكفـر يـا مربي" ويرى الشاب على وجـوه القـوم فرحـاً وثنيـاً راقص الإثم بمـا سـمعوا من المنشد الكافر، فيسأل شيخنا ممن وفدوا من أهل قريتـه: يـا سـيدي الشـيخ، مـا ذلك الصنم المعبود؟! فيزم الشيخ شـفتيه، ثم يجـود على الشـاب الوالـه الحـيرة بقوله: "انته لسه صغير"!! ويسكت الشاب قليلاً، ولكن الكفـر يضـج في النعيـق، فيسمع المنشد يقيء "سلكت طريق الدير في الأبدية" "ومـا الكلب والخـنزير إلا إلهنا" ويطوي الشـاب نفسـه على فـزع وعجب يسـائل الـذهول: مـا الكلب؟ مـا الخنزير؟ ما الدير وأنى للذهول بأن يجيب؟! ولقد خشي أن يسأل أحد الشيوخ ما دام قد قيل له: "انته لسه صغير" ثم إنه رأى بعض شيوخه الكبار يطوفـون بهـذه الحمآت، يشـربون "القرفـة" ويهـنئون الأبـدال والأنجـاب والأوتـاد بمولـد القطب الغوث سيدهم السيد البدوي!!!

وتكفن دورات الفلـك من عمـر الشـاب سـنوات، فيصـبح طالبـاً في كليـة أصـول الدين فيدرس أوسع كتب التوحيد -هكذا تسمى- فيعي منها كـل شـيء إلا حقيقـة التوحيد، بل ما زادته دراستها إلا قلقاً حزيناً، وحيرة مسكينة. ويجلس الشاب ذات يوم هـو وصـديق من أصـدقائه مـع شـيخ صـوفي أمي. فيسـأله عن معـاني بعض تهاويل ابن عطاء السكندري "إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية، وإرادتك الأسباب، مع إقامة الله إياك في التجريد، انحطـاط على الهمة العلية". ويحار الطالبان، ولا يـدريان بم يجيبـان هـذا الأمي عن هـذه الحكم المزعومة -وقد عرفا بعد أنها تهدف إلى تقريـر أسـطورة رفـع التكليـف- فتمتلئ نفساهما بالغم المهموم، إذ رسبا في امتحان عقده لهما أمي صوفي؟!

ويدور الزمن فيصبح الشاب طالبـاً في شـعبة التوحيـد والفلسـفة، ويـدرس فيهـا التصـوف، ويقـرأ في كتـاب صـنفه أسـتاذ من أسـاتذته، رأي ابن تيميـة في ابن عربي. فتسكن نفس الشاب قليلاً إلى ابن تيمية، وكان قبل يراه ضالاً مضلاً. فهذا البهتان الأثيم نعته الدردير!!

وكانت عنده لابن تيمية كتب، بيد أنه كان يرهب مطالعتهـا، خشـية أن يرتـاب في الأولياء، كما قال له بعض شيوخه من قبل!!

وخشية أن يضل ضلال ابن تيمية.. ويقرأ الشاب، ويستغرق في القـراءة، ثم ينعم القدر على الشـاب يصـبح مشـرق يهتـك عنـه حجب هـذا الليـل، فيقـر بـه سـراه المضني عنـد جماعـة أنصـار السـنة المحمديـة، فكأنمـا لقي بهـا الواحـدة النديـة السلسبيل بعد دوي ملتهب الهجير. لقد دعته الجماعة على لسان منشئها فضـيلة والدنا الـروحي الشـيخ محمـد حامـد الفقي إلى تـدبر الحـق والهـدى من الكتـاب والسنة، فيقرأ الشباب ويتدبر ما يقرأ وثمة رويداً رويداً ترتفع الغشاوة عن عينيه، فيبهره النور السماوي، وعلى أشـعته الهاديـة يـرى الحقـائق، ويبصـر القيم. يـرى النـور نـوراً والإيمـان إيمانـاً، والحـق حقـاً، والضـلال ضـلالاً، وكـان قبـل -بسـحر التصوف- يرى في الشيء عين نقيضه، فيؤمن بالشـرك توحيـداً، وبـالكفر إيمانـاً، وبالمادية الصماء من الوثنية: روحانية عليا، ويدرك الشـاب -وهـو لا يكـاد يصـدق- أن التصوف دين الوثنية والمجوسية، دين ينسب الربوبية والإلهية إلى كل زنـديق، وكل مجـرم، وكـل جريمـة!! دين يـرى في إبليس، وفرعـون، وعجـل السـامري، وأوثان الجـاهلي، يـرى في كـل هـؤلاء الـذين لعنتهم كتب اللـه، بـل لعنتهم حـتى

العقول، يرى فيهم أرباباً وآلهة تهيمن على القدر في أزله وأبده، دين يرى في كل شيء إلهاً يجب أن يعبد. ورباً يخلق ما يشاء ويختار، دين يقرر أن حقيقة التوحيد الأسمى: هي الإيمان بأن الله -سبحانه- عين كل شيء. دين لا تجد فيه فيصلاً بين القيم، ولا بين حقائق الأشياء، ولا بين الضد وضده، ولا بين النقيض ونقيضه. دين يقول عن الجيف - يتأذى منها النتن، وعن الميكروبات تفتك سمومها بالبشرية - إنها هي الإلها، وسبحان ربنا!! دين يقول عن القاتل، عن السارق، عن الباغي، عن كل وغد تسفل في دناءته، عن كل طاغية بغى في تجبره. يقول عن كل هؤلاء: إنهم عينات الذات الإلهية!! فأي إله هذا الذي يقتل، ويبغي، ويفسد في الأرض؟ أي إله هذا الذي يدب تحت جنح الليل تتلظى في عينيه، وعلى يديه الإثم والجريمة الضارية؟ أي إله هذا الذي يلعق دم الضحايا يبرد به غلته، ويخضب بدماء الأعراض التي سفحها يديه الظالمتين؟ أي إله هذا الذي مشى في أيام التاريخ ولياليه بطشاً وظلماً وجبروتاً يدمر، ويخرب، ويصنع القصة الأولى لكل جريمة خاتلة؟! ومن يكون إلا إله الصوفية الذي ابتدع أسطورته سلف ابن عربي، وابن الفارض وغيرهما!!؟.

أيتها البشرية التي تهاب القانون، أو ترهب السماء!! ها هو دين التصوف يناديك ملحاً ملهوف النداء: أن تنحدري معه إلى حيث تترعين من كل خمرة مخمورة، وتتلطخين بكل فسق، وتتمرغين في أوحال الإثم!! وأنتم أيها العاكفون في المساجد؛ لا حاجة بكم إلى الصلاة والصوم والحج والزكاة، بل لا حاجة بكم إلى رب تحبونه وتخافونه، وترجونه، ولا إله تعبدونه.

لم هذا الكدح والجهاد والنصب والعبودية؟ لم هذا وكل فرد منكم في حقيقته هو الرب، وهو الإله كما يزعم الصوفية!!؟ ألا فأطلقوا غرائزكم الحبيسة، ودعوها تعش في الغاب والدخل وحوشاً ضارية، وأفاعي فتاكة! وأنتم يا بني الشرق! دعوا المستعمر الغاصب يسومكم الخسف والهوان، ويلطخ شرفكم بالضعة، وعزتكم بالذل الهين، ويهيمن على مصائركم بما يهوى بطشه الباغي، وبغية الظلوم. دعوه يهتك ما تحمون من أعراض، ويدمر ما تشيدون من معال، وينسف كل ما أسستم من أمجاد، ثم الثموا ضارعين خناجره وهي تمزق منكم الحشاشات، واهتفوا لسياطه، وهي تشوي منكم -أذلاء- الجلود. فما ذلك المستعمر عند الصوفية سوى ربهم، تعين في صورة مستعمر.

دعوا المواخير مفتحة الأبواب، ممهدة الفجاج. ومباءات البغاء تفتح ذراعيها الملهوفتين لكل شريد من ذئاب البشر، وحانات الخمور تطغى على قدسية المساجد، وأقيموا ذهبي الهياكل للأصنام، وارفعوا فوق الذرى منتن الجيف، ثم خروا ساجدين لها، مسبحين باسم ابن عربي وأسلافه وأخلاقه فقد أباح لكم أين تعبد الجيفة، وأن تتوسلوا إلى عبادتها بالجريمة!!

ذلكم هو دين التصوف في وسائله وغاياته وتلك هي روحانيته العليا!!.

ألا فاسمعوها غير هيابة ولا وجلة، واصغوا إلى هتاف الحق يهدر بالحق من أعماق الروح: إن التصوف أدنأ وألأم كيد ابتدعه الشيطان ليسخر معه عباد الله في حربه لله، ولرسله، إنه قناع المجوسي يتراءى بأنه رباني، بل قناع كل عدو صوفي، العداوة للدين الحق، فتش فيه تجد برهمية، وبوذية ، وزرادشتية، ومانوية وديصانية، تجد أفلوطينية، وغنوصية، تجد يهودية ونصرانية، ووثنية جاهلية، تجد فيه كل ما ابتدعه الشيطان من كفر، منذ وقف في جرأة الصوفية يتحدى الله، ويقسم بعزته أنه الذي سيضل غير المخلصين من عباده. تجد فيه كل هذا الكفر الشيطاني، وقد جعل منه الشيطان كفراً جديداً مكحول الإثم متبرج الغواية،

متقتـل الفتـون، ثم سـماه للمسـلمين: (تصـوفاً) وزعم لهم -وأيـده في زعمـه القدامية والمحدثون من الأحبـار والرهبـان- أنـه يمثـل أقـدس المظـاهر الروحيـة العليا في الإسلام!! أقولها عن بينة من كتاب الله، وسنة خير المرسـلين صـلوات الله وسلامه عليه، وبعون من الله، سـأظل أقولهـا، لعلي أعين الفريسـة التعسـة على أن تنجو من أنياب هذا الوحش الملثم بوشاح الدعة الحانية العطوف.

ولكن الصوفية سوداً وبيضاً، خضراً وحمراً، سـلوهم: مـا ردكم على هـذا الصـوت الهادر من أعماق البحر؟ سيقولون ما قالت وثنية عاد (إن نراك إلا اعـتراك بعض آلهتنا بسوء) وآلهتهم هي قباب أضرحة الموتى وأعتابها!! دمغناهم بالحق، فراحوا يعوون عواء اللص الحذر، وقع فجأة في قبضة الحارس، وجأروا بالشكوى الذليلـة إلى النيابة، فلم تـر النيابـة فيمن يمسـك بـالبريء إلا مجرمـاً، وشـكوا إلى رئيس حكومة سابق، وختموا الشـكاة بهـذه الضـراعة الذليلـة: "واللـه نسـأل لمقـامكم الرفيع الخير والسؤدد في ظل حامي الدين حضرة صاحب الجلالة المعظم صـان عرشه، وأيد حكومته الرشيدة وألهمها التوفيق" (قـدموا هـذه الشـكوى بتـاريخ 4 أغسطس سنة 1951م)، فلم يرى الـرئيس السـابق فيمن يـثرم أنيـاب الرقطـاء مجرماً. وطاح الحق ببغي إلههم وملاذهم حامي دينهم، كما كانوا يلقبونه.

وما زلنا -بعون من الله-نستلهمه- بكتاب الله نتحداهم، وبسنة رسوله صـلى اللـه عليه وسلم نحاججهم، والله على كل شيء شهيد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

سـيقول النـاعمون -من ذوي الألسـنة الـتي اسـتمرأت كلمـات الـذل والعبوديـة، وليونة النفـاق، وممن يتملقـون الجمـاهير على حسـاب الحـق، ويزعمـون أنهم لا يحبون إثارة شقاق، أو جدال، ولا الطعن على أحد -سيقول هؤلاء: ما هكذا يكـون النقد، ولا هكذا يكون البحث العلمي!! لا. أيها المدللون الخانعون للأسـاطير، فإنـا لسنا أمام جماعة مسلمة، فنخشى إثارة الشقاق بينهم، ولو خشي الرسول مثـل هذا لما لأ قريشاً على حساب الحق، ولكنه صلى الله عليه وسلم أطـاع أمـر ربـه {94:15 فاصـدع بمـا تـؤمر، وأعـرض عن المشـركين} ووعى قلبـه - المشـرق المؤمن الطهور التقي- موعظة ربه فيمـا قالـه لـه العلي الكبـير {9:68 ودوا لـو تدهن فيدهنون} وفيمـا قـال لـه {75:17 وإن كـادوا ليفتنونـك عن الـذي أوحينـا إليك، لتفتري علينا غيره، وإذا لاتخـذوك خليلاً، ولـولا أن ثبتنـاك لقـد كـدت تـركن إليهم شيئاً قليلاً، إذا لأذقناك ضعف الحياة، وضـعف الممـات ثم لا تجـد لـك علينـا نصيراً} فكان سيد ما يستغفر به الرسول الكريم الأمين ربـه: [اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت] فكيـف بنـا نحن اليوم الذين أمرنا أن جعل الرسول وحده لنا الأسوة؟!

ولسنا كذلك أمام فئة تحترم العقل، بل تزدريه وتحقره، ثم تهب في قحة طاغيـة الجـراءة لتشـتم اللـه، وتـذود عن إبليس وفرعـون وعبـاد العجـل والـوثن، داعيـة المسلمين إلى اتخاذ هؤلاء أرباباً وآلهـة، وسـيرد على القـارئ عشـرات النصـوص من نصوص ابن عربي وتائية بن الفارض شـهيدة عليهم بمـا ذكـرت، وابن عـربي وابن الفارض قطبا التصوف، وإماما الصوفية المعاصرة. فكيـف يعـاب علينـا أننـا ندافع عن دين الله، وأنا نقول للشيطان: إنك أنت الشيطان؟

ما نقول عن رجل –وهو ابن عربي- يفـتري أدنـأ البهتـان على اللـه، فيصـوره في صورة رجل وامرأة يقترفـان الإثم، مؤكـداً لأتباعـه أن الجسـدين الآثمين همـا في الحقيقة ذات الله، سبحانه؟! وسبحان رب العزة عما يصف الإثم.

فلا نلام إذا هتكنا القناع عن وجه هـذا الرجـل، ليبصـره المخـدوعون بـه، ليبصـره مسخاً ثانياً للشيطان؟ إننا في ميدان مستعر الأتون، يقاتلنا فيه عدو دنيء يتراءى أنه الأخ الشقيق الحنو، النـدي الرحمـة، فلا أقـل من أن نحاربـه بمـا يـدفع ضـره وشره، ويحول بينه وبين الفضاء على الرمق الـذابل من عقائـد المسـلمين، وبين تشتيت الحشاشة الباقية من الجماعة الإسلامية. (مقدمة كتـاب تنبيـه الغـبي إلى كفر ابن عربي من ص3-10، بقلم عبدالرحمن الوكيل).

****

****